سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٠٣٠)

الهوى

تعريف وتحذير

من خلال مصنفات ابن تيمية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"ص -١٦- فهذا الاتباع والتقليد الذي ذمه الله هو اتباع **الهوى** إما للعادة والنسب كاتباع الآباء وإما للرئاسة كاتباع الأكابر والسادة والمتكبرين فهذا مثل تقليد الرجل لأبيه أو سيده أو ذي سلطانه وهذا يكون لمن لم يستقل بنفسه وهو الصغير : فإن دينه دين أمه فإن فقدت فدين ملكه وأبيه : فإن فقد كاللقيط فدين المتولي عليه وهو أهل البلد الذي هو فيه فأما إذا بلغ وأعرب لسانه فإما شاكرا وإما كفورا . وقد بين الله أن الواجب الإعراض عن هذا التقليد إلى اتباع ما أنزل الله على رسله؛ فإنهم حجة الله التي أعذر بها إلى خلقه . والكلام في التقليد في شيئين : في كونه حقا؛ أو باطلا من جهة الدلالة . وفي كونه مشروعا؛ أو غير مشروع من جهة الحكم . أما الأول فإن التقليد المذكور لا يفيد علما ؟ فإن المقلد يجوز أن يكون مقلده مصيبا : ويجوز أن يكون مخطئا وهو لا يعلم أمصيب هو أم مخطئ ؟ فلا تحصل له ثقة ولا طمأنينة فإن علم أن مقلده مصيب." (١)

"ص -٤٣- على التقوى جالت في الملكوت؛ ورجعت إلى أصحابها بطرف الفوائد؛ من غير أن يؤدي إليها عالم علما . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الصلاة نور؛ والصدقة برهان؛ والصبر ضياء " ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ؟ ولا سيما الأحاديث النبوية؛ فإنه يعرف ذلك معرفة تامة؛ لأنه قاصد العمل بها؛ فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله حتى أن المحب يعرف من فحوى كلام محبوبه مراده منه تلويحا لا تصريحا .

والعين تعرف من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي **الهوى** يزداد تنويرا

وفي الحديث الصحيح : " لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة ؟ وإذا كان." (٢)

"ص -٦٤- في يوم وبعض آخر، وتقول : لم أر فلانا يومين . وإنما تريد يوما وبعض آخر، قال : [كاملين] ليبين أنه لا يجوز أن ينقص منهما، وهذا بمنزلة قوله تعالى : ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، فإن لفظ [العشرة] يقع على تسعة وبعض العاشر، فيقال : أقمت عشرة أيام، وإن لم يكملها، فقوله هناك [كاملة] بمنزلة قوله هنا [كاملين] وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/

" الخازن الأمين الذي يعطي ما أمر به كاملا موفورا طيبة به نفسه أحد المتصدقين " ، فالكامل الذي لم ينقص منه شيء، إذ الكمال ضد النقصان . وأما [الموفر] فقد قال : أجرهم موفرا، يقال : الموفر للزائد، ويقال : لم يكلم . أي يجرح، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في كتاب [الزهد] عن وهب بن منبه : أن الله تعالى قال لموسى : " وماذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا، لم تكلمه الدنيا ولم تكلمه نطعة الهوى " . وكان هذا تغيير الصفة، وذاك نقصان القدر .

وذكر أبو الفرج : هل هو عام في جميع الوالدات أو يختص بالمطلقات ؟ على قولين . والخصوص قول سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل، في آخرين . والعموم قول أبي سليمان الدمشقي والقاضي أبي يعلي في آخرين .

قال القاضي : ولهذا نقول : لها أن تؤجر نفسها لرضاع ولدها، سواء كانت مع الزوج، أو مطلقة . قلت : الآية حجة عليهم، فإنها أوجبت للمرضعات رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا زيادة على ذلك . وهو يقول : تؤجر نفسها." (١)

"ص -٢٠٣- خلاف الفقهاء، ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء ؟ فإن الأمر لم يزل كذلك على ممر العصور، وتعاقب الدهور .

وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء نضو الهوى المفضى بصاحبه إلى التوى؛ فإن من يقتبس من فوائده، ويلتقط من فرائده، لحقيق بالتعظيم، وخليق بالتكريم، ممن له الفهم السليم، والذهن المستقيم . وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر، إلا كما قيل في المثل السائر : الشعير يؤكل ويذم . وقول الشاعر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر

وحسن فعل كما يجزى سنمار

غيره :

وحديث ألذه، وهو مما

ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق رائع . ويلحن أحيا

نا . وخير الحديث ما كان لحنا

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/

وقال الله تعالى : ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [المائدة : ٨] .." (١)

"ص -١٣٢- بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله وهذا من نوع **الهوى**، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ، فإن أصل **الهوى** محبة النفس ويتبع ذلك بغضها ونفس **الهوى** – وهو الحب والبغض الذي في النفس – لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك وإنما يلام على اتباعه، كما قال تعالى : ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦] وقال تعالى : ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى وكلمة الحق في الغضب والرضا . وثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه " .

والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض ووجد وإرادة، وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، بل قد يصعد به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات .

فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، كما قال تعالى : ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] وقال تعالى : ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم ﴾ [الروم : ٢٨] الآية،." (٢)

"ص -١٣٤- وبغضه : هل هو موافق لأمر الله ورسوله ؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله، بحيث يكون مأمورا بذلك الحب والبغض . لا يكون متقدما فيه بين يدي الله ورسوله، فإنه قد قال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ [الحجرات : ١] ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله .

ومجرد الحب والبغض هوى، لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله : ولهذا قال : ﴿ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ﴾ [ص : ٢٦] فأخبر

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/

أن من اتبع هواه أضله ذلك عن سبيل الله وهو هداه الذي بعث به رسوله . وهو السبيل إليه .
وتحقيق ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها وقد قال تعالى : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [الملك : ٢] وهو كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله : أخلصه وأصوبه . فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص : أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة . فالعمل الصالح لا بد أن يراد به وجه الله تعالى، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وحده، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو كله للذي أشرك " .." (١)

"ص -٥١٠- الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة، كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته . وفي لفظ : ما كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير . فهذه هي الأذكار التي جاءت بها السنة في أدبار الصلاة .
وسئل رحمه الله عمن يقول : أنا أعتقد أن من أحدث شيئا من الأذكار غير ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح عنه، أنه قد أساء وأخطأ، إذ لو ارتضى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وإمامه ودليله لاكتفى بما صح عنه من الأذكار، فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل، وتزيين من الشيطان، وخلاف للسنة؛ إذ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك خيرا، إلا دلنا عليه وشرعه لنا، ولم يدخر الله عنه خيرا؛ بدليل إعطائه خير الدنيا والآخرة؛ إذ هو أكرم الخلق على الله فهل الأمر كذلك أم لا ؟
فأجاب :
الحمد لله، لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات . والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى." (٢)

"فصلا فقال : ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ﴾ [النازعات : ٢٧] . إلى قوله تعالى : ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ [النازعات : ٣٤] . إلى قوله تعالى : ﴿فأما من طغى ﴾ [النازعات : ٣٧] ﴿وآثر الحياة الدنيا ﴾ [النازعات : ٣٨] ﴿فإن الجحيم هي المأوى ﴾ [النازعات : ٣٩] ﴿وأما من

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/
(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/

خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات : ٤٠] ﴿فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤١] إلى آخر السورة . وكذلك في [المزمل] ذكر قوله : ﴿وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ﴾ [المزمل : ١١] ﴿إن لدينا أنكالا وجحيما ﴾ [المزمل : ١٢] ﴿وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ [المزمل : ١٣] ، إلى قوله تعالى : ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾ [المزمل : ١٥] ﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ﴾ [المزمل : ١٦] .

كذلك في [سورة الحاقة] ذكر قصص الأمم، كثمود وعاد وفرعون." (١)

"ص -٦٢٤- وأنت تعلم أن ذلك من أيسر الأمور على المسلمين . وأنا ما غرضي الساعة إلا مخاطبتكم بالتي هي أحسن والمعاونة على النظر في العلم واتباع الحق وفعل ما يجب . فإن كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديان ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النصارى المقلدين الذين لا يسمعون ولا يعقلون، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا . وأصل ذلك أن تستعين بالله وتسأله الهداية وتقول : اللهم أرني الحق حقا وأعني على اتباعه . وأرني الباطل باطلا وأعني على اجتنابه ولا تجعله مشتبها على فأتبع الهوى فأضل . وقل اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون : اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم . والكتاب لا يحتمل البسط أكثر من هذا، لكن أنا ما أريد للملك إلا ما ينفعه في الدنيا والآخرة وهما شيئان . [أحدهما له خاصة وهو معرفته بالعلم والدين وانكشاف الحق وزوال الشبهة وعبادة الله كما أمر . فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها . وهو الذي بعث به المسيح وعلمه الحواريين] . [الثاني له وللمسلمين وهو مساعدته للأسرى الذين في بلاده وإحسانه إليهم وأمر رعيته بالإحسان إليهم." (٢)

"ص -٢٥٦- بالاجتهاد والاستدلال فإن الحد الذي يجب أن ينتهي إليه الاجتهاد قد لا ينضبط للمجتهد .

ولهذا كان العلماء يخافون مثل هذا خشية ألا يكون الاجتهاد المعتبر قد وجد في تلك المسألة المخصوصة فهذه ذنوب، لكن لحوق عقوبة الذنب بصاحبه إنما تنال لمن لم يتب وقد يمحوها الاستغفار والإحسان والبلاء والشفاعة والرحمة ولم يدخل في هذا من يغلبه الهوى ويصرعه حتى ينصر ما يعلم أنه باطل أو من

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/

يجزم بصواب قول أو خطئه من غير معرفة منه بدلائل ذلك القول نفيا وإثباتا، فإن هذين في النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " القضاة ثلاثة : قاضيان في النار وقاض في الجنة فأما الذي في الجنة فرجل علم الحق فقضى به وأما اللذان في النار فرجل قضى للناس على جهل ورجل علم الحق وقضى بخلافه " والمفتون كذلك . لكن لحوق الوعيد للشخص المعين أيضا له موانع كما بيناه فلو فرض وقوع بعض هذا من بعض الأعيان من العلماء المحمودين عند الأمة – مع أن هذا بعيد أو غير واقع – لم يعدم أحدهم أحد هذه الأسباب، ولو وقع لم يقدح في إمامتهم على الإطلاق فإنا لا نعتقد في القوم العصمة بل تجوز عليهم الذنوب ونرجو لهم مع ذلك أعلى الدرجات، لما اختصهم الله به من الأعمال الصالحة والأحوال السنية." (١)

"ص -٦٢٦- الذين لا يتبعون **الهوى**، بل كل من اتقى الله وأنصف علم أنهم أسروا بغير حق لا سيما من أخذ غدرا والله تعالى لم يأمر المسيح ولا أحدا من الحواريين ولا من اتبع المسيح على دينه، لا بأسر أهل ملة إبراهيم ولا بقتلهم .

وكيف وعامة النصارى يقرون بأن محمدا رسول الأميين فكيف يجوز أن يقاتل أهل دين اتبعوا رسولهم . فإن قال قائل : هم قاتلونا أول مرة . قيل : هذا باطل فيمن غدرتم به ومن بدأتموه بالقتال . وأما من بدأكم منهم فهو معذور لأن الله تعالى أمره بذلك ورسوله بل المسيح والحواريون أخذ عليهم المواثيق بذلك ولا يستوي من عمل بطاعة الله ورسله ودعا إلى عبادته ودينه وأقر بجميع الكتب والرسل وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله ومن قاتل في هوى نفسه وطاعة شيطانه على خلاف أمر الله ورسله . وما زال في النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له مزية على غيره في المعرفة والدين، فيعرف بعض الحق وينقاد لكثير منه ويعرف من قدر الإسلام وأهله ما يجهله غيره فيعاملهم معاملة تكون نافعة له في الدنيا والآخرة . ثم في فكاك الأسير وثواب العتق من كلام الأنبياء والصديقين ما هو معروف لمن طلبه فمهما عمل الملك معهم وجد ثمرته .." (٢)

"ص -٩١- أو الحاجة . فأما العالم بقبح الشيء والنهى عنه فكيف يفعله ؟ ! والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد، وقد تكون بهم حاجة إليها، مثل الشهوة إليها، وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجلهلهم أو تغلبهم أهواؤهم حتى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/

يفعلوها، والهوى غالبا يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئا، فإن حبك للشيء يعمي ويصم .
ولهذا كان العالم يخشى الله، وقال أبو العالية : سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾ الآية [النساء : ١٧] . فقالوا : كل من عصى الله فهو جاهل، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفاسد الغالبة وما في المأمورات من المصالح الغالبة، بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبة، وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبة، وأن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم، ولا نهاهم عما نهاهم بخلا به عليهم، بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم؛ ولهذا وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبآئث﴾ [الأعراف : ١٥٧] .
وأما التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله، وتمريغ الخد عليه،." (١)

"ص -٥٨- والذي سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد صلى الله عليه وسلم وحده، بل مخالفة لدين جميع المرسلين : إبراهيم وموسى، والمسيح، ومحمد خاتم النبيين، صلى الله عليهم أجمعين . وكانوا قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب، ولا كتاب وجزعوا من ظهور الإخنائية فاستعملهم الله تعالى . حتى أظهروا أضعاف ذلك وأعظم، وألزمهم بتفتيشه ومطالعته ومقصودهم إظهار، عيوبه وما يحتجون به فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم وظهر لهم جهلهم وكذبهم وعجزهم وشاع هذا في الأرض وأن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ولم يمكنهم أن يظهروا علينا فيه عيبا في الشرع، والدين بل غاية ما عندهم : أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين، والمخلوق كائنا من كان، إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله لم يجب، بل ولا يجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله، باتفاق المسلمين . وقول القائل : إنه يظهر البدع كلام يظهر فساده لكل مستبصر ويعلم أن الأمر بالعكس فإن الذي يظهر البدعة إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول، أو لكونه له غرض وهوى يخالف ذلك، وهو أولى بالجهل بسنة الرسول واتباع هواهم بغير هدى من الله ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص : ٥٠] ممن هو أعلم بسنة الرسول منهم وأبعد عن الهوى والغرض في مخالفتها." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٠/

"ص -٢٤٨- إلى النساء ونحوهن، وكذلك النظر إلى الأمرد بشهوة هو من هذا الباب . وقد اتفق العلماء على تحريم ذلك كما اتفقوا على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم لشهوة، والخالق سبحانه يسبح عند رؤية مخلوقاته كلها وليس خلق الأمرد بأعجب في قدرته من خلق ذى اللحية، ولا خلق النساء بأعجب في قدرته من خلق الرجال، بل تخصيص الإنسان التسبيح بحال نظره إلى الأمرد دون غيره : كتخصيصه التسبيح بنظره إلى المرأة دون الرجل، وما ذاك لأنه دل على عظمة الخالق عنده، ولكن لأن الجمال يغير قلبه وعقله، وقد يذهله ما رآه فيكون تسبيحه بما يحصل في نفسه من **الهوى** . كما أن النسوة لما رأين يوسف ﴿أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾ [يوسف : ٣١] .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " . وإذا كان الله لا ينظر إلى الصور والأموال وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فكيف يفضل الشخص بما لم يفضله الله به ؟ وقد قال تعالى : ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه : ١٣١] ، وقال في المنافقين : ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله إني يؤفكون﴾ [المنافقون : ٤] ،." (١)

"ص -١٤٩- وبعض الرعايا ثم كثر ذلك بعد، فنشأت الفتنة التي سببها ما تقدم من عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين، واختلاطهما بنوع من **الهوى** والمعصية في الطرفين : وكل منهما متأول أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأنه مع الحق والعدل ومع هذا التأويل نوع من **الهوى**، ففيه نوع من الظن وما تهوى الأنفس، وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى . فلهذا يجب على المؤمن أن يستعين بالله، ويتوكل عليه في أن يقيم قلبه ولا يزيغه : ويثبته على الهدى والتقوى، ولا يتبع **الهوى** كما قال تعالى : ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم ﴾ [الشورى : ١٥] . وهذا أيضا حال الأمة فيما تفرقت فيه واختلفت في المقالات والعبادات .

وهذه الأمور مما تعظم بها المحنة على المؤمنين . فإنهم يحتاجون إلى شيئين : إلى دفع الفتنة التي ابتلي بها نظراؤهم من فتنة الدين والدنيا عن نفوسهم مع قيام المقتضي لها : فإن معهم نفوسا وشياطين كما مع

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣١/

غيرهم فمع وجود ذلك من نظرائهم يقوى المقتضي عندهم، كما هو الواقع، فيقوى الداعي الذي في نفس الإنسان وشيطانه، وما يحصل من الداعي بفعل الغير والنظير . فكم ممن لم يرد خيرا ولا شرا حتى رأى غيره – لا سيما إن كان نظيره –." (١)

"ص –٥٠٨– بملاقاة النجاسة، وقال : يلزم على هذا أن تزال به النجاسة، وهذا لأنه إذا دفعها عن نفسه دفعها عن غيره كما ذكروه في الماء، فيلزم جواز إزالته بكل مائع طاهر مزيل للعين قلاع للأثر على هذا القول وهذا هو القياس فنقول به على هذا التقدير . وإن كان لا يلزم من دفعها عن نفسه دفعها عن غيره، لكون الإحالة أقوى من الإزالة، فيلزم من قال : أنه يجوز إزالة النجاسة بغير الماء من المائعات أن تكون المائعات كالماء، فإذا كان الصحيح في الماء أنه لا ينجس إلا بالتغير إما مطلقا، وإما مع الكثرة فكذلك الصواب في المائعات .

وفي الجملة، التسوية بين الماء والمائعات ممكن على التقديرين، وهذا مقتضى النص والقياس في مسألة إزالة النجاسات، وفي مسألة ملاقاتها للمائعات الماء وغير الماء .

ومن تدبر الأصول المنصوصة المجمع عليها، والمعانى الشرعية المعتبرة في الأحكام الشرعية، تبين له أن هذا هو أصوب الأقوال . فإن نجاسة الماء والمائعات بدون التغير بعيد عن ظواهر النصوص والأقيسة، وكون حكم النجاسة يبقى في مواردها بعد إزالة النجاسة بمائع أو غير مائع بعيد عن الأصول، وموجب القياس . ومن كان فقيها خبيرا بمآخذ الأحكام الشرعية، وأزال عنه **الهوى،**." (٢)

"ص –٢٥٣– صحبت ثلاثين من الأبدال كلهم يوصيني عند فراقه بترك صحبة الأحداث وقال بعضهم : ما سقط عبد من عين الله إلا بصحبة هؤلاء الأنتان .

ثم النظر يؤكد المحبة، فيكون علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة لانصباب القلب إليه، ثم غراما للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه، ثم عشقا إلى أن يصير تتيما، والمتيم المعبد، وتيم الله : عبد الله، فيبقى القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون أخا بل ولا خادما، وهذا إنما يبتلى به أهل الإعراض عن الإخلاص لله كما قال تعالى في حق يوسف : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف : ٢٤] ، فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء، ويوسف عليه السلام مع عزوبته ومراودتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على العفة عصمه الله بإخلاصه

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٣٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٣٦

لله؛ تحقيقا لقوله : ﴿ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [الحجر : ٣٩، ٤٠] ، قال تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر : ٤٢] ، والغي : هو اتباع **الهوى** .

وهذا الباب من أعظم أبواب اتباع **الهوى** . ومن أمر بعشق الصور من المتفلسفة كابن سينا وذويه، أو من الفرس كما يذكر عن بعضهم؛ أو من جهال المتصوفة، فإنهم أهل ضلال وغي، فهم مع مشاركة اليهود في الغي والنصارى في الضلال زادوا على الأمتين في ذلك، فإن." (١)

"ص -٢٥٥- تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] ، وقال تعالى : ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [ص : ٢٦] .

وأما من نظر إلى المرد ظانا أنه ينظر إلى الجمال الإلهي وجعل هذا طريقا له إلى الله كما يفعله طوائف من المدعين للمعرفة فقوله هذا أعظم كفرا من قول عباد الأصنام ومن كفر قوم لوط، فهؤلاء من شر الزنادقة المرتدين الذين يجب قتلهم بإجماع كل الأمة؛ فإن عباد الأصنام قالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر : ٣] ، وهؤلاء يجعلون الله موجودا في نفس الأصنام وحالا فيها، فإنهم لا يريدون بظهوره وتجليه في المخلوقات أنها دالة عليه وآيات لهم؛ بل يريدون أنه سبحانه هو ظهر فيها وتجلى فيها. ويشبهون ذلك بظهور الماء في الزجاجة، والزبد في اللبن، والزيت في الزيتون، والدهن في السمسم؛ ونحو ذلك مما يقتضى حلول نفس ذاته في مخلوقاته أو اتحاده بها في جميع المخلوقات، نظير ما قالته النصارى في المسيح خاصة، يجعلون المرد مظاهر الجمال فيقررون هذا الشرك الأعظم طريقا إلى استحلال الفواحش، بل إلى استحلال كل محرم، كما قيل لأفضل متأخريهم التلمساني : إذا كان قولكم بأن الوجود واحد هو الحق، فما الفرق بين أمي وأختي." (٢)

"ص -٤٢- فصل

في [الخلافة والسلطان] وكيفية كونه ظل الله في الأرض، قال الله تعالي : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وقال الله تعالي : ﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٦/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٨/

فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦] . وقوله : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ، يعم آدم وبنيه، لكن الاسم متناول لآدم عينا؛ كقوله : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] ، وقوله : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ﴾ [الرحمن : ١٤ ، ١٥] ، وقوله : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾ [السجدة : ٧، ٨] ، ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ [المؤمنون : ١٣] ، إلي أمثال ذلك .

ولهذا كان بين [داود، وآدم] من المناسبة ما أحب به داود حين أراه ذريته، وسأل عن عمره ؟ فقيل : أربعون سنة . فوهبه من عمره الذي هو ألف سنة ستين سنة . والحديث صحيح رواه الترمذي وغيره وصححه؛ ولهذا كلاهما ابتلي بما ابتلاه به من الخطيئة، كما أن كلا منهما." (١)

"ص -١٠٠- الفقهاء يصححون ولاية الفاسق، وأكثرهم يوقعون الطلاق في مثل هذا النكاح، بل وفي غيره من الأنكحة الفاسدة .

فإذا فرع على أن النكاح فاسد، وأن الطلاق لا يقع فيه، فإنما يجوز أن يستحل الحلال من يحرم الحرام؛ وليس لأحد أن يعتقد الشيء حلالا حراما . وهذا الزوج كان وطئها قبل الطلاق، ولو ماتت لورثها، فهو عامل على صحة النكاح، فكيف يعمل بعد الطلاق على فساده ؟ ! فيكون النكاح صحيحا إذا كان له غرض في صحته، فاسدا إذا كان له غرض في فساده ! وهذا القول يخالف إجماع المسلمين؛ فإنهم متفقون على أن من اعتقد حل الشيء كان عليه أن يعتقد ذلك، سواء وافق غرضه أو خالفه، ومن اعتقد تحريمه كان عليه أن يعتقد ذلك في الحالين . وهؤلاء المطلقون لا يفكرون في فساد النكاح بفسق الولي إلا عند الطلاق الثلاث، لا عند الاستمتاع والتوارث، فيكونون في وقت يقلدون من يفسده، وفي وقت يقلدون من يصححه بحسب الغرض **والهوى** ! ومثل هذا لا يجوز باتفاق الأمة .

ونظير هذا أن يعتقد الرجل ثبوت [شفعة الجوار] إذا كان طالبا لها، ويعتقد عدم الثبوت إذا كان مشتريا؛ فإن هذا لا يجوز بالإجماع، وهذا أمر مبني على صحة ولاية الفاسق في حال نكاحه، وبني على فساد ولايته." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٩/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٠/

"ص -٤٣- لأضيف إلى كل عالم ما اعتقدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله؛لكونه ملتزما لرسالته، فلما لم يضف اليه ما نفاه عن الرسول، وإن كان لازما له، ظهر الفرق بين اللازم الذي لم ينفه واللازم الذي نفاه . ولا يلزم من كونه نص على الحكم نفيه للزوم ما يلزمه؛ لأنه قد يكون عن اجتهادين في وقتين .

وسبب الفرق بين أهل العلم وأهل الأهواء مع وجود الاختلاف في قول كل منهما : أن العالم قد فعل ما أمر به من حسن القصد والاجتهاد، وهو مأمور في الظاهر باعتقاد ما قام عنده دليله، وإن لم يكن مطابقا، لكن اعتقادا ليس بيقيني، كما يؤمر الحاكم بتصديق الشاهدين ذوي العدل، وإن كانا في الباطن قد أخطآ أو كذبا، وكما يؤمر المفتي بتصديق المخبر العدل الضابط، أو باتباع الظاهر، فيعتقد ما دل عليه ذلك، وإن لم يكن ذلك الاعتقاد مطابقا . فالاعتقاد المطلوب هو الذي يغلب على الظن مما يؤمر به العباد، وإن كان قد يكون غير مطابق، وإن لم يكونوا مأمورين في الباطن باعتقاد غير مطابق قط .

فإذا اعتقد العالم اعتقادين متناقضين في قضية أو قضيتين، مع قصده للحق، واتباعه لما أمر باتباعه من الكتاب والحكمة . عذر بما لم يعلمه وهو الخطأ المرفوع عنا، بخلاف أصحاب الأهواء؛ فإنهم ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم : ٢٣] ، ويجزمون بما يقولونه بالظن **والهوى**." [١]

"ص -٩٤- وظن بعض أن المراد بها سجدة مجردة، وهو غلط . فإن تعليق الإدارك بسجدة مجردة، لم يقل به أحد من العلماء، بل لهم فيما تدرك به الجمعة والجماعة ثلاثة أقوال :

أصحها : أنه لا يكون مدركا للجمعة ولا الجماعة إلا بإدراك ركعة، لا يكون مدركا للجماعة بتكبيرة . وقد استفاض عن الصحابة أن من أدرك من الجمعة أقل من ركعة صلى أربعا . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أدرك ركعة من الصلاة، فقد أدرك الصلاة " . وعلى هذا، إذا أدرك المسافر خلف المقيم ركعة، فهل يتم، أو يقصر ؟ فيها قولان .

والمقصود هنا أن لفظ [السجدة] المراد به الركعة . فإن الصلاة يعبر عنها

بابعاضها، فتسمي قياما، وقعودا، وركوعا، وسجودا، وتسبيحا، وقرآنا .

وأنكر من هذا ما يفعله بعض الناس من أنه يسجد بعد السلام سجدة مفردة، فإن هذه بدعة، ولم ينقل عن أحد من الأئمة استحباب ذلك . والعبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على **الهوى** والابتداع، فإن

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٤١

الإسلام مبني على أصلين : ألا نعبد إلا الله وحده، وأن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لا نعبده بالأهوء والبدع .." (١)

"ص -٢٨٠- الناس على جهلهم خيرا لهم ولكان ترك دلائل المسائل المشتبهة خيرا من بيانها .

الثالث : أن بيان الحكم والوعيد سبب لثبات المجتنب على اجتنابه ولولا ذلك لانتشر العمل بها .

الرابع : أن هذا العذر لا يكون عذرا إلا مع العجز عن إزالته وإلا فمتى أمكن الإنسان معرفة الحق فقصر فيها لم يكن معذورا .

الخامس : أنه قد يكون في الناس من يفعله غير مجتهد اجتهادا يبيحه، ولا مقلدا تقليدا يبيحه فهذا الضرب قد قام فيه سبب الوعيد من غير هذا المانع الخاص فيتعرض للوعيد ويلحقه، إلا أن يقوم فيه مانع آخر من توبة أو حسنات ماحية أو غير ذلك ثم هذا مضطرب، قد يحسب الإنسان أن اجتهاده أو تقليده مبيح له أن يفعل ويكون مصيبا في ذلك تارة ومخطئا أخرى لكن متى تحرى الحق ولم يصده عنه اتباع الهوى فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

[العاشر] : أنه إن كان إبقاء هذه الأحاديث على مقتضياتها مستلزما لدخول بعض المجتهدين تحت الوعيد، وإذا كان لازما على التقديرين بقي الحديث سالما عن المعارض فيجب العمل به .." (٢)

"ص -١٣٦- بفعل المأمور به كما ذكر معها البر وكما في قول نوح : ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ [نوح : ٣] وذلك لأن هذه التقوى مستلزمة لفعل المأمور به .

ونقول ثالثا : إن أكثر بنى آدم قد يفعل بعض المأمور به ولا يترك المنهي عنه إلا الصديقون، كما قال سهل؛ لأن المأمور به له مقتضى في النفس وأما ترك المنهي عنه إلى خلاف الهوى ومجاهدة النفس فهو أصعب وأشق، فقل أهله ولا يمكن أحدا أن يفعله إلا مع فعل المأمور به، لا تتصور تقوى وهي فعل ترك قط؛ فان من ترك الشرك واتباع الهوى المضل واتباع الشهوات المحرمات فلابد أن يفعل من المأمور به أمورا كثيرة تصده عن ذلك فتقواهم تحفظ لهم حسناتهم التى أمروا بها وتمنعهم من السيئات التى تضرهم بخلاف من فعل ما أمر به وما نهي عنه مثلا؛ فان وجود المنهي عنه يفسد عليه من المأمور به ما يفسد، فلا يسلم له، ولهذا كانت العاقبة للتقوى، كما قال تعإلى : ﴿والعاقبة للتقوى ﴾ [طه : ١٣٢] ، ﴿والعاقبة للمتقين ﴾ [الأعراف : ١٢٨، والقصص : ٨٣] ، ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ [آل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٤٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥١

عمران : ١٢٠] . وذلك لأن المتقين بمنزلة من أكل الطعام النافع واتقى الأطعمة المؤذية فصح جسمه، وكانت عاقبته سليمة . وغير المتقى بمنزلة من خلط من الأطعمة فإنه وإن إغتذى بها لكن تلك التخاليط قد تورثه." (١)

"ص -١٧٢- فهذه الأمور العلمية الكلامية يحتاج المخبر بها أن يكون ما يخبر به عن الله واليوم الآخر وما كان وما يكون : حقا صوابا . وما يأمر به وينهى عنه كما جاءت به الرسل عن الله .
فهذا هو الصواب الموافق للسنة والشريعة، المتبع لكتاب الله وسنة رسوله كما أن العبادات التي يتعبد العباد بها إذا كانت مما شرعه الله وأمر الله به ورسوله : كانت حقا صوابا موافقا لما بعث الله به رسله . وما لم يكن كذلك من القسمين كان من الباطل والبدع المضلة والجهل وإن كان يسميه من يسميه علوما ومعقولات، وعبادات ومجاهدات، وأذواقا ومقامات .
ويحتاج أيضا أن يؤمر بذلك لأمر الله، وينهى عنه لنهي الله، ويخبر بما أخبر الله به، لأنه حق وإيمان وهدى كما أخبرت به الرسل . كما تحتاج العبادة أن يقصد بها وجه الله . فإذا قيل ذلك لاتباع الهوى والحمية، أو لإظهار العلم والفضيلة، أو لطلب السمعة والرياء : كان بمنزلة المقاتل شجاعة وحمية ورياء .
ومن هنا يتبين لك ما وقع فيه كثير من أهل العلم والمقال، وأهل العبادة والحال .
فكثيرا ما يقول هؤلاء من الأقوال ما هو خلاف." (٢)

"ص -١٤٠- ونهي عن منكر وعن الجهاد في سبيل الله؛ إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعإلى بل من جهة التكليف ونحو ذلك .
وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار؛ فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلما من مخالطة الظلمة في زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار، من الجمعة والجماعة، والحج والجهاد ونصيحة المسلمين والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة، كالأئمة الأربعة، وصار حالهم يذكر في اعتقاده أهل السنة والجماعة .
الجهة الثانية : من الاعتقاد الفاسد أنه إذا فعل الواجب والمشتبه وترك المحرم والمشتبه فينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة وبالعلم لا بالهوى وإلا فكثير من الناس تنفر نفسه عن اشياء

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥٤
(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥٧

لعادة ونحوها، فيكون ذلك مما يقوى تحريمها واشتباهها عنده ويكون بعضهم في أوهام وظنون كإذبة فتكون تلك الظنون مبناها على الورع الفاسد فيكون صاحبه ممن قال الله تعإلى فيه : ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم : ٢٣] ، وهذ حال أهل الوسوسة في النجاسات فإنهم من أهل الورع الفاسد المركب من نوع دين وضعف عقل وعلم . وكذلك ورع قوم يعدون غالب أموال الناس محرمة." (١)

"ص –٤٧٥– أو يقوم لغيرهم، أو يظلم من يبغضه، ويزيد من يحبه .

قال الله تعالى : ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها ﴾ [الأنعام : ١٥٢] . وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا **الهوى** أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ [النساء : ١٣٥] . والله أعلم .." (٢)

"ص –١٢٠– وبالجملة فهذه المسألة في قلوب المؤمنين أعظم من أن تحتاج إلى كثرة الأدلة؛ فإن الإيمان والقرآن يحرم مثل ذلك، لكن لما كان قد أباح مثل ذلك كثير من علماء المسلمين الذين لا ريب في علمهم ودينهم من التابعين ومن بعدهم وعلو قدرهم بنوع تأويل تأولوه احتيج إلى البسط في ذلك . ولهذا نظائر كثيرة، يكون القول ضعيفا جدا، وقد اشتبه أمره على كثير من أهل العلم والإيمان وسادات الناس؛ لأن الله لم يجعل العصمة عند تنازع المسلمين إلا في الرد إلى الكتاب والسنة، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق على **الهوى** .

فإن قيل : فقد قال : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ [النور : ٣] ، قيل : هذا يدل على أن الزاني الذي لم يتب لا يجوز أن يتزوج عفيفة، كما هو إحدى الروايتين عن أحمد؛ فإنه إذا كان يطأ هذه وهذه وهذه كما كان، كان وطؤه لهذه من جنس وطئه لغيرها من الزواني . وقد قال الشعبي : من زوج كريمته من فاجر فقد قطع رحمها .

وأيضا، فإنه إذا كان يزني بنساء الناس كان هذا مما يدعو المرأة إلى أن تمكن منها غيره، كما هو الواقع كثيرا، فلم أر من يزني بنساء الناس أو ذكران إلا فيحمل امرأته على أن تزني بغيره مقابلة على ذلك ومغايظة

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٦٠

.

وأيضا، فإذا كان عادته الزنا استغني بالبغايا، فلم يكف امرأته في الإعفاف، فتحتاج إلى الزنا .." (١)

"ص -٣٥٧- علي الوجه الذي يؤثرونه، حتى يقدمون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله، ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك .

الثالث : اتباع الظن وما تهوى الأنفس، حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة . وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنة والجماعة : كالخوارج، والروافض، والمعتزلة، ونحوهم . وقد قال تعالى في كتابه : ﴿ ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص : ٢٦] ، وقال في كتابه : ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] .

الرابع : التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا، ويعاديه، ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله ، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن، واللعن، والهمز، واللمز . وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله .." (٢)

"ص -٣٩٣- بالكتاب والسنة، وخيرهم الذي يحكم بلا هوى وتحرى العدل، وكثير منهم يحكمون **بالهوى**؛ ويحابون القوي ومن يرشوهم ونحو ذلك .

وكذلك كانت الأمصار التى ظهر فيها مذهب أهل المدينة، يكون فيها من الحكم بالعدل ما ليس في غيرها، من جعل صاحب الحرب متبعا لصاحب الكتاب، مالا يكون في الأمصار التى ظهر فيها مذهب أهل العراق ومن اتبعهم؛ حيث يكون في هذه والي الحرب غير متبع لصاحب العلم . وقد قال الله تعالى في كتابه : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم . . . ﴾ الاية [الحديد : ٢٥] فقوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر، وكفى بربك هاديا ونصيرا .

ودين الاسلام أن يكون السيف تابعا للكتاب، فاذا ظهر العلم بالكتاب والسنة وكان السيف تابعا لذلك كان أمر الاسلام قائما، وأهل المدينة أولى الأمصار بمثل ذلك . أما على عهد الخلفاء الراشدين فكان الأمر

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٦٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٠٠

كذلك، وأما بعدهم فهم في ذلك أرجح من غيرهم .

و أما اذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير، وكان السيف تارة يوافق الكتاب وتارة يخالفه، كان دين من هو كذلك بحسب ذلك، وهذه الأمور من اهتدى إليها وإلى أمثالها تبين له أن أصول أهل المدينة أصح من أصول أهل المشرق بما لا نسبة بينهما .." (١)

"ص -٤٠١- في كثير منها أكثر عقول الخلق، ويغلب **الهوى** والشهوات أكثر الخلق، لغلبة الشبهات والشهوات على النفوس .

والإنسان خلق ظلوما جهولا . فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائما إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه ورضاه وغضبه وفعله وتركه وإعطائه ومنعه، وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدل ينافي ظلمه . فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم . وقد قال الله تعالى لنبيه بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ [الفتح : ١ - ٣] .

فأخبر أنه فعل هذا؛ ليهديه صراطا مستقيما، فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره .

و [الصراط المستقيم] قد فسر بالقرآن، والإسلام، وطريق العبودية، فكل هذا حق، فهو موصوف بهذا وبغيره . فحاجته إلى هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته، بخلاف الحاجة إلى الرزق والنصر، فإن الله يرزقه . فإذا انقطع رزقه مات، والموت لابد منه، فإن كان من أهل الهداية، كان سعيدا بعد الموت، وكان الموت موصلا له إلى السعادة الدائمة الأبدية، فيكون رحمة في حقه .." (٢)

"ص -٢٤٠- بشيء من الذكر، فلا بأس، كالإمام إذا أسمعهم أحيانا الآية في صلاة السر، فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة : أنه أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحيانا . وثبت في الصحيح أن من الصحابة المأمومين، من جهر بدعاء حين افتتاح الصلاة، وعند رفع رأسه من الركوع، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . ومن أصر على فعل شيء من البدع وتحسينها، فإنه ينبغي أن يعزر تعزيرا يردعه، وأمثاله عن مثل ذلك .

ومن نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ، فإنه يعرف، فإن لم ينته، عوقب . ولا يحل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠١/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٥/

لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم، أو أدخل في الدين ما ليس منه .
وأما قول القائل : كل يعمل في دينه الذي يشتهي، فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها، وإلا عوقب، بل الإصرار على مثل هذه الكلمة يوجب القتل، فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله، دون ما يشتهيه ويهواه، قال الله تعالي : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال تعالي : ﴿ وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ [الأنعام : ١١٩] ، ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦] ، وقال : ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] ، وقال تعالى :." (١)

"وأهل العلم المأثور عن الرسول أعظم الناس قياما بهذه الأصول، لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصدهم عن سبيل الله العظائم، بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه، عملا بقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء : ١٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ [المائدة : ٨] . ولهم من التعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح، من السعي المشكور، والعمل المبرور، ما كان من أسباب حفظ الدين، وصيانته عن إحداث المفترين، وهم في ذلك على درجات : منهم المقتصر على مجرد النقل والرواية، ومنهم أهل المعرفة بالحديث والدراية، ومنهم أهل الفقه فيه، والمعرفة بمعانيه .." (٢)

"ص -٨٠- فصل: العبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع

فإن الإسلام مبنى على أصلين :

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثانى : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لا نعبده بالأهواء والبدع.

قال الله تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ الآية [الجاثية : ١٨، ١٩]

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٦٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٣

،وقال تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى : ٢١] .
فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم، من واجب ومستحب، لا نعبده بالأمور المبتدعة، كما ثبت فى السنن من حديث العرباض بن سارية . قال الترمذى : حديث حسن صحيح . وفى مسلم أنه كان يقول فى خطبته : " خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " .
وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلى إلا لله، ولا يصوم إلا لله،." (١)

"ص –١٤١– فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء، فإنا لا نعلم أحدا من السلف والأئمة قال : إنه يقسم به على الله كما لم يقولوا : إنه يقسم بهم مطلقا؛ ولهذا أفتى أبو محمد بن عبد السلام : أنه لا يقسم على الله بأحد من الملائكة والأنبياء وغيرهم، لكن ذكر له أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث فى الإقسام به فقال : إن صح الحديث كان خاصا به، والحديث المذكور لا يدل على الإقسام به، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت " ، وقال : " من حلف بغير الله فقد أشرك، والدعاء عبادة، والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع، لا على **الهوى** والابتداع . والله أعلم .." (٢)

"ص –١٩٧– فالصراط المستقيم هو ما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بفعل ما أمر، وترك ما حظر، وتصديقه فيما أخبر، ولا طريق إلى الله إلا ذلك، وهذا سبيل أولياء الله المتقين وحزب الله المفلحين وجند الله الغالبين .
وكل ما خالف ذلك فهو من طريق أهل الغي والضلال، وقد نزه الله تعالى نبيه عن هذا وهذا، فقال تعالى : ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن **الهوى** إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم : ١ ٤] ، وقد أمرنا الله سبحانه أن نقول فى صلاتنا : ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] .
وقد روى الترمذى وغيره عن عدى بن حاتم، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون " قال الترمذى : حديث صحيح . وقال سفيان بن عيينة : كانوا يقولون : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/٢
(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣/٢٩

وكان غير واحد من السلف يقول : احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

فمن عرف الحق ولم يعمل به أشبه اليهود الذىن قال الله فيهم : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ [البقرة : ٤٤] .." (١)

"ص -١٩٨- ومن عبد الله بغير علم، بل بالغلو والشرك أشبه النصارى الذين قال الله فيهم : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة : ٧٧] .

فالأول من الغاوين، والثانى من الضالين .

فإن الغى اتباع **الهوى**، والضلال عدم الهدى . قال تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ [الأعراف : ١٧٥، ١٧٦] ، وقال تعالى : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

ومن جمع الضلال والغى ففيه شبه من هؤلاء وهؤلاء . نسأل الله أن يهدينا وسائر إخواننا صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .." (٢)

"ص -٨٠- في كتب المقالات، من أهل ملتنا، وغير أهل ملتنا مقالات الإسلاميين المصلين، ومقالات غيرهم . وكثير من العباد المتأخرين أثبت أيضا ذلك إثباتا مجملا، وتوهموا فيه أنواعا من التوهمات الكفرية، الذي يصفها عارفوهم .

فمنهم من توهمه الوجود المطلق، المشترك بين الموجودات، كالإنسان المطلق مع أعيانه وأفراده، فإذا تعين الوجود لم يكن إياه؛ إذ المطلق ليس هو المعين، كما يقوله الصدر القونوي .

ومنهم من توهم أن وجود الممكنات هو عين وجوده الفائض عليها . كما يذكره صاحب الفصوص

ومنهم يتوهمه جملة الوجود، وكل معين فهو جزء منه، كالبحر مع أمواجه، وأعضاء الإنسان مع الإنسان .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/٦٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/٦٩

فليس هو ما يختص بكل معين، لكنه مجموع الكائنات، كالعفيف التلمساني، وعبد الله الفارسي البلياني، ويقولون : إن كل موجود فهو مرتبة من مراتب الوجود، أو مظهر من مظاهره، بمنزلة أمواج البحر معه، وأعضاء الإنسان معه، وأجزاء الهوى مع الهواء، أو بمنزلة هذا الإنسان وهذا الحيوان مع الحيوان المطلق والإنسان المطلق .

ويقول شاعرهم ابن إسرائيل :

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائق

وقال :

وتلتذ إن مرت على جسدي يدي لأني في التحقيق لست سواكم." (١)

"ص -٩٧- وهؤلاء هم عباد الله، وهم المؤمنون والمسلمون، وهم أولياء الله المتقون، وحزب الله المفلحون، وجند الله الغالبون، وهم أهل العلم النافع، والعمل الصالح، وهم الذين زكوا نفوسهم وكملوها، كملوا القوة النظرية العلمية،والقوة الإرادية العملية، كما قال تعالي : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ [ص : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ١-٤] ، وقال تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] ، وقال تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ [طه : ١٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٥] ، وقال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ٣] .." (٢)

"ص -١٨٦- وهؤلاء قالوا : إنه في جميع العالم، وإنه لم يزل، فقالوا بعموم ذلك ولزومه، والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه، حتى قال قائلهم : النصارى إنما كفروا لأنهم خصصوا .

وهذا المعنى قد ذكره ابن عربي في غير موضع من الفصوص، وذكر أن إنكار الأنبياء على عباد الأصنام إنما كان لأجل التخصيص، وإلا فالعارف المكمل من عبده في كل مظهر، وهو العابد والمعبود، وأن عباد الأصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منها، وأن موسى إنما أنكر على هارون لكون هارون

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٨/٢٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٥/٢٠

نهاهم عن عبادة العجل، لضيق هارون، وعلم موسى بأنهم ما عبدوا إلا الله، وأن هارون إنما لم يسلط على العجل ليعبدوا الله في كل صورة، وإن أعظم مظهر عبد فيه هو **الهوى**، فما عبد أعظم من **الهوى**، لكن ابن عربي يثبت أعيانا ثابتة في العدم .

وهذا ابن حمويه إنما أثبتها مشهودة في العلم فقط، وهذا القول هو الصحيح، لكن لا يتم معه ما طلبه من الاتحاد، ولهذا كان هو أبعدهم عن تحقيق الاتحاد وأقرب إلى الإسلام، وإن كان أكثرهم تناقضا وهذيانا، فكثرة الهذيان خير من كثرة الكفر .

ومقتضى كلامه هذا : أنه جعل وجوده مشروطا بوجود العالم، وإن كان له وجود ما غير العالم، كما أن نور العين مشروط بوجود الأجفان وإن كان قائما بالحدقة، فعلى هذا يكون الله مفتقرا إلى العالم محتاجا إليه كاحتياج نور العين." (١)

"ص -٢٥٣- ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات، ولم يقل : رفيع الدرجة، فكثر الدرجات في عين واحدة، فإنه قضى ألا يعبد إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة، أعطت كل درجة مجلى إلهيا عبد فيها، وأعظم مجلى عبد فيه، وأعلاه **الهوى** كما قال : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ [الجاثية : ٢٣] ، فهو أعظم معبود، فإنه لا يعبد شيء إلا به، ولا يعبد هو إلا بذاته . وفيه أقول :

وحق **الهوى** إن **الهوى** سبب **الهوى** ولولا **الهوى** في القلب ما عبد **الهوى**

ألا ترى علم الله بالأشياء ما أكمله ! كيف تمم في حق من عبد هواه، واتخذه إلها، فقال : ﴿ وأضله الله على علم ﴾ [الجاثية : ٢٣] والضلالة الحيرة، وذلك أنه لما رأى هذا العابد ما عبد إلا هواه، بانقياده لطاعته فيما يأمره به، من عبادة من عبده من الأشخاص، حتى إن عبادة الله كانت عن هوى أيضا، فإنه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى، وهو الإرادة بمحبة ما عبد الله، ولا آثره على غيره .

وكذلك كل من عبد صورة ما من صور العالم، واتخذها إلها ما اتخذها إلا **بالهوى**، فالعابد لا يزال تحت سلطان هواه، ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدين، فكل عابد أمرا ما يكفر من يعبد سواه، والذي عنده أدنى تنبه يحار لاتحاد **الهوى**، بل لإحدنة **الهوى** كما ذكر، فإنه عين واحدة في كل عابد ف ﴿ وأضله الله ﴾ أي حيره الله على علم، بأن كل عابد ما عبد إلا هواه، ولا استعبده إلا هواه، سواء." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٤/٢٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢١/٢٤

"ص –٢٩٠– صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [الأنفال : ٧١] ، ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾ [الفتح : ١٠]

وفيه لأوحد الدين الكرماني :

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

وقال غيره :

لا تحسب بالصلاة والصوم تنال قربا ودنوا من جمال وجلال

فارق ظلم الطبع وكن متحدا بالله وإلا كل دعواك محال

وغيره للحلاج :

إذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر

يشاهد حقا حين يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر

وللشيخ نجم الدين ابن إسرائيل :

الكون يناديك ألا تسمعني من ألف أشتاتي ومن فرقني

انظر لتراني منظرا معتبرا ما في سوى وجود من أوجدني

وله أيضا :

ذرات وجود الكون للحق شهود أن ليس لموجود سوى الحق وجود

والكون وإن تكثرت عدته منه وإلى علاه يبدو ويعود." (١)

"ص –٣٤٣– وكان التلمساني قد أضل شيخا زاهدا عابدا ببيت المقدس يقال له : أبو يعقوب المغربي المبتلى، حتى كان يقول : الوجود واحد، وهو الله ولا أرى الواحد، ولا أرى الله، ويقول : نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود، والوجود واحد لا ثنوية فيه، ويجعل هذا الكلام له تسبيحا، يتلوه كما يتلو التسبيح

وأما قول الشاعر :

إذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر

فشاهد حقا حين يشهده الهوى أن صلاة العارفين من الكفر

فهذا الكلام مع أنه كفر هو كلام جاهل لا يتصور ما يقول، فإن الفناء والغيب : هو أن يغيب بالمذكور عن

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/٢٥

الذكر، وبالمعروف عن المعرفة، وبالمعبود عن العبادة، حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، وهذا مقام الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين؛ لعجزهم عن كمال الشهود المطابق للحقيقة، بخلاف الفناء الشرعي، فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، فإن هذا تحقيق التوحيد والإيمان .

وأما النوع الثالث من الفناء وهو الفناء عن وجود السوي بحيث يرى أن وجود الخالق هو وجود المخلوق فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة أهل الوحدة .." (١)

"ص -٤١٥- جهة الحال والهوى يخصون بعض الأعيان كما هو الواقع لشبهة اختصاصه ببعض الأحكام الكونية، وسنتكلم عليهم إن شاء الله في الحلول الفاسد .

وإنما ذكرتهم هنا لما أردت أن أذكر كل ما فيه شوب اتحاد أو حلول بحق، فنبهت على ذلك ليفطن لموضع ضلالهم، فإذا علم حقيقة هذه الأمور علم حقيقة قول النبي صلى الله عليه وسلم : " أصدق كلمة قالها الشاعر : كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل "

فإن الباطل ضد الحق، والله هو الحق المبين .

والحق له معنيان، أحدهما : الوجود الثابت، والثاني : المقصود النافع، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : " الوتر حق "

والباطل نوعان أيضا :

أحدهما : المعدوم . وإذا كان معدوما كان اعتقاد وجوده والخبر عن وجوده باطلا، لأن الاعتقاد والخبر تابع للمعتقد المخبر عنه، يصح بصحته، ويبطل ببطلانه، فإذا كان المعتقد المخبر عنه باطلا كان الاعتقاد والخبر كذلك، وهو الكذب .

الثاني : ما ليس بنافع ولا مفيد، كقوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾ [ص : ٢٧] ، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم : "كل لهو يلهو." (٢)

"ص -٤٦٨- عباد الأصنام ما أخطؤوا إلا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر، والعارف يعبد كل شيء .

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦١/٢٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٥/٢٦

والله يعبد أيضا كل شيء لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والأحكام، وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير إليها وهي فقيرة إليه، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى، ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة، وإضافة بين الوجود والثبوت وليست أمورا عدمية .

ويقولون : من أسمائه الحسنى : العلى، عن ماذا وما ثم إلا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات وهي العلة لذاتها وليست إلا هو، وما نكح سوى نفسه، وما ذبح سوى نفسه، والمتكلم هو عين المستمع .

وأن موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه وأن موسى كان أوسع في العلم، فعلم أنهم لم يعبدوا إلا الله، وأن أعلى ما عبد الهوى، وأن كل من اتخذ إلهه هواه فما عبد إلا الله، وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين، وقد صدقه السحرة في قوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] ، وفي قوله : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القصص : ٣٨] .

وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين، وأقول : إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون، المنكر لوجود الخالق الصانع، حتى حدثني بعض عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون، ويقولون : نحن على قول فرعون .." (١)

"ص -١٦٤- أرسلت من أحضرها، ومعها كراريس بخطى من المنزل، فحضرت [العقيدة الواسطية] .

وقلت لهم : هذه كان سبب كتابتها أنه قدم علي من أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له : رضى الدين الواسطى من أصحاب الشافعي قدم علينا حاجا، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد، وفي دولة التتر من غلبة الجهل، والظلم،ودروس الدين والعلم، وسألنى أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك، وقلت : قد كتب الناس عقائد متعددة، فخذ بعض عقائد أئمة السنة . فألح في السؤال، وقال : ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت،فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق، وغيرهما .

فأشار الأمير بألا أقرأها أنا لرفع الريبة، وأعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين، فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا، والجماعة الحاضرون يسمعونها، ويورد المورد منهم ما شاء ويعارض فيما شاء . والأمير أيضا : يسأل عن مواضع فيها، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين، من الخلاف والهوى، ما قد علم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨/٢٧

الناس بعضه، وبعضه بسبب الاعتقاد، وبعضه بغير ذلك .

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس؛ فإنه." (١)

"ص -١٧٤- أن التعيير لأجله، ولكونه قاضي المذهب، ولم ينتصر لأصحابه، وأن الشيخ كمال الدين قصده بذلك، فغضب قاضي القضاة نجم الدين . وقال : اشهدوا على أني عزلت نفسي، وأخذ يذكر ما يستحق به التقديم، والاستحقاق، وعفته عن التكلم في أعراض الجماعة، ويستشهد بنائب السلطان في ذلك . وقلت له كلاما مضمونه تعظيمه واستحقاقه لدوام المباشرة في هذه الحال .

ولما جاءت مسألة القرآن ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله . غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود، وطلبوا تفسير ذلك .

فقلت : أما هذا القول، فهو المأثور الثابت عن السلف،مثل ما نقله عمرو بن دينار، قال : أدركت الناس منذ سبعين سنة، يقولون : الله الخالق، وما سواه مخلوق إلا القرآن، فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود .

وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والصحابة والتابعين، كالحافظ أبي الفضل ابن ناصر، والحافظ أبي عبد الله المقدسي . وأما معناه : فإن قولهم : منه بدأ، أي : هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقول الجهمية : إنه خلق في **الهوى** أو غيره، أو بدأ من عند غيره .

وأما إليه يعود : فإنه يسري به في آخر الزمان، من المصاحف والصدور،فلا." (٢)

"ص -٣٤٦- وأما الفرق الباقية، فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية، فضلا عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة . وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع . فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة .

وأما تعيين هذه الفرق، فقد صنف الناس فيهم مصنفات، وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة . . . [هنا كلمة لم تظهر بالأصل] هي إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل، فإن الله حرم القول بلا علم عموما، وحرم القول عليه بلا علم خصوصا، فقال تعالى : ﴿قل إنما حرم ربي

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/٣٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/٣٤

الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٨، ١٦٩] ، وقال تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ [الإسراء : ٣٦].

وأيضا، فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن **والهوى**، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة، ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين، فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن **الهوى**، إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست." (١)

"ص -٣٥٠- بما جاء فيهم، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة " .

وقد كان أولهم خرج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى قسمة النبي صلى الله عليه وسلم قال : يامحمد، اعدل؛ فإنك لم تعدل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " لقد خبت وخسرت إن لم أعدل " فقال له بعض أصحابه : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال : " إنه يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم " الحديث .

فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن **والهوى**، كما طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه .

وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط، ثم عبد الله بن المبارك وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين قالا : أصول البدع أربعة : الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة .

فقيل لابن المبارك : والجهمية ؟ فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد . وكان يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية . وهذا الذي قاله اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا :." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٤٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/٤٣

"ص -٣٨٤- وأضل الضلال اتباع الظن **والهوى**، كما قال الله تعالى في حق من ذمهم : ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ [النجم : ٢٣] ، وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن **الهوى** إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ١-٤]

فنزهه عن الضلال والغواية، اللذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الذي يتبع هواه، وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس، بل هو وحي أوحاه الله إليه، فوصفه بالعلم ونزهه عن **الهوى** .

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدعها طوائف ممن ينتسب إلى السنة وقد مرق منها، وصار من أكابر الظالمين . وهي فصول :." (١)

"ص -٤٢٠- حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن **والهوى**، بلا برهان من الله تعالى . وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن كان هكذا .

فهذا فعل أهل البدع؛ كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم .

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله . وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه .

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله، ويؤخر من أخره الله ورسوله، ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله، وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يدا واحدة، فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفره، وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة ؟ ! ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين، فليس كل من أخطأ يكون كافرا ولا فاسقا، بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وقد قال تعالى في كتابه في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وثبت في الصحيح أن الله قال : " قد فعلت " .

لا سيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام، مثل أن يكون مثلكم." (٢)

"ص -٢٩- وكيف يليق بمثل هؤلاء أن ينسبوا إلى الحشو أهل الحديث والسنة الذين هم أعظم الناس علما ويقينا وطمأنينة وسكينة وهم الذين يعلمون ويعلمون أنهم يعلمون وهم بالحق يوقنون لا يشكون

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤/٤٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦١/٤٥

ولا يمترون فأما ما أوتيه علماء أهل الحديث وخواصهم من اليقين والمعرفة والهدى فأمر يجل عن الوصف ولكن عند عوامهم من اليقين والعلم والنافع ما لم يحصل منه شيء لأئمة المتفلسفة المتكلمين وهذا ظاهر مشهود لكل أحد غاية ما يقوله أحدهم أنهم جزموا بغير دليل وصمموا بغير حجة وإنما معهم التقليد وهذا القدر قد يكون في كثير من العامة لكن جزم العلم غير جزم **الهوى** فالجازم بغير علم يجد من نفسه أنه غير عالم بما جزم به، والجازم بعلم يجد من نفسه أنه عالم اذ كون الإنسان عالما وغير عالم مثل كونه سامعا ومبصرا وغير سامع ومبصر فهو يعلم من نفسه ذلك مثل ما يعلم من نفسه كونه محبا ومبغضا ومريدا وكارها ومسرورا ومحزونا ومنعما ومعذبا وغير ذلك ومن شك في كونه يعلم مع كونه يعلم فهو بمنزلة من جزم بأنه علم وهو لا يعلم وذلك نظير من شك في كونه سمع ورأى أو جزم بأنه سمع ورأى ما لم يسمعه ويراه والغلط أو الكذب يعرض للإنسان في كل واحد من طرفي النفي والإثبات لكن هذا الغلط أو الكذب العارض لا يمنع أن يكون الإنسان جازما بما لا يشك فيه من ذلك كما يجزم بما يجده من الطعوم والأراييح وإن كان قد يعرض له من الانحراف ما يجد به الحلو مرا." (١)

"ص -٣٠- فالأسباب العارضة لغلط الحس والباطن أو الظاهر والعقل بمنزلة المرض العارض لحركة البدن والنفس والأصل هو الصحة في الإدراك وفي الحركة فإن الله خلق عباده على الفطرة وهذه الأمور يعلم الغلط فيها بأسبابها الخاصة كالمرة الصفراء العارضة للطعم وكالحول في العين ونحو ذلك وإلا فمن حاسب نفسه على ما يجزم به وجد أكثر الناس الذين يجزمون بما لا يجزم به إنما جزمهم لنوع من **الهوى** كما قال تعالى (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) وقال ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولهذا تجد اليهود يصممون ويصرون على باطلهم لما في نفوسهم من الكبر والحسد والقسوة وغير ذلك من الأهواء وأما النصارى فأعظم ضلالا منهم وإن كانوا في العادة والأخلاق أقل منهم شرا فليسوا جازمين بغالب ضلالهم بل عند الاعتبار تجد من ترك **الهوى** من الطائفتين ونظر نوع نظر تبين له الإسلام حقا والمقصود هنا أن معرفة الإنسان بكونه يعلم أو لا يعلم مرجعه إلى وجود نفسه عالمة ولهذا لا نحتج على منكر العلم إلا بوجودنا نفوسنا عالمة كما احتجوا على منكري الأخبار المتواترة بأنا نجد نفوسنا عالمة بذلك وجازمة به كعلمنا وجزمنا بما أحسسناه وجعل المحققون وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٠/٤٧

إذ لم يحدوه بعدد ولا صفة بل متى حصل العلم كان هو المعتبر والإنسان يجد نفسه عالمة وهذا حق." (١)

"ص -٥٧- الزهري يقول : كان علماؤنا يقولون : الاعتصام بالسنة هو النجاة، وقال مالك : السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق .

وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم، الذي يوصل العباد إلى الله . والرسول هو الدليل الهادي الخريت- [الخريت : الدليل الحاذق] - في هذا الصراط، كما قال تعالى : ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ [الأحزاب : ٤٥،٤٦] ، وقال تعالى : ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [الشورى : ٥٢،٥٣] ، وقال تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقال عبد الله بن مسعود : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، وخط خطوطا عن يمينه وشماله، ثم قال : (هذا سبيل الله، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) . ثم قرأ : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

وإذا تأمل العاقل ـ الذي يرجو لقاء الله ـ هذا المثال، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، والرافضة، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم، وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث، ويدعي أن سبيله هو الصواب، وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم،الذي لا يتكلم عن **الهوى**، إن هو إلا وحي يوحى .

والعجب أن من هؤلاء من يصرح بأن عقله إذا عارضه الحديث ـ لاسيما." (٢)

"ص -١٨٩- قول المثبتة معلوم بالضرورة ولا أن قولهم مكابرة للعقل، وإن شنعوا عليهم بأشياء ينفر عنها كثير من الناس، فذاك ليستعينوا بنفرة النافرين على دفعهم، وإخماد قولهم، لا لأن نفور النافرين عنهم يدل على حق أو باطل، ولا لأن قولهم مكابرة للعقل، أو معلوم بضرورة العقل، أو ببديهته فساده . هذا لم أعلم أحدا من أئمة النفاة أهل النظر يدعيه في شيء من أقواله المثبتة، وإن كان فيها من الغلو ما فيها .

ومن المعلوم أن مجرد نفور النافرين، أو محبة الموافقين، لا يدل على صحة قول ولا فساده إلا إذا كان ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣١/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٨/٤٧

بهدى من الله، بل الاستدلال بذلك هو استدلال باتباع **الهوى** بغير هدى من الله . فإن اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه، ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله . قال تعالى : ﴿وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ [الأنعام : ١١٩] ، وقال : ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] وقال تعالى لداود : ﴿ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦] وقال تعالى : ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ [الأنعام : ١٥٠] ، وقال تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] ،." (١)

"ص -٤٣٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فائدة

ومما ينبغي أن يعلم : أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة، والاستغفار للطائفتين جميعا وموالاتهم، فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من العسكر لم يكن إلا مجتهدا متأولا؛ كالعلماء، بل فيهم المذنب والمسيء، وفيهم المقصر في الاجتهاد لنوع من **الهوى**، لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة .

وأهل السنة تحسن القول فيهم وتترحم عليهم، وتستغفر لهم، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب، وعلى الخطأ في الاجتهاد، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ، لكن هم كما قال تعالى : ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم ﴾ الآية [الأحقاف : ١٦] .

وفضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها لا بصورها .." (٢)

"ص -٥٧٣- والحرف المضعف كما يقولون : تقضى البازي وتقضض، وصبا يصبو : معناه : مال، وسمي الصبي صبيا؛ لسرعة ميله . قال الجوهري : والصبي أيضا من الشوق، يقال منه : تصابي، وصبا يصبو صبوة وصبوا، أي : مال إلى الجهل والفتوة، وأصبته الجارية .

وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرأ : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين﴾

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩٥/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٣/٦٦

بلا همزة في قراءة نافع، فإنه لا يهمز ﴿ الصابئين﴾ في جميع القرآن . وبعضهم قد حمده الله تعالى وكذلك يقال : حن إليه حنينا، ومنه : حنه في الاشتقاق الأكبر يحنو عليه حنوا . قال الجوهري : حنوت عليه عطفت عليه، ويحني عليه، أي : يعطف، مثل تحنن، كما قال الشاعر :

تحنى عليك النفس من لاعج **الهوى** فكيف تحنيها وأنت تهينها ؟

وقال : الحنين : الشوق وتوقان النفس، ويقال : حن إليه يحن حنينا، فهو حان والحنان الرحمة . يقال : حن عليه يحن حنانا، ومنه قوله تعالى : ﴿ وحنانا من لدنا﴾ [مريم : ١٣] . والحنان بالتشديد : ذو الرحمة، وتحنن عليه : ترحم، والعرب تقول : حنانيك يا رب، وحنانك، بمعنى واحد، أي : رحمتك، وهذا كلام الجوهري .

وفي الأثر في تفسير [الحنان، المنان] : أن الحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وهذا باب واسع .." (١)

"ص -١٢٤- وقال النبي صلى الله عليه وسلم للذي آثر هو وامرأته ضيفهما : [لقد عجب الله [،وفي لفظ في الصحيح : " لقد ضحك الله الليلة من صنعكما البارحة " ، وقال : " إن الرب ليعجب من عبده إذا قال : رب اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . يقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا، وقال : " عجب ربك من شاب ليست له صبوة " [قوله : ليست له صبوة أي : ميل إلى **الهوى** [،وقال : " عجب ربك من راعي غنم على رأس شظية، يؤذن ويقيم، فيقول الله : انظروا إلى عبدي " [قوله : شظية أي : قطعة مرتفعة في رأس الجبل انظر] أو كما قال . ونحو ذلك .." (٢)

"ص -٢٨٦- متغير، وقد يكون متحركا غير متغير، ومتحركا غير آفل .

وإن كان التغير أخص من التحرك على أحد الاصطلاحين، فإن لفظ الحركة قد يراد بها الحركة المكانية، وهذه لا تستلزم التغير . وقد يراد به أعم من ذلك، فالحركة في الكيف والكم، مثل حركة النبات بالنمو، وحركة نفس الإنسان بالمحبة، والرضا، والغضب، والذكر .

فهذه الحركة قد يعبر عنها بالتغير، وقد يراد بالتغير في بعض المواضع الاستحالة .

ففي الجملة الاحتجاج بلفظ التغير إن كان سمعيا فالأفول ليس هو التغير، وإن كان عقليا، فإن أريد بالتغير الذي يمتنع على الرب محل النزاع، لم يحتج به . وإن أريد به مواقع الإجماع فلا منازعة فيه .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٦٣/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٩/٨٨

وأفسد من هذا قول من يقول : الأفول هو الإمكان، كما قاله ابن سينا : إن **الهوى** في حضيرة الإمكان أفول بوجه ما، فإنه يلزم على هذا أن يكون كل ما سوى الله آفلا، ولا يزال آفلا، فإن كل ما سواه ممكن، ولا يزال مم كنا، ويكون الأفول وصفا لازما لكل ما سوى الله، كما أن كونه ممكنا وفقيرا [في المطبوعة ممكن و فقير والصواب ما أثبتناه] إلى الله وصف لازم له .

وحينئذ، فتكون الشمس، والقمر،والكواكب، لم تزل ولا تزال آفلة." (١)

"ص -٣٧٠- آدم إليه أنه خلقه بيديه، يوجب أن يكون خلقه بيديه أنه قد فعله بيديه، وخلق هؤلاء بقوله : كن فيكون، كما جاءت به الآثار .

ومن ذلك أنهم إذا قالوا : بيده الملك، أو عملته يداك، فهما شيئان : أحدهما : إثبات اليد . والثاني : إضافة الملك والعمل إليها، والثاني يقع فيه التجوز كثيرا، أما الأول فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة، ولا يقولون : يد **الهوى** ولا يد الماء، فهب أن قوله : بيده الملك، قد علم منه أن المراد بقدرته، لكن لا يتجوز بذلك إلا لمن له يد حقيقة .

والفرق بين قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ [ص : ٧٥] وقوله : ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ [يس : ٧١] من وجهين :

أحدهما : أنه هنا أضاف الفعل إليه، وبين أنه خلقه بيديه، وهناك أضاف الفعل إلى الأيدي .

الثاني : أن من لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس، كقوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فا قطعوا أيديهما ﴾ [المائدة : ٣٨] أي : يديهما، وقوله : ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ [التحريم : ٤] أي : قلباكما، فكذلك قوله : ﴿ مما عملت أيدينا أنعاما ﴾ .

وأما السنة فكثيرة جدا، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " المقسطون عند." (٢)

"ص -٢٠- الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فينزع عنه، وهذا كقوله تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] ، وقوله : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن : ٤٦] . قال مجاهد وغيره من المفسرين : هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر مقامه بين يدي الله، فيتركها خوفا من الله .

وإذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته ومخافته، فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور، وترك

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٩٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٩٨

المحظور . قال سهل بن عبد الله : ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق إليه أقرب من الافتقار، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله . ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ [الأعراف : ١٥٤] ، فأخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله .

قال مجاهد وإبراهيم : هو الرجل يريد أن يذنب الذنب، فيذكر مقام الله، فيدع الذنب . رواه ابن أبي الدنيا، عن ابن الجعد، عن شعبة، عن منصور، عنهما، في قوله تعالى : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ . وهؤلاء هم أهل الفلاح المذكورون في قوله تعالى : ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة : ٥] . وهم [المؤمنون] ، وهم [المتقون] المذكورون في قوله تعالى : ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [البقرة : ١، ٢] ، كما قال في آية البر : ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة : ١٧٧] . وهؤلاء هم المتبعون للكتاب، كما في قوله تعالى : ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ [طه : ١٢٣] . وإذا لم يضل فهو متبع مهتد،." (١)

"ص -١٩١- مع خشيته، كما قال تعالى : ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ [ق : ٣٢ ، ٣٣] ، ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله .

والثاني : ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار، فإنما ذاك؛ لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق . وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع، وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره، ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوي النفس، يحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه، وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل، والرسل على الحق . ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل، إنما يعتمدون على مخالفة

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/١١١

أهوائهم، كقولهم لنوح﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ، ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه، لكن كرهوا مشاركة أولئك،." (١)

"ص -٥٢٩- لهم قصد في الخير بلا معرفة له، وينضم إلى ذلك الظن، واتباع الهوى، فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة، ولا قصد نافع، بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب : ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك، كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى، بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب، وعمل القلب.." (٢)

"وكذلك ذكر الله الكبر في قوله بعد أن قال : ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء ﴾ إلى أن قال : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾ [الأعراف : ١٤٥، ١٤٦] . وهذا حال الذي لا يعمل بعلمه بل يتبع هواه وهو الغاوي كما قال : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٥، ١٧٦] ، وهذا مثل علماء السوء، وقد قال لما رجع موسى إليهم : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ، فالذين يرهبون ربهم، خلاف الذين يتبعون أهواءهم، كما قال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] .." (٣)

"ص -٣٥٩- فكذلك الحب المشبه لهم إذ كان سياق الكلام يدل عليه إذا قال : يحب زيدا كحب عمرو، أو يحب عليا كحب أبي بكر، أو يحب الصالحين من غير أهله كحب الصالحين من أهله، أو قيل : يحب الباطل كحب الحق، أو يحب سماع المكاء والتصدية كحب سماع القرآن، وأمثال ذلك لم يكن

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١٨/١١١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٦/١١٣

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧٤/١١٣

المفهوم إلا أنه هو المحب للمشبه والمشبه به، وأنه يحب هذا كما يحب هذا، لا يفهم منه أنه يحب هذا كما يحب غيره هذا . إذ ليس في الكلام ما يدل على محبة غيره أصلا .

والمقصود أن المحبة تكون لما يتخذ إلها من دون الله، وقد قال تعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية : ٢٣] ، فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، فما هويه هوية إلهه، فهو لا يتأله من يستحق التأله، بل يتأله ما يهواه وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم، و محبة عباد العجل له، وهذه محبة مع الله لا محبة لله، وهذه محبة أهل الشرك .

والنفوس قد تدعي محبة الله، وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه، وقد أشركته في الحب مع الله، وقد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمي ويصم .

وهكذا الأعمال التي يظن الإنسان ، أنه يعملها لله، وفي نفسه شرك قد خفى." (١)

"ص – ٥٥٠– له، وإذا كان آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مجاهدا في سبيله، كان ما قدر له من كفر الكفار سبب للخير في حقه، وكذلك إذا دعاه الشيطان والهوى كان ذلك سببا لما حصل له من الخير، فيكون ما يقدر من الشر إذا نازعه ودافعه، كما أمره الله ورسوله سببا لما يحصل له من البر والتقوى وحصول الخير والثواب وارتفاع الدرجات .

فهذا وأمثاله مما يبين معنى هذا الكلام . والله أعلم .." (٢)

"ص – ٢٩٤– لفظ [النفس] يعبر به عن النفس المتبعة لهواها أو عن اتباعها الهوى، بخلاف لفظ " الروح " فإنها لا يعبر بها عن ذلك؛ إذ كان لفظ [الروح] ليس هو باعتبار تدبيرها للبدن .

ويقال : النفوس ثلاثة أنواع، وهي :

[النفس الأمارة بالسوء] التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي .

و [النفس اللوامة] وهي التي تذنب وتتوب فعنها خير وشر، لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت، فتسمى لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ؛ ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر .

و [النفس المطمئنة] وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده، وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خلقا وعادة وملكة، فهذه صفات وأحوال لذات واحدة، وإلا فالنفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣٣/٥٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٤/٥

وقد قال طائفة من المتفلسفة الأطباء : إن النفوس ثلاثة : نباتية، محلها الكبد . وحيوانية ،محلها القلب . وناطقية، محلها الدماغ .

وهذا إن أرادوا به أنها ثلاث قوى تتعلق بهذه الأعضاء فهذا مسلم، وإن أرادوا أنها ثلاثة أعيان قائمة بأنفسها فهذا غلط بين .." (١)

"ص -٣١٤- ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ [الروم : ٣٠] ، وإنما يحول بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيره من فتن الدنيا، ومطالب الجسد، وشهوات النفس، فهو في هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال، أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق، فيكون كالعين التي فيها قذى لا يمكنها رؤية الأشياء .

ثم **الهوى** قد يعترض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه، فلا يتبين له الحق كما قيل : " حبك الشيء يعمي ويصم " ، فيبقى في ظلمه الأفكار،وكثيرا ما يكون ذلك عن كبر يمنعه عن أن يطلب بالحق، ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ [النحل : ٢٢] .

وقد يعرض له **الهوى** بعد أن عرف الحق فيجحده ويعرض عنه، كما قال ربنا سبحانه فيهم : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا ب١٥ وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

ثم القلب للعلم كالإناء للماء، والوعاء للعسل، والوادي للسيل،كما قال تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ الآية [الرعد : ١٧] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير،." (٢)

"ص -٤٠- /قال تعالى : ﴿والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [سورة العصر] ، وقال تعالى : ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ [ص : ٤٥] .

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول الضلال، وضد الثاني الغي، فالضلال العمل بغير علم، والغي اتباع **الهوى** . قال تعالى : ﴿والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ [

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/١٥١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠/١٥٣

النجم : ١، ٢] ، فلا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر، ولهذا قال على : ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال : ألا لا إيمان لمن لا صبر له .

وأما الرضا، فقد تنازع العلماء والمشائخ من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء : هل هو واجب أو مستحب ؟ على قولين : فعلى الأول يكون من أعمال المقتصدين، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين . قال عمر بن عبد العزيز : الرضا عزيز ولكن الصبر معول المؤمن . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس : " إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا " .." (١)

"ص -١٢٧- فإن الخلق ما صار عادة للنفس، وسجية، قال تعالى : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم : ٤] ، قال ابن عباس، وابن عيينة، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم على دين عظيم، وفي لفظ عن ابن عباس : على دين الإسلام، وكذلك قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن . وكذلك قال الحسن البصري : أدب القرآن هو الخلق العظيم .

وأما **الهوى**، فقد يكون عارضا، والداء هو المرض، وهو تألم القلب والفساد فيه، وقرن في الحديث الأول الحسد بالبغضاء؛ لأن الحاسد يكره أولا فضل الله على ذلك الغير، ثم ينتقل إلى بغضه، فإن بغض اللازم يقتضى بغض الملزوم، فإن نعمة الله إذا كانت لازمة وهو يحب زوالها، وهي لا تزول إلا بزواله أبغضه وأحب عدمه، والحسد يوجب البغي، كما أخبر الله تعالى عمن قبلنا : أنهم اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، فلم يكن اختلافهم لعدم العلم، بل علموا الحق ولكن بغى بعضهم على بعض، كما يبغى الحاسد على المحسود .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام " ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته من رواية أنس أيضا : "والذي." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٣/١٥٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٩/١٥٦

"ص -١٣٠- الدماغ كالماليخوليا؛ ولهذا قيل فيه : هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، وأما من أمراض البدن كالضعف والنحول ونحو ذلك .

والمقصود هنا مرض القلب؛ فإنه أصل محبة النفس لما يضرها كالمريض البدن الذي يشتهى ما يضره . وإذا لم يطعم ذلك تألم، وإن أطعم ذلك قوى به المرض وزاد .

كذلك العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملامسة وسماعا، بل ويضره التفكر فيه والتخيل له وهو يشتهي ذلك، فإن منع من مشتهاه تألم وتعذب، وإن أعطى مشتهاه قوي مرضه، وكان سببا لزيادة الألم .

وفي الحديث : "إن الله يحمي عبده المؤمن الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب " ، وفي مناجاة موسى المأثورة عن وهب التي رواها الإمام أحمد في كتاب [الزهد] يقول الله تعالى : "إني لأذود أوليائي عن نعيم الدنيا ورخائها، كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مراتع الهلكة، وإني لأجنبهم سكونها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة، وما ذلك لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ولم يطفئه **الهوى** " . وإنما شفاء المريض بزوال مرضه، بل بزوال ذلك الحب المذموم من قلبه .

والناس في العشق على قولين :." (١)

"ص -١٣٣- فأما إذا ابتلى بالعشق وعف وصبر، فإنه يثاب على تقواه لله، وقد روى في الحديث : "أن من عشق فعف وكتم وصبر ثم مات كان شهيدا " وهومعروف من رواية يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا، و فيه نظر ولا يحتج بهذا .

لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات نظرا وقولا وعملا، وكتم ذلك فلم يتكلم به حتى لا يكون في ذلك كلام محرم، إما شكوى إلى المخلوق وإما إظهار فاحشة، وإما نوع طلب للمعشوق، وصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى ما في قلبه من ألم العشق، كما يصبر المصاب عن ألم المصيبة، فإن هذا يكون ممن اتقى الله وصبر، ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [يوسف : ٩٠] .

وهكذا مرض الحسد وغيره من أمراض النفوس، وإذا كانت النفس تطلب ما يبغضه الله فينهاها خشية من الله كان ممن دخل في قوله : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** . فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٢/١٥٦

فالنفس إذا أحبت شيئا سعت في حصوله بما يمكن، حتى تسعى في أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية، فمن أحب محبة مذمومة أو أبغض بغضا مذموما وفعل ذلك كان آثما، مثل أن يبغض شخصا لحسده له فيؤذي من له به تعلق، إما بمنع حقوقهم، أو بعدوان عليهم . أو لمحبة له." (١)

"ص -١٤٤- يحتمون ولا يصبرون على الأدوية الكريهة لما في ذلك من تعجيل نوع من الراحة واللذة، ولكن ذلك يعقبهم من الآلام ما يعظم قدره، أو يعجل الهلاك .

فكذلك بنو آدم هم جهال ظلموا أنفسهم، يستعجل أحدهم ما ترغبه لذته ويترك ما تكرهه نفسه، مما هو لا يصلح له، فيعقبهم ذلك من الألم والعقوبات، إما في الدنيا وإما في الآخرة ما فيه عظم العذاب والهلاك الأعظم .

والتقوى : هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه، فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع، وأما استعمال النافع فقد يكون معه أيضا استعمالا لضار، فلا يكون صاحبه من المتقين .

وأما ترك استعمال الضار والنافع فهذا لا يكون؛ فإن العبد إذا عجز عن تناول الغذاء كان مغتذيا بما معه من المواد التي تضره حتى يهلك؛ ولهذا كانت العاقبة للتقوى، وللمتقين؛ لأنهم المحتمون عما يضرهم فعاقبتهم الإسلام والكرامة، وإن وجدوا ألما في الابتداء لتناول الدواء والاحتماء، كفعل الأعمال الصالحة المكروهة . كما قال تعالى : ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

ولكثرة الأعمال الباطلة المشتهاة، كما قال تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** . فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] .." (٢)

"ص -١٤٨- أمراض النفس، ما إذا اتقى العبد ربه فيه وصبر عليه حتى مات كان شهيدا، كالجبان الذي يتقي الله ويصبر للقتال حتى يقتل، فإن البخل والجبن من أمراض النفوس إن أطاعه أوجب له الألم، وإن عصاه تألم كأمراض الجسم .

وكذلك العشق، فقد روى : "من عشق فعف وكتم وصبر، ثم مات مات شهيدا " فإنه مرض في النفس، يدعو إلى ما يضر النفس، كما يدعو المريض إلى تناول ما يضر . فإن أطاع هواه عظم عذابه في الأخرة وفي الدنيا أيضا، وإن عصى **الهوى** بالعفة والكتمان صار في نفسه من الألم والسقم ما فيها، فإذا مات من

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٥/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨/١٥٧

ذلك المرض كان شهيدا، هذا يدعوه إلى النار فيمنعه كالجبان تمنعه نفسه عن الجنة فيقدمها .

فهذه الأمراض إذا كان معها إيمان وتقوى كانت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر، كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له " .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما .." (١)

"ص -٢٦٢- فصاحب **الهوى** الذي اتبع هواه بغير هدى من الله، له نصيب ممن اتخذ إلهه هواه، فصار فيه شرك منعه من الاستغفار، وأما من حقق التوحيد والاستغفار، فلابد أن يرفع عنه الشر؛فلهذا قال ذو النون : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع، كقوله تعالى : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ [محمد : ١٩] ، وقوله : ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير . وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ [هود : ٢، ٣] ، وقوله : ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ إلى قوله : ﴿وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ [هود : ٥٠ ٥٢] ، وقوله : ﴿فاستقيموا إليه واستغفروه ﴾ [فصلت : ٦] .

وخاتمة المجلس : "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك " إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه، وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له، وقد روى أيضا أنها تقال في آخر الوضوء بعد أن يقال : "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين " .

وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار، فإن صدره الشهادتان." (٢)

"ص -٢٨٦- فإذا سبق إلى قلب العبد قصد السؤال، ناسب أن يسأله باسمه الرب، وإن سأله باسمه الله؛ لتضمنه اسم الرب، كان حسنا، وأما إذا سبق إلى قلبه قصد العبادة، فاسم الله أولى بذلك، إذا بدأ بالثناء ذكر اسم الله، وإذا قصد الدعاء دعا باسم الرب؛ ولهذا قال يونس : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، وقال آدم : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، فإن يونس عليه السلام ذهب مغاضبا، وقال تعالى : ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ [القلم : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾ [

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢/١٥٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/١٥٩

الصافات : ١٤٢] ، ففعل ما يلام عليه فكان المناسب لحاله أن يبدأ بالثناء على ربه، والاعتراف بأنه لا إله إلا هو، فهو الذي يستحق أن يعبد دون غيره فلا يطاع الهوى، فإن اتباع الهوى يضعف عبادة الله وحده، وقد روى أن يونس عليه السلام ندم على ارتفاع العذاب عن قومه بعد أن أظلهم وخاف أن ينسبوه إلى الكذب فغاضب . وفعل ما اقتضى الكلام الذي ذكره الله تعالى وأن يقال : ﴿لا إله إلا أنت ﴾ وهذا الكلام يتضمن براءة ما سوى الله من الإلهية، سواء صدر ذلك عن هوى النفس أو طاعة الخلق أو غير ذلك؛ ولهذا قال : ﴿سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ .

والعبد يقول مثل هذا الكلام فيما يظنه وهو غير مطابق، وفيما يريده وهو غير حسن .." (١)

"ص -٢٨٧- وأما آدم عليه السلام فإنه اعترف أولا بذنبه، فقال : ﴿ظلمنا أنفسنا ﴾ ولم يكن عند آدم من ينازعه الإرادة لما أمر الله به، مما يزاحم الإلهية بل ظن صدق الشيطان الذي ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور ﴾ [الأعراف : ٢١، ٢٢] ، فالشيطان غرهما وأظهر نصحهما فكانا في قبول غروره، وما أظهر من نصحه حالهما مناسبا لقولهما : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ لما حصل من التفريط، لا لأجل هوى وحظ يزاحم الإلهية، وكانا محتاجين إلى أن يربهما ربوبية تكمل علمهما وقصدهما، حتى لا يغترا بمثل ذلك، فهما يشهدان حاجتهما إلى الله ربهما الذي لا يقضي حاجتهما غيره .

وذو النون شهد ما حصل من التقصير في حق الإلهية بما حصل من المغاضبة، وكراهة إنجاء أولئك، ففي ذلك من المعارضة في الفعل لحب شيء آخر ما يوجب تجريد محبته لله، وتألهه له وأن يقول : ﴿لا إله إلا أنت ﴾ فإن قول العبد : لا إله إلا أنت. يمحو أن يتخذ إلهه هواه . وقد روى : "ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع " . فكمل يونس صلوات الله عليه تحقيق إلهيته لله، ومحو الهوى الذي يتخذ إلها من دونه، فلم يبق له صلوات الله عليه وسلامه عند تحقيق قوله لا إله إلا أنت إرادة تزاحم إلهية الحق، بل كان مخلصا لله الدين؛ إذ كان من أفضل عباد الله المخلصين .

وأيضا، فمثل هذه الحال تعرض لمن تعرض له، فيبقى فيه." (٢)

"ص -٢٩٢- بغيرها . وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم، إنما يكون إذا كان ذلك ظاهرا يسمعه الناس، لا باطنا في النفس . والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥١/١٥٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٢/١٥٩

وهذا النوع أدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعده عن الهوى من ذلك النوع، فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله، وهو مصدق في ذلك، فإذا قال عن نفسه إن الثاني هو الذي من عند الله، وهو الناسخ وإن ذلك المرفوع الذي نسخه الله، ليس كذلك كان أدل على اعتماده للصدق، وقوله الحق، وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها لو كان محمد كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، ألا ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله، ولو كان خطأ، فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله أحكم آياته، ونسخ ما ألقاه الشيطان، هو أدل على تحريه للصدق وبرائته من الكذب، وهذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليما؛ ولهذا كان تكذيبه كفرا محضا بلا ريب .

وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع، هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ؟ ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من." (١)

"ص -٤٨٨- التوحيد ألا يعبد إلا الله .

والعبادة تتضمن كمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الرجاء، والخشية، والإجلال والإكرام . والفناء في هذا التوحيد فناء المرسلين واتباعهم، وهو أن تفنى بعبادته عن عبادة ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبخوفه عن خوف ما سواه، وبرجائه عن رجاء ماسواه، وبحبه والحب فيه عن محبة ما سواه والحب فيه .

وأما الغالطون في الطريق فقد يريدون الله، لكن لا يتبعون الأمر الشرعي في إرادته، لكن تارة يعبده أحدهم بما يظنه يرضيه، ولا يكون كذلك، وتارة ينظرون القدر لكونه مراده، فيفنون في القدر الذي ليس لهم فيه غرض، وأما الفناء المطلق فيه فممتنع . وهؤلاء يفني أحدهم متبعا لذوقه ووجده المخالف للأمر الشرعي، أو ناظرا إلى القدر . وهذا يبتلى به كثير من خواصهم .

والشيخ عبد القادر، ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمرا بالتزام الشرع، والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية . فإن الخطأ في الإرادة من حيث هي إرادة إنما تقع من هذه الجهة؛ فهو يأمر السالك." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٧/١٥٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٥/١٦٥

"ص –٤٩٠– فصل

قال الشيخ عبد القادر قدس الله روحه : "افن عن الخلق بحكم الله، وعن هواك بأمره، وعن إرادتك بفعله، فحينئذ يصلح أن تكون وعاء لعلم الله " .

قلت : فحكمه يتناول خلقه وأمره، أي : افن عن عبادة الخلق والتوكل عليهم بعبادة الله والتوكل عليه، فلا تطعهم في معصية الله تعالى ولا تتعلق بهم في جلب منفعه ولا دفع مضرة . وأما الفناء عن الهوى بالأمر وعن الإرادة بالفعل بأن يكون فعله موافقا للأمر الشرعي لا لهواه، وأن تكون إرادته لما يخلق تابعة لفعل الله لا لإرادة نفسه، فالإرادة تارة تتعلق بفعل نفسه وتارة بالمخلوقات .

فالأول : يكون بالأمر، والثاني : لا تكون له إرادة . ولا بد في هذا أن يقيد بألا تكون له إرادة لم يؤمر بها، وإلا فإذا أمر بأن يريد من المقدورات شيئا دون شيء فليرد ما أمر بإرادته، سواء كان موافقا للقدر أم لا . وهذا الموضع قد يغلط فيه طائفة من السالكين." (١)

"ص –٤٩٧– شهد القيومية العامة، ويجعلون الفناء في شهود توحيد الربوبية هو الغاية؛ وقد يسمون هذا الجمع والفناء والاصطلام، ونحو ذلك . وكثير من الشيوخ زلقوا في هذا الموضع .

وفي هذا المقام كان النزاع بين الجنيد بن محمد وبين طائفة من أصحابه الصوفية؛ فإنهم اتفقوا على شهود توحيد الربوبية، وأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وهو شهود القدر، وسموا هذا مقام الجمع؛ فإنه خرج به عن الفرق الأول وهو الفرق الطبيعي بإرادة هذا وكراهة هذا، ورؤية فعل هذا وترك هذا، فإن الإنسان قبل أن يشهد هذا التوحيد يرى للخلق فعلا يتفرق به قلبه في شهود أفعال المخلوقات؛ ويكون متبعا لهواه فيما يريده، فإذا أراد الحق خرج بإرادته عن إرادة الهوى والطبع، ثم شهد أنه خالق كل شيء، فخرج بشهود هذا الجمع عن ذاك الفرق، فلما اتفقوا على هذا ذكر لهم الجنيد بن محمد الفرق الثاني، وهو بعد هذا الجمع، وهو الفرق الشرعي . ألا تري أنك تريد ما أمرت به، ولا تريد ما نهيت عنه ؟ ! وتشهد أن الله يستحق العبادة دون ما سواه، وأن عبادته هي بطاعة رسله، فتفرق بين المأمور والمحظور، وبين أوليائه وأعدائه، وتشهد توحيد الألوهية، فنازعوه في هذا الفرق .

منهم من أنكره .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٧/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٥/١٦٥

"ص -٥٠٣- وقال أنس : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي : أف قط، وما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته ؟ . وكان بعض أهله إذا عنفني على شيء قال : "دعوه، فلو قضى شيء لكان " . ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم، وله الوسيلة في المقامات كلها، ولم يكن حاله أنه لا يريد شيئا، ولأنه يريد كل واقع، كما أنه لم يكن حاله أنه يتبع الهوى، بل هو منزه عن هذا وهذا، قال الله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ٣، ٤] ، وقال تعالى : ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾ [الجن : ١٩] وقال تعالى : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ [البقرة : ٢٣] ، وقال : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ﴾ [الإسراء : ١] . والمراد بعبده عابده المطيع لأمره، وإلا فجميع المخلوقين عباد بمعنى أنهم معبودون مخلوقون مدبرون .

وقد قال الله لنبيه : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] . قال الحسن البصري : لم يجعل الله لعمل المؤمن أجلا دون الموت، وقد قال الله تعالى له : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم : ٤] . قال ابن عباس ومن وافقه كابن عيينة وأحمد بن حنبل : على دين عظيم . والدين : فعل ما أمر به . وقالت عائشة : كان خلقه القرآن . رواه مسلم . وقد أخبرت أنه لم يكن يعاقب لنفسه، ولا ينتقم لنفسه، لكن يعاقب لله." (١)

"ص -٥١٧- الكرخي، والسري السقطي، والجنيد ابن محمد، وغيرهم من المتقدمين ومثل الشيخ عبد القادر، والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوغون للمسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين بل عليه أن يفعل المأمور، ويدع المحظور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف .

وهذا كثير في كلامهم : كقول الشيخ عبد القادر في كتاب [فتوح الغيب] : [اخرج من نفسك، وتنح عنها، وانعزل عن ملكك، وسلم الكل إلى الله تبارك وتعالى، وكن بوابه علي باب قلبك، وامتثل أمره تبارك وتعالى في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانته نهيه في صد من يأمرك بصده، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه، وإخراج الهوى من القلب بمخالفته وترك متابعته في الأحوال كلها، وإدخاله في القلب بمتابعته وموافقته، فلا ترد إرادة غير إرادته تبارك وتعالى، وغير ذلك منك غير، وهو واد الحمقى، وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه تبارك وتعالى، وحجابك عنه .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥١/١٦٥

احفظ أبدا أمره، وانته أبدا نهيه، وسلم إليه أبدا مقدوره، ولا تشركه بشيء من خلقه، فإرادتك وهواك وشهواتك خلقه، فلا ترد ولا تهوى ولا تشته لئلا يكون شركا . قال الله تعالى : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠]." (١)

"ص -٥١٨- ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب؛ بل هو أيضا متابعتك لهواك، وأن تختار مع ربك شيئا سواه من الدنيا وما فيها، والآخرة وما فيها، فما سواه تبارك وتعالى غيره، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به غيره، فاحذر ولا تركن، وخف ولا تأمن، وفتش ولا تغفل فتطمئن، ولا تضف إلى نفسك حالا ولا مقاما، ولاتدع شيئا من ذلك] .

وقال الشيخ عبد القادر أيضا : [إنما هو الله ونفسك، وأنت المخاطب، والنفس ضد الله وعدوته، والأشياء كلها تابعة لله، فإذا وافقت الحق في مخالفة النفس وعداوتها كنت خصما له على نفسك] إلى أن قال : [فالعبادة في مخالفتك نفسك وهواك، قال تعالى : ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦]] إلى أن قال :

[والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى لما رأي رب العزة في المنام فقال له : كيف الطريق إليك ؟ فقال : [اترك نفسك وتعال] قال أبو يزيد : فانسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها .

فإذا ثبت أن الخير كله في معاداتها في الجملة في الأحوال كلها، فإن." (٢)

"ص -٥٢١- كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان، فاصبر حتى يكون عز وجل هو الفاعل فيك، فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولا محفوظا فيها؛ لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله، وإنما تتطرق العقوبات نحوك لكونك في الشيء] .

قلت : فقد أمر رضي الله عنه بأن ما كان محظورا في الشرع يجب تركه ولابد، وما كان معلوما أنه مباح بعينه لكونه يفعل بحكم الهوى لا بأمر الشارع فيترك أيضا، وأما ما لم يعلم هل هو بعينه مباح لا مضرة فيه أو فيه مضرة مثل السفر إلى مكان معين أو شخص معين، والذهاب إلى مكان معين أو شخص معين، فإن جنس هذا العمل ليس محرما ولا كل أفراده مباحة؛ بل يحرم على الإنسان أن يذهب إلى حيث يحصل له ضرر في دينه فأمره بالكف عن الذهاب حتى يظهر أو يتبين له في الباطن أن هذا مصلحة؛ لأنه إذا لم يتبين

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٦/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٧/١٦٥

له أن الذهاب واجب أو مستحب لم ينبغ له فعله، وإذا خاف الضرر ينبءي له تركه، فإذا أكره على الذهاب لم يكن عليه حرج فلا يؤاخذ بالفعل، لخلاف ما إذا فعله باختياره أو شهوته؛ وإذ تبين له أنه مصلحة راجحة كان حسنا .

وقد جاءت شواهد السنة بأن من ابتلى بغير تعرض منه أعين ومن تعرض للبلاء خيف عليه . مثل قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة : "لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها." (١)

"ص -٥٢٣- والقسم الثاني : ما كان بأمر باطن، وهو أمر الحق تبارك وتعالى يأمر عبده وينهاه، وإنما يتحقق هذا الأمر في المباح الذي ليس حكما في الشرع، على معنى أنه ليس من قبيل النهي ولا من قبيل الأمر الواجب، بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره، فسمى مباحا فلا يحدث العبد فيه شيئا من عنده بل ينتظر الأمر فيه فإذا أمر امتثل فيصير جميع حركاته وسكناته بالله تعالى، مافي الشرع حكمه فبالشرع، وما ليس له حكم في الشرع فبالأمر الباطن، فحينئذ يصير محققا من أهل الحقيقة وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حالة التسليم .

وإن كنت في حالة حق الحق وهي حالة المحق، والفناء حالة الأبدال المنكسري القلوب؛ لأجل الحق، والموحدين العارفين أرباب العلوم والفعل، السادة الأمراء، السخي الخفراء للحق، خلفاء الرحمن وأجلائه وأعيانه وأحبابه عليهم السلام فاتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبري من الحول والقوة، وألا تكون لك إرادة وهمة في شيء البتة، دنيا وأخرى عبد الملك لاعبد الملك، وعبد الأمر لا عبد الهوى كالطفل مع الظئر، والميت الغسيل مع الغاسل، والمريض المغلوب على حسه مع الطبيب فيما سوى الأمر والنهي .

وقال أيضا : اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك، إن كنت في." (٢)

"ص -٥٤٠- ثم السالك ليس قصده معرفة الحلال والحرام؛ بل مقصوده أن هذا الفعل المعين خير من هذا، وهذا خير من هذا، وأيهما أحب إلى الله في حقه في تلك الحال، وهذا باب واسع لا يحيط به إلا الله ولكل سالك حال تخصه قد يؤمر فيها بما ينهي عنه غيره، ويؤمر في حال بما ينهي عنه في أخرى .

فقالوا : نحن نفعل الخير بحسب الإمكان، وهو فعل ما علمنا أنا أمرنا به، ونترك أصل الشر وهو هوى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٠/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٢/١٦٥

النفس، ونلجأ إلى الله فيما سوى ذلك أن يوفقنا لما هو أحب إليه وأرضى له؛ فما استعملنا فيه رجونا أن يكون من هذا الباب؛ ثم إن أصبنا فلنا أجران، وإلا فلنا أجر، وخطؤنا محطوط عنا فهذا هذا .

وحينئذ، فمن قدر أنه علم المشروع وفعله فهو أفضل من هذا؛ ولكن كثير ممن يعلم المشروع لا يفعله ولا يقصد أحب الأمور إلى الله وكثير منهم يفعله بشوب من الهوى، فيبقى هذا فعل المشروع بهوى وهذا ترك مالم يعلم أنه مشروع بلا هوى . فهذا نقص في العلم، وذاك نقص في العمل؛ إذ العمل بهوى النفس نقص في العمل، ولو كان المفعول واجبا . فيقال : إن تاب صاحب الهوي من هواه كان أرفع بعلمه، وإن." (١)

"ص -٥٤٣- الفاجر، أو محتجا بالقدر أو بذوقه ووجده معرضا عن الكتاب والسنة، وهو العابد الجاهل فهذا خارج عن الصراط المستقيم .

وهذا مما بين حال كمال الصحابة رضي الله عنهم وأنهم خير قرون هذه الأمة، إذ كانوا في خلافة النبوة يقومون بالفروق الشرعية في جليل الأمور ودقيقها مع اتساع الأمر، والواحد من المتأخرين قد يعجز عن معرفة الفروق الشرعية فيما يخصه، كما أن الواحد من هؤلاء يتبع هواه في أمر قليل . فأولئك مع عظيم ما دخلوا فيه من الأمر والنهي لهم العلم الذي يميزون به بين الحسنات والسيئات، ولهم القصد الحسن الذي يفعلون به الحسنات، والكثير من المتأخرين العالمين والعابدين يفوت أحدهم العلم في كثير من الحسنات والسيئات حتى يظن السيئة حسنة وبالعكس، أو يفوته القصد في كثير من الأعمال، حتي يتبع هواه فيما وضح له من الأمر والنهي .

فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

هذا لعمري إذا كان عند العالم ما هو أمر الشارع ونهيه حقيقة، وعند العابد حسن القصد الخالي عن الهوي حقيقة، فأما من خلط الشرع المنزل بالمبدل والمؤول، وخلط القصد الحسن باتباع الهوى، فهؤلاء." (٢)

"ص -٥٤٥- فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب .

وقد روى الخلال عن أبي حيان التيمي قال : العلماء ثلاثة : فعالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، وعالم بالله وبأمر الله .

فالعالم بالله الذي يخشاه، والعالم بأمر الله الذي يعرف أمره ونهيه .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٩/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩٢/١٦٥

قلت : والخشية تمنع اتباع الهوى قال تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] .

والكمال في عدم الهوى وفي العلم هو لخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه : ﴿والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم : ١-٤] ، فنفى عنه الضلال والغي ووصفه بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فنفى الهوى وأثبت العلم الكامل وهو الوحي، فهذا كمال العلم وذاك كمال القصد صلى الله عليه وسلم .

ووصف أعداءه بضد هذين، فقال تعالى : ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [النجم : ٢٣] ، فالكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علما وقصدا . قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات : ٥٦] ،." (١)

"ص -٥٦٨- وقال الشيخ رحمه الله :

فصل: في الصراط المستقيم، في الزهد والعبادة والورع، في ترك المحرمات والشهوات، والاقتصاد، في العبادة . وإن لزوم السنة هو يحفظ من شر النفس والشيطان بدون الطرق المبتدعة، فإن أصحابها لابد أن يقعوا في الآصار والأغلال، وإن كانوا متأولين، فلابد لهم من اتباع الهوى، ولهذا سمى أصحاب البدع أصحاب الأهواء، فإن طريق السنة علم وعدل وهدي، وفي البدعة جهل وظلم، وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس . والرسول، ما ضل وما غوى، والضلال : مقرون بالغي، فكل غاو ضال، والرشد ضد الغي والهدى ضد الضلال، وهو مجانبة طريق الفجار وأهل البدع، كما كان السلف ينهون عنهما، قال تعالى : ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ [مريم : ٥٩] .." (٢)

"ص -٥٧٢- إلى ربه " ، قال تعالى : ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ إلى قوله : ﴿ونعم أجر العاملين﴾ [آل عمران : ١٣٣ ١٣٦] ، فلم يقل : لا يظلمون ولا يذنبون، بل قال : ﴿إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ [آل عمران : ١٣٥] ، أي بذنب آخر غير الفاحشة، فعطف العام على الخاص . كما قال موسى : ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ [القصص : ١٦] ، وقالت بلقيس : ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ [النمل : ٤٤] ، وقال تعالي عموما عن أهل القرى المهلكة : ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ [هود : ١٠١] ، فظلموا أنفسهم بارتكابهم ما

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩٤/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/١٦٧

نهوا عنه، وبعصيانهم لأنبيائهم، وبتركهم التوبة إلى ربهم .
وقوله تعالى : ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ؛ ولهذا قال : ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ [النساء : ٢٧] ، ثم قال : ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ [النساء : ٢٨] . قال مجاهد وغيره : يتبعون الشهوات الزنا، وقال ابن زيد : هم أهل الباطل . وقال السدي : هم اليهود والنصارى والجميع حق، فإنهم قد يتبعون الشهوات مع الكفر، وقد يكون مع الاعتراف بأنها معصية .

ثم ذكر أنه خلق الإنسان ضعيفا، وسياق الكلام يدل على أنه ضعيف عن ترك الشهوات . فلابد له من شهوة مباحة يستغنى بها عن المحرمة، ولهذا قال طاوس ومقاتل : ضعيف في قلة الصبر عن النساء، وقال الزجاج وابن كيسان : ضعيف العزم عن قهر **الهوى** . وقيل : ضعيف في أصل الخلقة، لأنه خلق من ماء مهين، يروي ذلك." (١)

"ص -٥٨٤- فإن ما شاء الله كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه الناس .
والمقصود بالآية تحذيرهم من متابعة الذين يتبعون الشهوات . والمعنى : إني أريد لكم الخير الذي ينفعكم، وهؤلاء يريدون لكم الشر الذي يضركم، كالشيطان الذي يريد أن يغويكم، وأتباعه هم أهل الشهوات فلا تتخذوه وذريته أولياء من دوني، بل اسلكوا طرق الهدي والرشاد، وإياكم وطرق الغي والفساد . كما قال تعالى : ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ الآيات [طه : ١٢٣] .
وقوله : ﴿يتبعون الشهوات ﴾ [النساء : ٢٧] ، في الموضعين، فاتباع الشهوة من جنس اتباع **الهوى**، كما قال تعالى : ﴿أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ [المؤمنون : ٧١] ، وقال تعالى : ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾ [المائدة : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ [محمد : ١٤] ، وقال تعالى : ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ [الجاثية : ١٨] ، وهذا في القرآن كثير .
والهوى : مصدر هوى يهوي هوى، ونفس المهوي يسمى هوى ما يهوى، فاتباعه كاتباع السبيل . كما قال تعالى : ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/١٦٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨/١٦٧

"ص -٥٨٥-
وكما في لفظ الشهوة، فاتباع الهوى يراد به نفس مسمى المصدر، أي اتباع إرادته ومحبته التي هي هواه واتباع الإرادة : هو فعل ما تهواه النفس، كقوله تعالى : ﴿واتبع سبيل من أناب إلي ﴾ [لقمان : ١٥] ، وقوله : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقال : ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ [الأعراف : ٣] ، فلفظ الاتباع يكون للآمر الناهي، وللأمر والنهي، وللمأمور به والمنهي عنه، وهو الصراط المستقيم .

كذلك يكون للهوى أمر ونهي، وهو أمر النفس ونهيها، كما قال تعالى : ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ [يوسف : ٥٣] ، ولكن ما يأمر به من الأفعال المذمومة، فأحدها مستلزم للآخر، فاتباع الأمر هو فعل المأمور، واتباع أمر النفس هو فعل ما تهواه، فعلى هذا يعلم أن اتباع الشهوات، واتباع الأهواء هو اتباع شهوة النفس، وهواها، وذلك بفعل ما تشتهيه وتهواه .

بل قد يقال : هذا هو الذي يتعين في لفظ اتباع الشهوات والأهواء، لأن الذي يشتهي ويهوى، إنما يصير موجودا بعد أن يشتهي ويهوى، وإنما يذم الإنسان إذا فعل ما يشتهي ويهوى عند وجوده،." (١)

"ص -٥٨٦- فهو حينئذ قد فعل، ولا ينهى عنه بعد وجوده، ولا يقال لصاحبه : لا تتبع هواك .

وأيضا فالفعل المراد المشتهى، الذي يهواه الإنسان : هو تابع لشهوته وهواه، فليست الشهوة والهوي تابعة له، فاتباع الشهوات هو اتباع شهوة النفس، وإذا جعلت الشهوة بمعنى المشتهى كان مع مخالفة الأصل يحتاج إلى أن يجعل في الخارج ما يشتهي، والإنسان يتبعه كالمرأة المطلوبة، أو الطعام المطلوب، وإن سميت المرأة شهوة والطعام أيضا، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي " أي : يترك شهوته، وهو إنما يترك ما يشتهيه كما يترك الطعام، لا أنه يدع طعامه بترك الشهوة الموجودة في نفسه، فإن تلك مخلوقة فيه مجبول عليها، وإنما يثاب إذا ترك ما تطلبه تلك الشهوة .

وحقيقة الأمر، أنهما متلازمان، فمن اتبع نفس شهوته القائمة بنفسه اتبع ما يشتهيه، وكذلك من اتبع الهوى القائم بنفسه اتبع ما يهواه، فإن ذلك من آثار الإرادة، واتباع الإرادة هو امتثال أمرها، وفعل ما تطلبه،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩/١٦٧

كالمأمور الذي يتبع أمر أميره، ولابد أن يتصور مراده الذي يهواه ويشتهيه في نفسه ويتخيله قبل فعله . فيبقى ذلك المثال كالإمام مع المأموم يتبعه حيث كان، وفعله في الظاهر." (١)

"ص -٥٨٧- تبع لاتباع الباطن، فتبقى صورة المراد المطلوب المشتهي التي في النفس هي المحركة للإنسان الآمرة له .

ولهذا يقال : العلة الغائية علة فاعلية، فإن الإنسان للعلة الغائية بهذا التصور والإرادة صار فاعلا للفعل، وهذه الصورة المرادة المتصورة في النفس هي التي جعلت الفاعل فاعلا، فيكون الإنسان متبعا لها، والشيطان يمده في الغي، فهو يقوي تلك الصورة ويقوي أثرها ويزين للناس اتباعها، وتلك الصورة تتناول صورة العين المطلوبة كالمحبوب من الصور والطعام والشراب ويتناول نفس الفعل الذي هو المباشر لذلك المطلوب المحبوب، والشيطان والنفس تحب ذلك، وكلما تصور ذلك المحبوب في نفسه أراد وجوده في الخارج، فإن أول الفكر آخر العمل، وأول البغية آخر الدرك .

ولهذا يبقى الإنسان عند شهوته، وهواه أسيرا لذلك، مقهورا تحت سلطان **الهوى**، أعظم من قهر كل قاهر، فإن هذا القاهر الهوائي، القاهر للعبد، هو صفة قائمة بنفسه، لايمكنه مفارقته البتة، والصورة الذهنية تطلبها النفس، فإن المحبوب تطلب النفس أن تدركه، وتمثله لها في نفسها، فهو متبع للإرادة . وإن كانت الذهنية والتزين من الزين والمراد التصور في نفسه . والمشتهى الموجود في الخارج له محركان : التصور والمشتهى، هذا يحركه تحريك طلب وأمر، وهذا يأمره أن يتبع." (٢)

"ص -٥٨٨- طلبه وأمره، فاتباع الشهوات والأهواء يتناول هذا كله، بخلاف كل قاهر ينفصل عن الإنسان فإنه يمكنه مفارقته مع بقاء نفسه على حالها، وهذا إنما يفارقه بتغير صفة نفسه .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ثلاث مهلكات : شح مطاع، وهوي متبع، وإعجاب المرء بنفسه . وثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا ."

وقوله في الحديث : هوي متبع، فيه دليل على أن المتبع هو ما قام في النفس . كقوله : في الشح المطاع، وجعل الشح مطاعا، لأنه هو الآمر، وجعل **الهوى** متبعا، لأن المتبع قد يكون إماما يقتدى به ولا يكون آمرا . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إياكم والشح . فإن الشح أهلك من كان

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/١٦٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/١٦٧

قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا " . فبين أن الشح يأمر بالبخل والظلم والقطيعة، فالبـخل، منع منفعة الناس بنفسه وماله، والظلم، هو الاعتداء عليهم .

فالأول هو التفريط فيما يجب، فيكون قد فرط فيما يجب، واعتدى عليهم بفعل ما يحرم وخص قطيعة الرحم بالذكر إعظاما لها؛ لأنها تدخل." (١)

"ص -٥٩٠- والشح يكون في الرجل مع الحرص، وقوة الرغبة في المال، وبغض للغير وظلم له، كما قال تعالى : ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا . أشحة عليكم ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴾ [الأحزاب : ١٨، ١٩] ، فشحهم على المؤمنين، وعلى الخير يتضمن كراهيته وبغضه، وبغض الخير يأمر بالشر، وبغض الإنسان يأمر بظلمه، وقطيعته كالحسد، فإن الحاسد يأمر حاسده بظلم المحسود وقطيعته، كابني آدم وإخوة يوسف .

فالحسد والشح، يتضمنان بغضا وكراهية، فيأمران بمنع الواجب وبظلم ذلك الشخص، فإن الفعل صدر فيه عن بغض، بخلاف الهوى فإن الفعل صدر فيه عن حب أحب شيئا فاتبعه ففعله، وذلك مقصوده أمر عدمي والعدم لا ينفع . ولكن ذاك القصد أمر بأمر وجودي، فأطيع أمره .

وابن مسعود جعل البخل خارجا عن الشح والنبي صلى الله عليه وسلم جعل الشح يأمر بالبخل .

ومن الناس من يقول : الشح، والبخل سواء . كما قال ابن جرير : الشح في كلام العرب هو البخل، ومنع الفضل من المال . وليس." (٢)

"ص -٥٩٢- محبتهم وإرادتهم من غير علم، فلم ينظروا هل ذلك نافع لهم في العاقبة أو ضار .

ولهذا قال : ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ ثم قال : ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ، واتباع الهوى درجات : فمنهم المشركون والذين يعبدون من دون الله ما يستحسنون بلا علم، ولا برهان، كما قال : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ [الجاثية : ٢٣] ، أي يتخذ إلهه الذي يعبده وهو ما يهواه من آلهة، ولم يقل : إن هواه نفس إلهه فليس كل من يهوي شيئا يعبده، فإن الهوى أقسام بل المراد أنه جعل المعبود الذي يعبده هو ما يهواه، فكانت عبادته تابعة لهوى نفسه في العبادة، فإنه لم يعبد ما يحب أن يعبد، ولا عبد العبادة التي أمر بها .

---

(١)فرأيت في بعض الكت

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤/١٦٧

وهذه حال أهل البدع، فإنهم عبدوا غير الله، وابتدعوا عبادات زعموا أنهم يعبدون الله بها، فهم إنما اتبعوا أهواءهم، فإن أحدهم يتبع محبة نفسه وذوقها ووجدها وهواه؛ من غير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير . فلو اتبع العلم والكتاب المنير، لم يعبد إلا الله بما شاء، لا بالحوادث والبدع .." (١)

"ص -٥٩٧- فالغمرة تكون من اتباع الهوى، والسهو من جنس الغفلة؛ ولهذا قال من قال : السهو : الغفلة عن الشيء، وذهاب القلب عنه، وهذا جماع الشر الغفلة، والشهوة .

فالغفلة عن الله والدار الآخرة تسد باب الخير، الذي هو الذكر واليقظة .

والشهوة تفتح باب الشر والسهو والخوف، فيبقى القلب مغمورا فيما يهواه ويخشاه، غافلا عن الله، رائدا غير الله، ساهيا عن ذكره، قد اشتغل بغير الله، قد انفرط أمره، قد ران حب الدنيا على قلبه، كما روى في صحيح البخاري، وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطى رضى، وإن منع سخط " .

جعله عبد ما يرضيه وجوده ويسخطه فقده، حتى يكون عبد الدرهم، وعبد ما وصف في هذا الحديث، والقطيفة : هي التي يجلس عليها، فهو خادمها، كما قال بعض السلف : البس من الثياب ما يخدمك، ولا تلبس منها ما تكن أنت تخدمه، وهي كالبساط الذي تجلس عليه، والخميصة : هي التي يرتدي بها، وهذا من أقل المال . وإنما." (٢)

"ص -٦٠١- قال لأصحابه : "الفقر تخافون ؟ ! لا أخاف عليكم الفقر، إنما أخاف عليكم الدنيا، حتى إن قلب أحدكم إذا زاغ لا يزيغه إلا هي " .

وكذلك الذين يحبون العبد كأصدقائه، والذين يبغضونه كأعدائه، فالذين يحبونه يجذبونه إليهم . فإذا لم تكن المحبة منهم له لله، كان ذلك مما يقطعه عن الله، والذين يبغضونه يؤذونه ويعادونه فيشغلونه بأذاهم عن الله، ولو أحسن إليه أصدقاؤه الذين يحبونه، لغير الله أوجب إحسانهم إليه محبته لهم، وإنجذاب قلبه إليهم . ولو كان على غير الاستقامة، وأوجب مكافأته لهم، فيقطعونه عن الله وعبادته .

فلا تزول الفتنة عن القلب، إلا إذا كان دين العبد كله لله عز وجل، فيكون حبه لله ولما يحبه الله، ويبغضه لله، ولما يبغضه الله، وكذلك موالاته ومعاداته، وإلا فمحبة المخلوق تجذبه، وحب الخلق له سبب يجذبهم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٦/١٦٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣١/١٦٧

به إليه، ثم قد يكون هذا أقوى، وقد يكون هذا أقوى، فإذا كان هو غالبا لهواه لم يجذبه مغلوب مع هواه، ولا محبوباته إليها؛ لكونه غلبا لهواه ناهيا لنفسه عن **الهوى**، لما في قلبه من خشية الله، ومحبته التى تمنعه عن انجذابه إلى المحبوبات .

وأما حب الناس له، فإنه يوجب أن يجذبوه هم بقوتهم إليهم، فإن لم يكن فيه قوة يدفعهم بها عن نفسه من محبة الله، وخشيته." (١)

"ص -٦٣٥- بردت جلدته " ، ويقال : برد اليقين، وحرارة الشك، ويقال : هذا الأمر يثلج له الصدر، إذا كان حقا يعرفه القلب ويفرح به، حتى يصير في مثل برد الثلج، ومرض النفس : إما شبهة وإما شهوة أو غضب، والثلاثة توجب السخونة، ويقال لمن نال مطلوبه : برد قلبه، فإن الطالب فيه حرارة الطلب .

وقوله : ﴿خذ من أموالهم﴾ : دليل على أن عمل الحسنات يطهر النفس ويزكيها من الذنوب السالفة، فإنه قاله بعد قوله : ﴿وآخرون اعترفوا﴾ الآية [التوبة : ١٠٢] . فالتوبة والعمل الصالح يحصل بهما التطهير والتزكية ولهذا قال في سياق قوله : ﴿قل للمؤمنين يغضوا﴾ الآيات [النور : ٣٠] ﴿وتوبوا إلى الله﴾ الآية [النور : ٣١] . فأمرهم جميعا بالتوبة في سياق ما ذكره؛ لأنه لا يسلم أحد من هذا الجنس . كما في الصحيح : "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا " الحديث . وكذلك في الصحيح : إن قوله : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود : ١١٤] نزلت بسبب رجل نال من امرأة كل شيء إلا الجماع، ثم ندم فنزلت .

ويحتاج المسلم في ذلك إلى أن يخاف الله، وينهى النفس عن **الهوى**، ونفس **الهوى** والشهوة لا يعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة لله، وعملا صالحا، وثبت عنه أنه قال : "المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله " ، فيؤمر بجهادها." (٢)

"ص -٦٣٦- كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلي جهاد نفسه أحوج، فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد، فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد . كما قال : "والمهاجر من هجر السيئات " .

ثم هذا لا يكون محمودا فيه، إلا إذا غلب، بخلاف الأول فإنه من ﴿فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ [النساء : ٧٤] ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديد بالصرعة . . . " إلخ؛ وذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٥/١٦٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢/١٦٩

لأن الله أمر الإنسان أن ينهي النفس عن الهوى، وأن يخاف مقام ربه، فحصل له من الإيمان ما يعينه على الجهاد، فإذا غلب كان لضعف إيمانه، فيكون مفرطا بترك المأمور، بخلاف العدو الكافر فإنه قد يكون بدنه أقوى .

فالذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممتثلة لما أمرت به، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظور، فإنهما ضدان . قال تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء﴾ الآية [يوسف : ٢٤] . وقال : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر : ٤٢، الإسراء : ٦٥] فعباد الله المخلصون لا يغويهم الشيطان، والغي خلاف الرشد، وهو اتباع الهوى، فمن مالت نفسه إلى محرم، فليأت بعبادة الله كما أمر الله مخلصا له الدين، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحشاء . . . . خشية ومحبة، والعبادة له." (١)

"ص -٦٥١- توجه إلى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصا له الدين، أجاب دعاءه؛ وأزال ضرره، وفتح له أبواب الرحمة . فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله، ما لم يذق غيره . وكذلك من ذاق طعم إخلاص الدين لله وإرادة وجهه دون ما سواه؛ يجد من الأحوال والنتائج والفوائد مالا يجده من لم يكن كذلك .

بل من اتبع هواه في مثل طلب الرئاسة والعلو؛ وتعلقه بالصور الجميلة، أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه، وربما لا يطاوعه قلبه على ترك الهوى، ولا يحصل له ما يسره، بل هو في خوف وحزن دائما، إن كان طالبا لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين متألم حيث لم يحصل . فإذا أدركه كان خائفا من زواله وفراقه .

وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الإخلاص لله، والعبادة له، وحلاوة ذكره ومناجاته، وفهم كتابه، وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحا، ويكون لوجه الله خالصا، فإنه يجد من السرور واللذة والفرح ما هو أعظم مما يجده الداعي المتوكل الذي نال بدعائه وتوكله ما ينفعه من الدنيا . أو اندفع عنه ما يضره، فإن حلاوة ذلك هي بحسب ما حصل له من." (٢)

"ص -٧١٥- والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن ذلك لا يخرج عن كونه واجبا أو مستحبا، وطريق أولياء الله التي يسلكونها لا تخرج عن فعل واجبات ومستحبات؛ إذ ما سوي ذلك محرم أو مكروه أو مباح لا منفعة فيه في الدين .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣/١٦٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨/١٧٠

ثم إنه لما أوقع هؤلاء في هذا الغلط أنهم وجدوا كثيرا من الناس لا يسألون الله جلب المنافع، ودفع المضار، حتى طلب الجنة، والاستعاذة من النار، من جهة كون ذلك عبادة وطاعة وخيرا، بل من جهة كون النفس تطلب ذلك، فرأوا أن من الطريق ترك ما تختاره النفس وتريده، وألا يكون لأحدهم إرادة أصلا، بل يكون مطلوبه الجريان تحت القدر كائنا من كان وهذا هو الذي أدخل كثيرا منهم في الرهبانية، والخروج عن الشرعية، حتى تركوا من الأكل والشرب واللباس والنكاح ما يحتاجون إليه، وما لا تتم مصلحة دينهم إلا به؛ فإنهم رأوا العامة تعد هذه الأمور بحكم الطبع **والهوى** والعادة، ومعلوم أن الأفعال التي على هذا الوجه لا تكون عبادة ولا طاعة ولا قربة، فرأي أولئك الطريق إلي الله ترك هذه العبادات، والأفعال الطبعيات، فلازموا من الجوع والسهر والخلوة والصمت وغير ذلك مما فيه ترك الحظوظ واحتمال المشاق، ما أوقعهم في ترك واجبات ومستحبات، وفعل مكروهات ومحرمات .." (١)

"ص -٥٨- ولا في اليمن، ولا العراق ولامصر، ولاخراسان ولا المغرب . وإنما كان السماع الذي يجتمعون عليه سماع القرآن، وهو الذي كان الصحابة من أهل الصفة وغيرهم يجتمعون عليه، فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ، والباقي يستمعون، وقد روى " أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أهل الصفة وفيهم قارئ يقرأ فجلس معهم " وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى : يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون . وكان وجدهم على ذلك، وكذلك إرادة قلوبهم وكل من نقل أنهم كان لهم حاد ينشد القصائد الربانية بصلاح القلوب، أو أنهم لما أنشد بعض القصائد تواجدوا على ذلك . أو أنهم مزقوا ثيابهم، أو أن قائلا أنشدهم :

قد لسعت حية **الهوى** كبدي فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الطبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : " إن الفقراء يدخلون." (٢)

"ص -٨٤- الأخلاق؛ ليس هو النسك اليابس . ومنه قول أبي إسماعيل الأنصاري [أبو إسماعيل الأنصارى : هو عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن على بن جعفر بن مت الأنصارى الهروى، مصنف كتاب [ذم الكلام] ، وشيخ خراسان، من ذرية صاحب النبى صلى الله عليه وسلم أبى أيوب الأنصارى . ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة . توفى فى ذي الحجة سنة ٤٨١ هـ . [سير أعلام

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٩/١٧٣

(٢) مجم وع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤/١٧٨

النبلاء : ١٨

٥٠٣ ٥١٨] : الفتوة أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتحسن إلى من يسيء إليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مصابرة .

ونقل عن أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – أنه قال : الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى . كما قال تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** ﴾ [النازعات : ٤٠] . فمن دعا إلى ما دعا إليه الله ورسوله من مكارم الأخلاق كان محسنا، سواء سمى ذلك فتوة أو لم يسمه، ومن أحدث في دين الله ما ليس منه فهو رد .

والغالب أنهم يدخلون في الفتوة أمورا ينهى عنها فينهون عن ذلك، ويؤمرون بما أمر الله به ورسوله، كما ينهون عن الإلباس، والإسقاء . وإسناد ذلك إلى علي رضي الله عنه وأمثال ذلك .." (١)

"ص -١٠٨- بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه " . قال الترمذى : حديث حسن

.

فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين، فأما مجرد الحب الذى في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما أمره الله به، ويترك ما نهى الله عنه، ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن **الهوى**، فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا إذا لم يكن معه عمل، وجمع المال، إذا قام بالواجبات فيه ولم يكتسبه من الحرام، لا يعاقب عليه، لكن إخراج فضول المال، والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم، وأفرغ للقلب، وأجمع للهم، وأنفع في الدنيا والآخرة . وقال النبيصلى الله عليه وسلم : " من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهى راغمة " .." (٢)

"ص -١٢٢- وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :

فصل

قد كثر تنازع الناس : أيهما أفضل [الفقير الصابر،أو الغنى الشاكر] ؟ وأكثر كلامهم فيها مشوب بنوع من **الهوى**، أو بنوع من قلة المعرفة، والنزاع فيها بين الفقهاء والصوفية، والعامة والرؤساء وغيرهم . وقد ذكر القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى في كتاب [التمام لكتاب الروايتين والوجهين] لأبيه فيها عن

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/١٧٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/١١٨

أحمد روايتين :

إحداهما : أن الفقير الصابر أفضل . وذكر أنه اختار هذه الرواية أبو إسحق بن شاقلا، ووالده القاضي أبو يعلى، ونصرها هو والثانية : أن الغني الشاكر أفضل، اختاره جماعة منهم ابن قتيبة . و [القول الأول] يميل إليه كثير من أهل المعرفة والفقه." (١)

"ص –١٢٥– وفيهم من كان فقيرا : كالمسيح عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا وعلى بن أبي طالب، وأبي ذر الغفاري، ومصعب بن عمير، وسلمان الفارسي ونحوهم . ممن هو من أفضل الخلق، من النبيين والصديقين، وقد كان فيهم من اجتمع له الأمران : الغنى تارة والفقر أخرى؛ وأتى بإحسان الأغنياء وبصبر الفقراء : كنبينا صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر .

والنصوص الواردة في الكتاب والسنة حاكمة بالقسط؛ فإن الله في القرآن لم يفضل أحدا بفقر، ولا غنى، كما لم يفضل أحدا بصحة ولا مرض، ولا إقامة ولا سفر، ولا إمارة ولا ائتمار، ولا إمامة ولا ائتمام، بل قال : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وفضلهم بالأعمال الصالحة : من الإيمان ودعائمه، وشعبه كاليقين والمعرفة، ومحبة الله والإنابة إليه، والتوكل عليه ورجائه، وخشيته وشكره والصبر له . وقال في آية العدل : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ [النساء : ١٣٥] .

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين . غنيهم وفقيرهم في أمورهم . ولما طلب بعض الأغنياء من النبي صلى الله عليه وسلم إبعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك . وأثنى عليهم بأنهم يريدون وجهه، فقال : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ الآية [الأنعام : ٥٢] ،." (٢)

"ص –١٦٨– بن أبى طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما ؟

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أنشد منشد :

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقى

إلا الحبيب الذى شغفت به فعنده رقيتى وترياقى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/١٨٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨/١٨٣

وأن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وأكذب منه ما يرويه بعضهم : " أنه مزق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلقها على العرش " ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت بينهما كالزنجى . وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا أن فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك، فيكون منافقا وهو يدعى في نفسه وأمثاله." (١)

"ص -٢١٠- باتباعهم؛ بل إما أن يكون كافرا، وإما أن يكون مفرطا في الجهل .

وهذا كثير في كلام المشايخ كقول الشيخ أبى سليمان الدارانى : إنه ليقع في قلبى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة .

وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا . أو قال : لا يقتدى به . وقال أبو عثمان النيسابورى : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر **الهوى** على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم ﴿وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ [النور : ٥٤] وقال أبو عمرو بن نجيد : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولى لله، ويظن أن ولى الله يقبل منه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنة فيوافق ذلك الشخص له، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء." (٢)

"ص -٣٢١- يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة تفننا، فيقوى عزمه على هذا الزهد في الدنيا، والخروج من دواعي **الهوى**، وقد يكون بعض عباده يكاشف بصدق اليقين، ويرفع عن قلبه الحجاب، ومن كوشف بصدق اليقين أغنى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦١/١٨٥

بذلك عن رؤية خرق العادات، لأن المراد منها كان حصول اليقين، وقد حصل اليقين، فلو كوشف هذا المرزوق صدق اليقين بشيء من ذلك لازداد يقينا . فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع استغناء به، وتقتضي الحكمة كشف ذلك لآخر لموضع حاجته، وكان هذا الثاني يكون أتم استعدادا وأهلية من الأول . فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة . ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع فما يبالي ولا ينقص بذلك . وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة .

فتعلم هذا، لأنه أصل كبير للطالبين، والعلماء الزاهدين، ومشايخ الصوفية .." (١)

"ص -٣٢١- يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة تفننا، فيقوى عزمه على هذا الزهد في الدنيا، والخروج من دواعي **الهوى**، وقد يكون بعض عباده يكاشف بصدق اليقين، ويرفع عن قلبه الحجاب، ومن كوشف بصدق اليقين أغنى بذلك عن رؤية خرق العادات، لأن المراد منها كان حصول اليقين، وقد حصل اليقين، فلو كوشف هذا المرزوق صدق اليقين بشيء من ذلك لازداد يقينا . فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع استغناء به، وتقتضي الحكمة كشف ذلك لآخر لموضع حاجته، وكان هذا الثاني يكون أتم استعدادا وأهلية من الأول . فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة . ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع فما يبالي ولا ينقص بذلك . وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة .

فتعلم هذا، لأنه أصل كبير للطالبين، والعلماء الزاهدين، ومشايخ الصوفية .." (٢)

"ص -٣٨٤- فأجاب :

الحمد لله، هذا الكلام المذكور : " زدني فيك تحيرا " من الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث وإنما يرويه جاهل أو ملحد، فإن هذا الكلام يقتضي أنه كان حائرا، وأنه سأل الزيادة في الحيرة، وكلاهما باطل، فإن الله هداه بما أوحاه إليه وعلمه ما لم يكن يعلم، وأمره بسؤال الزيادة من العلم بقوله : ﴿رب زدني علما﴾ [طه : ١١٤] وهذا يقتضي أنه كان عالما، وأنه أمر بطلب المزيد من العلم، ولذلك أمر هو والمؤمنون بطلب الهداية في قوله : ﴿اهدنا الصراط المستقيم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨١/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/١٨٦

﴾ [الفاتحة : ٦] ، وقد قال تعالى : ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] ، فمن يهدي الخلق كيف يكون حائرا ؟ والله قد ذم الحيرة في القرآن في قوله : ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ [الأنعام : ٧١] .

وفي الجملة، فالحيرة من جنس الجهل والضلال، ومحمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق علما بالله وبأمره، وأكمل الخلق اهتداء في نفسه، وهديا لغيره، وأبعد الخلق عن الجهل والضلال . قال تعالى : ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن **الهوى** ﴾ [النجم : ١-٣] ، وقال تعالى :." (١)

"ص -٥٠٨- وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا اجتهد الحاكم : فإن أصاب فله أجران،وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر " . وقال : " القضاة ثلاثة : قاضيان في النار، وقاض في الجنة . رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس بجهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار " .

ومن خرج عن الشرع الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ظانا أنه متبع للحقيقة . فإنه مضاه للمشركين المكذبين للرسل، ولفظ [الحقيقة] يقال : على [حقيقة كونية] و [حقيقة بدعية] و [حقيقة شرعية] .

ف [الحقيقة الكونية] مضمونها الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه . وهذا مما يجب أن يؤمن به، ولا يجوز أن يحتج به، بل لله علينا الحجة البالغة . فمن احتج بالقدر فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر عن المعاصي فعذره غير مقبول .

وأما [الحقيقة البدعية] فهي سلوك طريق الله سبحانه وتعالى، مما يقع في قلب العبد من الذوق والوجد، والمحبة **والهوى**، من غير اتباع الكتاب والسنة، كطريق النصارى، فهم تارة يعبدون غير الله، وتارة يعبدون بغير أمر الله . كالنصارى المشركين الذين اتخذوا أحبارهم." (٢)

"ص -٥٤٥- وإن كان أتباع هؤلاء زادوا على ما شرعه سادتهم وكبراؤهم، زيادات من الفواحش التى لا ترضاها القرود، فإنه قد ثبت فى صحيح البخارى " أن أبا عمران رأى فى الجاهلية قردا زنا بقردة،

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/١٨٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧/١٩٥

فاجتمعت عليه القرود فرجمته " . ومثل ذلك قد شاهده الناس فى زماننا فى غير القرود، حتى الطيور . فلو كانت صحبة [المردان] المذكورة خالية عن الفعل المحرم، فهى مظنة لذلك، وسبب له، ولهذا كان المشائخ العارفون بطريق الله يحذرون من ذلك . كما قال فتح الموصلى : أدركت ثلاثين من الأبدال كل ينهانى عند مفارقتى إياه عن صحبة الأحداث، وقال معروف الكرخى : كانوا ينهون عن ذلك . وقال بعض التابعين : ما أنا على الشاب الناسك من سبع يجلس إليه، بأخوف منى عليه من حدث يجلس إليه . وقال سفيان الثورى، وبشر الحافى : أن مع المرأة شيطانا، ومع الحدث شيطانين، وقال بعضهم : ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه الله بصحبة هؤلاء الأحداث . وقد دخل من فتنة الصور والأصوات على النساك ما لا يعلمه إلا الله، حتى اعترف أكابر الشيوخ بذلك . وتاب منهم من تداركه الله برحمته .

ومعلوم أن هذا من باب اتباع **الهوى** بغير هدى من الله . ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] . ومن استحل ذلك، أو." (١)

"ص -٥٨٦- وقال أبوعثمان النيسابوري : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر **الهوى** على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة، لأن الله يقول : ﴿وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ [النور : ٥٤] . ومثل هذا كثير في كلامهم .

وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يسلك إلى الله إلا بما شرعه الرسول لأمته، فهو الداعي إلى الله بإذنه، الهادي إلى صراطه، الذي من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، فهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي . آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم .." (٢)

"ص -٥٩٨- عنه، وليس للعالمين شرعة ولا منهاج، ولا شريعة ولا طريقة أكمل من الشريعة التي بعث الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم كما كان يقول في خطبته : " خير الكلام كلام الله،وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم " .

ومن غلط بعضهم توهمه أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حضروا هذا السماع، سماع المكاء والتصدية، والغناء والتصفيق بالأكف، حتى روى بعض الكاذبين أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشده أعرابي شعرا، قوله :

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/١٩٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٤/١٩٨

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي

سوى الحبيب الذي شغفت به فمنه دائي ومنه ترياقي

وأن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه، وقال : " ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب " . وهذا الحديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأحواله .

كما كذب بعض الكذابين : أن أهل الصفة قاتلوا المؤمنين مع." (١)

"ص -٦٤٣- الهادي، كان ضالا عن الطريق . فإما أن يهلك، وإما أن يشقى مدة ثم يعود إلى الطريق .

و [الدليل الهادي] هو الرسول الذي بعثه الله إلى الناس بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وهاديا إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض .

وآثار الشيطان تظهر في أهل السماع الجاهلي : مثل الإزباد، والإرغاء، والصراخات المنكرة، ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان، ولذلك يجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت : إما وجد في الهوى المذموم، وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم، وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم، إلى غير ذلك من الآثار الشيطانية، التي تعترى أهل الاجتماع، على شرب الخمر إذا سكروا بها، فإن السكر بالأصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالأشربة المطربة؛ فيصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويمنع قلوبهم حلاوة القرآن، وفهم معانيه، واتباعه، فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله . ويوقع بينهم العداوة والبغضاء، حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية . كما يقتل العائن من أصابه بعينه .

ولهذا قال من قال من العلماء : إن هؤلاء يجب عليهم القود والدية." (٢)

"ص -٦٩٤- والإسراف كالعدوان، كما في قوله : ﴿غير باغ ولا عاد ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، ومجاوزة قدر الحاجة، فالذنوب مثل اتباع الهوى بغير هدى من الله، فهذا كله ذنب، كالذي يرضى لنفسه، ويغضب لنفسه، فهو متبع لهواه، و [الإسراف] كالذي يغضب لله، فيعاقب بأكثر مما أمر الله . والآية في سياق قتال المشركين، وما أصابهم يوم أحد .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/١٩٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٩/١٩٩

وقد أخبر عمن قبلهم بقوله : ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ، وقد قيل على الصحيح، المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يقتل في معركة فقد قتل أنبياء كثيرون، ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ﴾ الآية .

فجمعوا بين الصبر والاستغفار وهذا هو المأمور به في المصائب الصبر عليها والاستغفار من الذنوب التي كانت سببها . والقتال كثيرا ما يقاتل الإنسان فيه لغير الله كالذي يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء . فهذا كله ذنوب والذي يقاتل لله قد يسرف فيقتل من لا يستحق القتل ويعاقب الكفار بأشد مما أمر به قال الله تعالى : ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ﴾ [الإسراء ٣٣] .." (١)

"ص -٢٨٨- ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ومع هذا فيعلم كل عاقل أن رواة الشعر ومنشديه لم يسلبوا الشعراء نفس صفاتهم حتى حلت بهم، بل ولا نفس ما قام بأولئك من صفاتهم وأفعالهم كأصواتهم وحركاتهم حلت بالرواة والمنشدين، فكيف يتوهم متوهم أن صفات الباري كلامه أو غير كلامه فارق ذاته وحل في مخلوقاته، وأن ما قام بالمخلوق من صفاته وأفعاله كحركاته وأصواته هي صفات الباري حلت فيه ؟ ! وهم لا يقولون مثل ذلك في المخلوق بل يمثلون العلم بنور السراج يقتبس منه المتعلم ولا ينقص ما عند العالم، كما يقتبس المقتبس ضوء السراج فيحدث الله له ضوءا " ، كما يقال : إن **الهوى** ينقلب نارا بمجاورة الفتيلة للمصباح من غير أن تتغير تلك النار التي في المصباح،والمقرئ والمعلم يقرئ القرآن ويعلم العلم ولم ينقص مما عنده شيء، بل يصير عند المتعلم مثل ما عنده .

ولهذا يقال : فلان ينقل علم فلان، وينقل كلامه، ويقال : العلم الذي كان عند فلان صار إلى فلان وأمثال ذلك، كما يقال : نقلت ما في الكتاب ونسخت ما في الكتاب، أو نقلت الكتاب أو نسخته، وهم لا يريدون أن نفس الحروف التي في الكتاب الأول عدمت منه وحلت في الثاني، بل لما كان المقصود من نسخ الكتاب من الكتب ونقلها من جنس نقل العلم والكلام، وذلك يحصل بأن يجعل في الثاني." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٦/٢٠٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٣/٢١٠

"ص –٦٧– وما تهوى الأنفس، كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى : ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ [النجم : ٢٣] .

وقال في الذين يخبرون عن الملائكة أنهم إناث : ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ [النجم : ٢٧ ، ٣٠] ، وهم جعلوهم إناثا كما قال : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ [الزخرف : ١٩] ،وفي القراءة الأخرى : " عند الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون " ،وهؤلاء قال عنهم : ﴿إن يتبعون إلا الظن ﴾ لأنه خبر محض ليس فيه عمل، وهناك : ﴿وما تهوى الأنفس ﴾ لأنهم كانوا يعبدونها ويدعونها، فهناك عبادة وعمل بهوى أنفسهم، فقال : ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ والذي جاء به الرسول كما قال : ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾ [النجم : ١ ٥] . وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس؛ فإن كان ممن يعتقد ما قاله، وله فيه حجة يستدل بها، كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئا." (١)

"ص –٨١– قلت : الاستمتاع بالشيء : هو أن يتمتع به، فينال به ما يطلبه ويريده ويهواه، ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء بعضهم ببعض كما قال : ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ﴾ [النساء : ٢٤] . ومن ذلك الفواحش، كاستمتاع الذكور بالذكور والإناث بالإناث .

ويدخل في هذا : الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم، ويدخل في ذلك : الاستمتاع بالأموال كاللباس، ومنه قوله : ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ [البقرة : ٢٣٦] وكان من السلف من يمتع المرأة بخادم فهي تستمتع بخدمته، ومنهم من يمتع بكسوة أو نفقة؛ ولهذا قال الفقهاء : أعلى المتعة خادم، وأدناها كسوة تجزي فيها الصلاة .

وفي الجملة، استمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس يشبه استمتاع الإنس بالإنس، قال تعالى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] ، وقال تعالى : ﴿وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، وقال مجاهد : هي المودات التي كانت لغير الله، وقال الخليل : ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ﴾ [

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٩/٢٢١

العنكبوت : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ [الجاثية : ٢٣] فالمشرك يعبد ما يهواه . واتباع **الهوى** هو استمتاع من صاحبه بما يهواه . وقد وقع في الإنس والجن هذا كله .." (١)

"ص -١٠١- فهؤلاء يبنون أمرهم على الإرادة، وأولئك يبنون أمرهم على النظر، وهذه هي القوة العلمية، ولابد لأهل الصراط المستقيم من هذا وهذا، ولابد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول . فالإيمان قول وعمل وموافقة السنة، وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الإرادة، وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي، فغلطوا من جهة كون جانب الإرادة لم يعظموه، وإن كانوا يوجبون الأعمال الظاهرة، فهم لا يعرفون أعمال القلوب وحقائقها، ومن جهة أن النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخبر به، وبين النظر البدعي الباطل المنهي عنه .

وكذلك الصوفية، عظموا جنس الإرادة إرادة القلب، وذموا **الهوى** وبالغوا في الباب، ولم يميز كثير منهم بين الإرادة الشرعية الموافقة لأمر الله ورسوله، وبين الإرادة البدعية، بل أقبلوا على طريق الإرادة دون طريقة النظر، وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين؛ ولهذا صار هؤلاء يميل إليهم النصارى ويميلون إليهم، وأولئك يميل إليهم اليهود ويميلون إليهم، وبين اليهود والنصارى غاية التنافر والتباغض .

وكذلك بين أهل الكلام والرأي، وبين أهل التصوف والزهد." (٢)

"ص -٣٨- إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت وما نهى عنه، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة جازمة لترك المحظور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد فى وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله فى قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدى به فى ذلك الصراط المستقيم .

نعم، حصل له هدى مجمل بأن القرآن حق، والرسول حق، ودين الإسلام حق، وذلك حق، ولكن هذا المجمل لا يغنيه إن لم يحصل له هدى مفصل فى كل ما يأتيه ويذره من الجزئيات التى يحار فيها أكثر عقول الخلق، ويغلب **الهوى** والشهوات أكثر عقولهم لغلبة الشهوات والشبهات عليهم .

والإنسان خلق ظلوما جهولا، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائما إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل فى محبته وبغضه ورضاه وغضبه وفعله وتركه وإعطائه ومنعه وأكله وشربه ونومه ويقظته، فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافى جهله، وعدل ينافى ظلمه، فإن لم يمن الله عليه

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٣/٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠٣/٢٢١

بالعلم المفصل والعدل المفصل وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم، وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم – بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ويهديك صراطا مستقيما ﴾ [الفتح : ١، ٢] ،." (١)

"ص -١٨٧- وقال تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

والشهادة لابد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه، لا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور؛ ولهذا ذم من يكتم ويحرف، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ [النساء : ١٣٥] .

وفى الصحيحين عن حكيم بن حزام عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما " .

فصل

وإذا كان لابد من بيان شهادته للعباد؛ ليعلموا أنه قد شهد، فهو قد بينها بالطريقين؛ بالسمع والبصر . فالسميع يسمع آيات الله المتلوة المنزلة، والبصير يعاين آياته المخلوقة الفعلية؛ وذلك أن شهادته تتضمن."
(٢)

[" .

قال أبو عثمان النيسابورى : من أمر السنة على نفسه ـ قولا وفعلا ـ نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه ـ قولا وفعلا ـ نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ .." (٣)

"ص -٢٧٨- الله، بل كلها أمر وجودي، وكل موجود وحادث فالله هو الذى يحدثه .

وذلك أن الحسنات إما فعل مأمور به، أو ترك منهى عنه، والترك أمر وجودي . فترك الإنسان لما نهى عنه، ومعرفته بأنه ذنب قبيح، وبأنه سبب للعذاب، وبغضه وكراهته له، ومنع نفسه منه إذا هويته، واشتهته، وطلبته كل هذه أمور وجودية، كما أن معرفته بأن الحسنات – كالعدل والصدق ـ حسنة، وفعله لها أمور وجودية .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٠/٢٣٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٢٣٤

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٧/٢٣٤

ولهذا إنما يثاب الإنسان على فعل الحسنات إذا فعلها محبا لها بنية وقصد فعلها ابتغاء وجه ربه، وطاعة لله ولرسوله، ويثاب على ترك السيئات إذا تركها بالكراهة لها، والامتناع منها، قال تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ [الحجرات : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] ، وقال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وفى الصحيحين عن أنس، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره." (١)

"ص -٢٨٩- الضرر الراجح لم يفعله، بل إما ألا يكون جازما بتحريمه، أو يكون غير جازم بعقوبته، بل يرجو العفو بحسنات، أو توبة، أو بعفو الله، أو يغفل عن هذا كله، ولا يستحضر تحريما، ولا وعيدا فيبقى غافلا غير مستحضر للتحريم، والغفلة من أضداد العلم .

فصل

فالغفلة والشهوة أصل الشر، قال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [الكهف : ٢٨] ، والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل، وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعا أن ذلك يضره ضررا راجحا، انصرفت نفسه عنه بالطبع؛ فإن الله ـ تعالى ـ جعل فى النفس حبا لما ينفعها، وبغضا لما يضرها، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضررا راجحا، بل متى فعلته كان لضعف العقل . ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل، وذو نهى، وذو حجى .

ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان، لا من مجرد النفس؛ فإن." (٢)

"ص -٤٦٠- والقسم الثانى : المترهبون، أوقعهم فى البدع غلوهم وتشديدهم، هؤلاء استمتعوا بخلاقهم، وهؤلاء خاضوا كما خاض الذين من قبلهم، وذلك أن الذين يتبعون الشهوات المنهى عنها أو يسرفون فى المباحات ويتركون الصلوات والعبادات المأمور بها يستحوذ عليهم الشيطان والهوى فينسيهم الله والدار الآخرة، ويفسد حالهم، كما هو مشاهد كثيرا منهم .

والذين يحرمون ما أحل الله من الطيبات وإن كانوا يقولون : إن الله لم يحرم هذا، بل يلتزمون ألا يفعلوه،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١٧/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢٨/٢٣٤

إما بالنذر وإما باليمين، كما حرم كثير من العباد والزهاد أشياء يقول أحدهم : لله على ألا آكل طعاما بالنهار أبدا، ويعاهد أحدهم ألا يأكل الشهوة الملائمة، ويلتزم ذلك بقصده وعزمه، وإن لم يحلف ولم ينذر، فهذا يلتزم ألا يشرب الماء، وهذا يلتزم ألا يأكل الخبز، وهذا يلتزم ألا يشرب الفقاع، وهذا يلتزم ألا يتكلم قط، وهذا يجب نفسه، وهذا يلتزم ألا ينكح ولا يذبح . وأنواع هذه الأشياء من الرهبانية التى ابتدعوها على سبيل مجاهدة النفس، وقهر الهوى والشهوة .

ولا ريب أن مجاهدة النفس مأمور بها، وكذلك قهر الهوى والشهوة، كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد." (١)

"ص -٤٦١- الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله " ، لكن المسلم المتبع لشريعة الإسلام هو المحرم ما حرمه الله ورسوله، فلا يحرم الحلال ولا يسرف فى تناوله، بل يتناول ما يحتاج إليه من طعام أو لباس أو نكاح، ويقتصد فى ذلك، ويقتصد فى العبادة، فلا يحمل نفسه ما لا تطيق .

فهذا تجده يحصل له من مجاهدات النفس وقهر الهوى ما هو أنفع له من تلك الطريق المبتدعة الوعرة القليلة المنفعة، التى غالب من سلكها ارتد على حافره، ونقض عهده، ولم يرعها حق رعايتها . وهذا يثاب على ذلك ما لا يثاب على سلوك تلك الطريق، وتزكو به نفسه، وتسير به إلى ربه، ويجد بذلك من المزيد فى إيمانه ما لا يجده أصحاب تلك الطريق؛ فإنهم لابد أن تدعوهم أنفسهم إلى الشهوات المحرمة؛ فإنه ما من بنى آدم إلا من أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا، وقد قال تعالى : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ [النساء : ٢٨] .

قال طاوس فى أمر النساء وقلة صبره عنهن كما تقدم . فميل النفس إلى النساء عام فى طبع جميع بنى آدم، وقد يبتلى كثير منهم بالميل إلى الذكران، كما هو المذكور عنهم، فيبتلى بالميل إلى المردان، وإن لم يفعل الفاحشة الكبرى ابتلى بما هو دون ذلك من المباشرة والمشاهدة، ولا يكاد أن يسلم أحدهم من الفاحشة، إما فى سره وإما." (٢)

"ص -٤٨٠- البر، بل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب سقط التغيير باللسان فى هذه الحال، وبقى بالقلب .

والشح هو شدة الحرص التى توجب البخل والظلم، وهو منع الخير وكراهته، و " الهوى المتبع " فى إرادة

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/٢٣٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٢٣٥

الشر ومحبته و " الإعجاب بالرأى " فى العقل والعلم، فذكر فساد القوى الثلاث التى هي العلم والحب والبغض، كما فى الحديث الآخر : " ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه " ، وبإزائها الثلاث المنجيات : " خشية الله فى السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحق فى الغضب والرضا " ، وهي التى سألها في الحديث الآخر : " اللهم إني أسألك خشيتك فى السر والعلانية، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا، وأسألك القصد فى الفقر والغنى " .

فخشية الله بإزاء اتباع الهوى؛ فإن الخشية تمنع ذلك، كما قال : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات : ٤٠] ، والقصد في الفقر والغنى بإزاء الشح المطاع، وكلمة الحق فى الغضب والرضا بإزاء إعجاب المرء بنفسه، وما ذكره الصديق ظاهر؛ فإن الله تعالى قال : ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ أي : الزموها وأقبلوا عليها، ومن مصالح النفس فعل ما أمرت به من الأمر والنهي، وقال : ﴿ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنما يتم الاهتداء إذا أطيع الله وأدى الواجب من الأمر النهي وغيرهما، ولكن فى الآية فوائد عظيمة :." (١)

"ص -٢٤- أعظم من إيمانه، ودرجته عند الله وأجره من صبره على ظلم إخوته له؛ ولهذا يعظم يوسف بهذا أعظم مما يعظم بذلك؛ ولهذا قال تعالى فيه : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] .

وهذا كالصبر عن المعاصي مع الصبر على المصائب، فالأول أعظم وهو صبر المتقين أولياء الله . قال سهل بن عبد الله التستري : أفعال البر يفعلها البر والفاجر، ولن يصبر عن المعاصي إلا صديق، ويوسف صلوات الله عليه كان صديقا نبيا . وأما من يظلم بغير اختياره ويصبر فهذا كثير، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم، وكذلك إذا مكن المظلوم وقهر ظالمه فتاب الظالم وخضع له، فعفوه عنه من المحاسن والفضائل، لكن هذا يفعله خلق كثير من أهل الدين وعقلاء الدنيا، فإن حلم الملوك والولاة أجمع لأمرهم وطاعة الناس لهم وتاليفهم لقلوب الناس، وكان معاوية من أحلم الناس، وكان المأمون حليما حتى كان يقول : لو علم الناس محبتي في العفو تقربوا إلى بالذنوب؛ ولهذا لما قدر على من نازعه في الملك وهو عمه إبراهيم بن المهدي عفا عنه .

وأما الصبر عن الشهوات والهوى الغالب لله، لا رجاء لمخلوق ولا خوفا منه، مع كثرة الدواعي إلى فعل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٤/٢٣٥

الفاحشة . واختياره الحبس الطويل على ذلك كما قال يوسف : ﴿رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه ﴾ [يوسف : ٣٣] ، فهذا لا يوجد نظيره إلا في خيار عباد الله الصالحين، وأوليائه." (١)

"ص -١٣٥- فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم ب ﴿قل هو الله أحد ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " سلوه : لأي شيء يصنع ذلك " فسألوه، فقال : لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن الله يحبه " .

وقال البخاري في باب [الجمع بين السورتين في ركعة] : وقال عبيد الله، عن ثابت، عن أنس : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم بها في الصلاة مما يقرأ به، افتتح ب ﴿قل هو الله أحد ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها، فكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه وقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزيك حتى تقرأ بأخرى . فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال : ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم ذلك تركتكم . وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر، فقال : " يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ " . قال : إني أحبها . قال : " حبك إياها أدخلك الجنة " . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إنها تعدل ثلث القرآن " حق كما أخبر به، فإنه صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن **الهوى**، لم يخرج من بين شفتيه إلا حق .." (٢)

"ص -١٣٨- " وقال شيخ الإسلام رحمه الله بعد كلام " [هكذا بالأصل] ﴾ [ما بين المعقوفتين مستفاد من محقق التفسير الكبير لابن تيمية ؛ الدكتور عبد الرحمن عميرة ٥٨٣، وفي النسخة التي حققها الدكتور محمد الجليند جاء النص هكذا : " قال شيخ الإسلام رحمه الله : ثم إن يوسف " انظر : ٣٢٧٤ وقول ابن تيمية بعد ذلك بقليل : " الوجه السادس " ينبئ بوجود سقط من الأصل] [يهم أحدهم] بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيدعه، فكان يوسف ممن خاف مقام ربه ونهي النفس عن **الهوى**

ثم إن يوسف عليه الصلاة والسلام كان شابا عزبا أسيرا في بلاد العدو، حيث لم يكن هناك أقارب أو أصدقاء، فيستحي منهم إذا فعل فاحشة، فإن كثيرا من الناس يمنعه من مواقعة القبائح حياؤه ممن يعرفه، فإذا تغرب فعل ما يشتهيه، وكان أيضا خاليا لا يخاف مخلوقا، فحكم النفس الأمارة لو كانت نفسه كذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣٥/٢٣٨

أن يكون هو المتعرض لها، بل يكون هو المتحيل عليها، كما جرت به عادة كثير ممن له غرض في نساء الأكابر إن لم يتمكن من الدعوة ابتداء فأما إذا دعي ولو كانت الداعية خدامة؛ لكان أسرع مجيب، فكيف إذا كانت الداعية سيدته الحاكمة عليه، التي يخاف الضرر بمخالفتها ؟ !

ثم إن زوجها الذي عادته أن يزجر المرأة لم يعاقبها، بل أمر." (١)

"ص -٢٤١- ﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦] ، ونحو ذلك

فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد إذا رأت الحق اتبعته وأحبته إذ الحق نوعان :

حق موجود : فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه، وضد ذلك الجهل والكذب

وحق مقصود : وهو النافع للإنسان، فالواجب إرادته والعمل به، وضد ذلك إرادة الباطل واتباعه

ومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل، ومحبة الصدق دون الكذب، ومحبة النافع دون الضار، وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من هوي وكبر وحسد ونحو ذلك، كما أنه في صالح الجسد خلق الله فيه محبة الطعام والشراب الملائم له دون الضار، فإذا اشتهي ما يضره أو كره ما ينفعه فلمرض في الجسد، وكذلك أيضا إذا اندفع عن النفس المعارض من **الهوى** والكبر والحسد وغير ذلك، أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح، كما أن." (٢)

"ص -٢٤٤- ضده، فإذا قوي العلم والتذكر دفع الهوي، وإذا اندفع الهوي بالخشية أبصر القلب وعلم وهاتان هما الطريقة العلمية والعملية، كل منهما إذا صحت تستلزم ما تحتاج إليه من الأخري، وصلاح العبد ما يحتاج إليه ويجب عليه منهما جميعا؛ ولهذا كان فساده بانتفاء كل منهما فإذا انتفي العلم الحق كان ضالا غير مهتد، وإذا انتفي اتباعه كان غاويا مغضوبا عليه

ولهذا قال : ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٧] ، وقال : ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن **الهوى** إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ١ ٤] ، وقال في ضد ذلك : ﴿ ا ن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم : ٢٣] ، وقال : ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال : ﴿وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ [الأنعام : ١١٩] ، وقال : ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ [طه : ١٢٣] ،وقال

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/٢٥٠

في ضده : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [طه : ١٢٤] ، وقال : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٥] ، وقال في ضده : ﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر ﴾ [القمر : ٤٧] ، قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه، ألا يضل في الدنيا، ولا يشقي في الآخرة

فهو سبحانه يجمع بين الهدي والسعادة، وبين الضلال والشقاوة،." (١)

"ص -١٨٢- وكذلك العقل بلا سمع لما جاءت به الرسل لا ينفع . وقد اعترف أهل النار بمجيء الرسل فقالوا : ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ﴾ [الملك : ٩] .

وكذلك المعتبرين بآثار المعذبين الذين قال فيهم : ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون ﴾ [الحج : ٤٦] . إنما ينتفعون إذا سمعوا أخبار المعذبين المكذبين للرسل والناجين الذين صدقوهم، فسمعوا قول الرسل وصدقوهم .

الفائدة الثالثة : أن الخشية أيضا سبب للتذكر كما تقدم . فكل منهما قد يكون سببا للآخر . فقد يخاف الإنسان فيتذكر، وقد يتذكر الأمور المخوفة فيطلب النجاة منها، ويتذكر ما يرجو به النجاة منها فيفعله .

فإن قيل : مجرد ظن المخوف قد يوجب الخوف، فكيف قال : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] ؟

قيل : النفس لها هوى غالب قاهر لا يصرفه مجرد الظن، وإنما يصرفه العلم بأن العذاب واقع لا محالة . وأما من كان يظن أن العذاب يقع ولا يوقن بذلك فلا يترك هواه؛ ولهذا قال : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** ﴾ [النازعات : ٤٠] .." (٢)

"ص -٣٥٢- وإن كان يعاقب كل منهما دون الحد، وقد اعتبر نصاب حد الزنا بأربعة شهداء

وكذلك تعتبر صفاتهم، فلا يقام حد الزنا على مسلم إلا بشهادة مسلمين،لكن يقال : لم يقيدهم بأن يكونوا عدولا مرضيين، كما قيدهم في آية الدين بقوله: ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقال في آية الوصية : ﴿ اثنان ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ١٠٦] ، وقال في آية الرجعة : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ﴾ [الطلاق : ٢] ، فقد أمرنا الله سبحانه بأن نحمل الشهادة المحتاج إليها لأهل العدل والرضا، وهؤلاء هم الممتثلون ما أمرهم الله به بقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠٣/٢٥٠

بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا الآية﴾ [النساء : ١٣٥] ، وفي قوله: ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ [الأنعام : ٢٥١] ، وقوله: ﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، وقوله: ﴿ ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقوله : والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ [المعارج : ٣٣] ، فهم يقومون بالشهادة بالقسط لله فيحصل مقصود الذي استشهده

الوجه الثاني : أن كون شهادتهم مقبولة مسموعة، لأنهم أهل العدل والرضا فدل على وجوب ذلك في القبول والأداء، وقد نهي سبحانه عن قبول شهادة الفاسق بقوله: ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية﴾ [الحجرات : ٦] ، لكن هذا نص في أن الفاسق الواحد يجب التبين في خبره،." (١)

"ص -٤١٦- قدرته من خلق الرجال؛ فتخصيص الإنسان بالتسبيح بحال نظره إلى الأمرد دون غيره كتخصيصه بالتسبيح بالنظر إلى المرأة دون الرجل ؛ وما ذاك لأنه أدل على عظمة الخالق عنده؛ ولكن لأن الجمال يغير قلبه وعقله، وقد يذهله ما رآه، فيكون تسبيحه لما حصل فى نفسه من الهوى، كما أن النسوة لما رأين يوسف : ﴿ وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ [يوسف : ٣١]

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " فإذا كان الله لا ينظر إلى الصور والأموال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فكيف يفضل الشخص بما لم يفضله الله به وقد قال تعالى: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ [طه : ١٣١] ، وقال فى المنافقين : ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله ﴾ [المنافقون : ٤]

فإذا كان هؤلاء المنافقون الذين تعجب الناظر أجسامهم، لما فيهم من البهاء والرواء، والزينة الظاهرة، وليسوا ممن ينظر إليه لشهوة، قد ذكر الله عنهم ما ذكر، فيكف بمن ينظر إليه لشهوة ؟." (٢)

"ص -٤٢١- الأبدال كلهم يوصيني عند فراقه بترك صحبة الأحداث، وقال بعضهم : ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه بصحبة هؤلاء الأنتان

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٥/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٠/٢٥٤

ثم النظر يولد المحبة، فيكون علاقة، لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة، لانصباب القلب إليه، ثم غراما؛ للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه، ثم عشقا، إلى أن يصير تتيما، والمتيم : المعبد، وتيم الله : عبد الله، فيبقى القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون أخا ولا خادما

وهذا إنما يبتلى به أهل الأعراض عن الإخلاص لله، الذين فيهم نوع من الشرك، وإلا فأهل الإخلاص، كما قال الله تعالى فى حق يوسف عليه السلام : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء، ويوسف – عليه السلام – مع عزوبته، ومراودتها له، واستعانتها عليه بالنسوة، وعقوبتها له بالحبس على العفة : عصمه الله بإخلاصه لله، تحقيقا لقوله: ﴿ ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [الحجر : ٣٩، ٤٠] ، قال تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحجر : ٤٢] ، و " الغى " : هو اتباع **الهوى**

وهذا الباب من أعظم أبواب اتباع **الهوى**، ومن أمر بعشق الصور من المتفلسفة كابن سينا وذويه، أو من الفرس، كما يذكر." (١)

"ص -٤٢٣-

ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] ، وقال تعالى : ﴿لا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص : ٢٦]

وأما من نظر إلى المردان ظانا أنه ينظر إلى مظاهر الجمال الإلهي، وجعل هذا طريقا له إلى الله، كما يفعله طوائف من المدعين للمعرفة، فقوله هذا أعظم كفرا من قول عباد الأصنام، ومن كفر قوم لوط فهؤلاء من شر الزنادقة المرتدين، الذين يجب قتلهم بإجماع كل أمة، فإن عباد الأصنام قالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر : ٣]

وهؤلاء يجعلون الله سبحانه موجودا فى نفس الأصنام، وحالا فيها، فإنهم لا يريدون بظهوره وتجليه فى المخلوقات أنها أدلة عليه، وآيات له، بل يريدون أنه – سبحانه – ظهر فيها، وتجلى فيها، ويشبهون ذلك بظهور الماء فى الصوفة، والزبد فى اللبن، والزيت فى الزيتون، والدهن فى السمسم، ونحو ذلك مما يقتضى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٥/٢٥٤

حلول نفس ذاته فى مخلوقاته، أو اتحاده بها، فيقولون فى جميع المخلوقات نظير ما قاله النصارى فى المسيح خاصة، ثم يجعلون المرادن مظاهر الجمال، فيقرون هذا الشرك الأعظم طريقا إلى استحلال الفواحش، بل إلى استحلال كل محرم، كما قيل لأفضل." (١)

"ص –١٥٠– ورسوله أعلم، قال : " حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . أتدري ماحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " حقهم عليه ألا يعذبهم " ، ومنه قوله في غير حديث : "كان حقا على الله أن يفعل به كذا " . فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله .

ونظير تحريمه على نفسه وإيجابه على نفسه ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكلمته السابقة، كقوله : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ [يونس : ١٩] ، وقوله : ﴿ لأملأن جهنم ﴾ [ص : ٨٥] ،و ﴿ لنهلكن الظالمين ﴾ [إبراهيم : ١٣] ، ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [آل عمران : ١٩٥] ، ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ﴾ [الأعراف : ٦] ، ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعني، بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض .

ولهذا قال الفقهاء : اليمين إما أن توجب حقا، أو منعا، أو تصديقا، أو تكذيبا . وإذا كان معقولا في الإنسان أنه يكون آمرا مأمورا كقوله : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ [يوسف : ٥٣] ، وقوله : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات : ٤٠] ، مع أن العبد له آمر وناه فوقه، والرب الذي ليس فوقه أحد لأن يتصور أن يكون هو الآمر الكاتب على نفسه الرحمة، والناهي المحرم على نفسه الظلم أولي." (٢)

"المرئية في السماء في حال ظهورها وجريانها إنها آفلة ولا يقول عاقل لكل من مشى وسافر وسار وطار إنه آفل

الوجه الرابع أن هذا القول الذي قالوه لم يقله أحد من علماء السلف أهل التفسير ولا من أهل اللغة بل هو من التفسيرات المبتدعة في الإسلام كما ذكر ذلك عثمان بن سعيد الدارمي وغيره من علماء السنة وبينوا أن هذا من التفسير المبتدع

وبسبب هذا الإبتداع أخذا ابن سينا وأمثاله لفظ الأفول بمعنى الإمكان كما قال في إشاراته

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٧/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/٢٥٥

قال قوم إن هذا الشي المحسوس موجود لذاته واجب لنفسه لكن إذا تذكرت ما قيل في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجبا وتلوت قوله تعالى ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ سورة الأنعام ٧٦ فإن الهوى في حظيرة الإمكان أفول ما فهذا قوله

". (١)

"

ومن المعلوم بالضرورة من لغة العرب أنهم لا يسمعون كل مخلوق موجود آفلا ولا كل موجود بغيره آفلا ولا كل موجود يجب وجوده بغيره لا بنفسه آفلا ولا ما كان من هذه المعاني التي يعنيها هؤلاء بلفظ الإمكان بل هذا أعظم افتراء على القرآن واللغة من تسمية كل متحرك آفلا ولو كان الخليل أراد بقوله ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ سورة الأنعام ٧٦ هذا المعنى لم ينتظر مغيب الكوكب والشمس والقمر ففساد قول هؤلاء المتفلسفة في الإستدلال بالآية أظهر من فساد قول أولئك

وأعجب من هذا قول من قال في تفسيره إن هذا قول المحققين

واستعارته لفظ الهوى والحظيرة لا يوجب تبديل اللغة المعروفة في معنى الأفول فإن وضع هو لنفسه وضعا آخر فليس له أن يتلو عليه كتاب الله تعالى فيبدله أو يحرفه

وقد ابتدعت القرامطة الباطنية تفسيرا آخر كما ذكره أبو حامد في بعض مصنفاته كمشكاة الأنوار وغيرها أن الكواكب والشمس والقمر هي النفس والعقل الفعال والعقل الأول ونحو ذلك

وشبهتهم في ذلك أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم أجل من أن يقول لمثل هذه الكواكب إنه رب العالمين بخلاف ما ادعوه من النفس ومن العقل الفعال الذي يزعمون أنه رب كل ما تحت فلك القمر والعقل الأول الذي يزعمون أنه مبدع العالم كله

". (٢)

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣١٤/١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣١٥/١

كما قال تعالى ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾ سورة التوبة ٤٧ فأخبر أن المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم الا خبالا ولكانوا يسعون بينهم مسرعين يطلبون لهم الفتنة وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم اما لظن مخطىء أو لنوع من **الهوى** أو لمجموعهما فإن المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يحب البصر النافذ عند وجود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات

وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ سورة الفاتحة ٦ ٧ فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به والضالون عبدوا الله بلا علم

ولهذا نزه الله نبيه عن الأمرين بقوله ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ سورة النجم ١ ٢ وقال تعالى ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ سورة ص ٤٥

وهذا الذي تقدم ذكره من إنكار ائمة الراقيين من أصحاب الشافعي قول ابن كلاب ومتبعيه في القرآن هو معروف في كتبهم

". (١)

"نحن نعلم أن النار تخالف الماء أعظم مما نعلم أن الحرارة تخالف البرودة وذلك أن الحرارة والبرودة بينهما من الاشتراك في الكيفيات مثل كون كل منهما عرضا قائما بغيره وهو صفة محسوسة باللمس وكذلك بين السواد والبياض من الاشتراك في العرضية واللونية والقيام بالغير والرؤية بالبصر وغير ذلك من الصفات اعظم من الاشتراك بين الماء والنار فإن الاشتراك بينهما هو في القدر ونحو ذلك من الكميات والاشتراك في الكيفية أعظم من الاشتراك في الكمية فإذا كان ذلك لا يوجب التماثل فذاك بطريق الأولى

وأيضا فالحرارة قد تنكسر بالبرودة فيمثل الفاتر فإنه لا يبقى حارا كحرارة النار ولا باردا برودة الماء المحض وأما نفس الماء والنار فلا يجتمعان وأيضا فالآعراض المختلفة تشترك في محل واحد واما نفس الأقسام فلا تشترك في محل واحد وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠٥/٢

والمقصود هنا بيان اعتراف هؤلاء بفساد الأصول التي بنوا عليها ما خالفوه من النصوص وبيان تناقضهم في ذلك وأنهم يقولون إذا تكلموا في المنطق وغيره بما يناقض كلامهم هنا ويبعد أو يمتنع في العادة أن يكون هذا لمجرد اختلاف الاجتهاد مع الفهم التام في الموضعين بل يكون لنقص كمال الفهم والتصور وخوفا أن لا يكون القولان متنافيين فلا يهجم بإثبات التناقض أو لنوع من الهوى

". (١)

"الله به الحق وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام معظم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين

والمقصود هنا أن صفوة أولياء الله تعالى الذين لهم في الأمة لسان صدق من سلف الأمة وخلفها هم على مذهب أهل السنة والجماعة أهل الإثبات للأسماء والصفات وهم من أبعد الناس عن مذاهب أهل الإلحاد من أهل الحلول والوحدة والاتحاد وإن كان كثير من متأخري الصوفية دخلوا في مذاهب الإباحة والحلولية وخلطوا التصوف بالفلسفة اليونانية كما خلطه بعضهم بشيء من أقوال أهل الكلام الجهمية ومبدأ هذا من أقوال الذين يعارضون النصوص بآرائهم كما ذكر الشهرستاني في أول كتابه في الملل والنحل أن مبدأ أنواع كل الضلالات هو من تقديم الرأي على النص واختيار الهوى على الشرع فسرى في المنتسبين إلى العلم والدين من أهل الفقه والكلام والتصوف من أقوال الملاحدة بسبب هذا الأصل ما لا

". (٢)

"ذات مجردة عن العلم والقدرة وإذا قالوا هي زائدة على الذات فلا يعنون أنها زائدة على الذات العالمة القادرة بل هي زائدة على ذات مجردة عن العلم والقدرة إلا من يقول منهم إن له صفة هي العلم أو جبت كونه عالما فهؤلاء مثبتو الحال وأكثر الصفاتية هم من نفاة الأحوال

وأما النفاة فيسلمون ثبوت الأحكام وهي أنه عالم قادر وينازعون في ثبوت الصفات ويتنازعون بينهم في ثبوت الأحوال ثم الأحكام التي يثبتونها لا يجوز أن يراد بها مجرد حكمنا بأنه عالم قادر واعتقادنا لذلك وخبرنا عنه وهو الوصف بالقول فإن هذا الوصف والحكم إن لم يكن مطابقا لمضمونه كان باطلا فكونه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٨٠/٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٥

حيا عالما قادرا ليس هو مجرد الحكم بذلك والخبر عنه ووصفه بالقول ولا هو نفس الذات التي هي العالمة القادرة فإن كون الذات حية عالمة قادرة ليس هو نفس الذات فتعين أن يكون هو الصفة

وأئمة المعتزلة يعترفون بذلك لكن يشنعون على الصفاتية بكلام لم يحققوا قولهم فيه بل ذكروا عنهم ما يفهم منه معنى فاسد إما لكونهم لم يفهموا قول أولئك أو لكونهم ألزموهم ما ظنوه لازما لهم أو لنوع من الهوى الموجب للافتراق الذي ذمه الله ورسوله

واعتبر ذلك بما ذكره أبو الحسين البصري أفضل متأخري المعتزلة فإنه قال في كتاب عيون الأدلة قال باب القول في أن الله قديم وحده عندنا أنه لا قديم إلا الله وذهب قوم إلى إثبات قديم أكثر من

". (١)

" الوجه الحادي والعشرون

أن يقال معارضة أقوال الأنبياء بآراء الرجال وتقديم ذلك عليها هو من فعل المكذبين للرسل بل هو جماع كل كفر كما قال الشهرستاني في أول كتابه المعروف بالملل والنحل ما معناه أصل كل شر هو من معارضة النص بالرأي وتقديم الهوى على الشرع

وهو كما قال فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه وبين أن المتبعين لما انزله هم أهل الهدى والفلاح والمعرضين عن ذلك هم أهل الشقاء والضلال

كما قال تعالى ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾

وقال تعالى ﴿ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ والذين

". (٢)

"﴿كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٦/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٠٤/٥

وقد أخبر عن أهل النار أنهم إنما دخلوها لمخالفة الرسل قال تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ إلى قوله ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾

وقال تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾

وقال تعالى ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾

ومعلوم أن الكلام الذي جاءت به الرسل عن الله نوعان إما إنشاء وإما إخبار والإنشاء يتضمن الأمر والنهي والإباحة فأصل السعادة تصديق خبره وطاعة أمره وأصل الشقاوة معارضة خبره وأمره بالرأي والهوى وهذا هو معارضة النص بالرأي وتقديم الهوى على الشرع

". (١)

"

وكذلك النصارى تعظم ما هو من هذا الباب وهكذا الفلاسفة تجد أحدهم إذا سمع أئمته يقولون الصفات الذاتية والعرضية والمقوم والمقسم والمادة والهيولي والتركيب من الكم ومن الكيف وأنواع ذلك من العبارات عظمها قبل أن يتصور معانيها ثم إذا طلب معرفتها لم يكن عنه في كثير منها إلا التقليد لهم

ولهذا كان فيها من الكلام الباطل المقرون بالحق ما شاء الله ويسمونها عقليات وإنما هي عندهم تقليديات قلدوا فيها ناسا يعلمون أنهم ليسوا معصومين وإذا بين لأحدهم فسادها لم يكن عنده ما يدفع ذلك بل ينفي تعظيمه المطلق لرؤوس تلك المقالة [ثم] يعارض ما تبين لعقله فيقول كيف يظن بأرسطو وابن سينا وأبي الهذيل أو أبي علي الجبائي ونحو هؤلاء أن يخفى عليه مثل هذا أو أن يقول مثل هذا

وهو مع هذا يرى أن الذين قلدوا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ قد بخسوا أنفسهم حظها من العقل والمعرفة والتمييز ورضوا بقبول قول لا يعلمون

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٢٠٥

(١) ".

"جاز عليها المواطأة على الكذب جاز عليها ذلك ويجوز أيضا أن يشبته عليها الحق بالباطل حتى تجحد ما هو حق في نفسه لاشتباهه عليها وإن كان معلوما بالضرورة عند غيرها فإنه إذ جاز تعمد الكذب عليهم فجواز الخطأ عليهم أولى

ومعلوم أن الحس قد يغلط والعقل قد يغلط فيجوز على الطائفة المعينة غلط حسهم أوعقلهم وإذا كانت المعاني دقيقة وفيها ألفاظ مجملة وقد ألقى بعضهم إلى بعض أن هذه القول باطل وكفر أمكن أن لا يتصوروه على وجهه وإن كان غيرهم يتصوره لسلامته من الهوى ومن الاعتقاد المانع من ذلك

وأما قوله في الوجه السادس إن العقل يدرك ماهيات كمراتب الأعداد مع أنه لا يمكنه أن يحكم على كل واحدة منها بأن موضعها كذا أو مقدارها كذا

فجوابه من وجوه

أحدها ما أجاب به بعض أصحابهم حيث قال هذا لا يرد عليهم لأن الأعداد أمور ذهنية والكلام في أمور خارجية

الوجه الثاني أن يقال العدد مع المعدود والتقدير مع المقدر

(٢) ".

"يعارض بها أو يعتمد عليها إذا بينت له فسادها وما فيها من الاشتباه والالتباس قال هذه قالها فلان وفلان وكانوا فضلاء فكيف خفي عليهم مثل هذا فينتهون بعد إعراضهم عن كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وإجماع السلف الذين لا يجتمعون على ضلالة ومخالفة عقول بني آدم التي فطرهم الله عليها إلى تقليد رجال يقولون إن هذه القضايا عقلية برهانية وقد خالفهم في ذلك رجال آخرون من جنسهم مثلهم وأكثر منهم وعامة من تجده من طلبة العلم المنتسبين إلى فلسفة أو كلام أو تصوف أو فقه أو غير ذلك إذا عارض نصوص الكتاب والسنة بما يزعم أنه برهان قطعي ودليل عقلي وقياس مستقيم وذوق صحيح

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣١٦/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٨٦/٦

ونحو ذلك إذا حاققته وجدته ينتهي إلى تقليد لمن عظمه إذا كان من الأتباع أو إلى ما افتراه هو أو توهمه إن كان من المتبوعين وللطائفتين نصيب مما ذكره الله في أشباههم

قال تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ سورة البقرة ١٦٥١٦٧

وقال تعالى ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾

". (١)

"دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الإصرار بواسطة التعصب الذي يثور عن الجدل

قلت المضرة التي ذكرها نوعان أحدهما يتعلق بالعلم وهو التنبيه على شبه الباطل التي تضعف اعتقاد الحق وتفضي إلى الباطل والثاني يتعلق بالقصد وهو إثارة **الهوى** والحمية والعصبية التي تدعو إلى الإصرار ولو على الباطل لئلا يغلب الشيطان

قال وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخرى سوى نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود

قال ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف

". (٢)

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٦٣/٧

وإذا كان كذلك فانظر في هذا الأصل الذي اتبع فيه متأخروهم لمتقدميهم من إثباتهم حدوث العالم والأجسام بهذه الطريق هل هي طريقة صحيحة في العقل أم لا وهل هي موافقة للشرع أم لا فاعرضها على الكتاب والميزان فإن الله تعالى يقول ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ سورة الحديد ٢٥ فاعرض عما يذكرونه بما ثبت من كتاب الله وسنة رسوله وما ثبت عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وزنه أيضا بالميزان الصحيحة العادلة العقلية واستعن على ذلك بما يذكره كل من النظار في هذه الطريقة وأمثالها ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله ولا تتبع الظن فإنه لا يغني من الحق شيئا وسل الله أن يلهمك ويهديك

فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح الإلهي أن الله تعالى قال

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم

وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام

". (١)

"أحسنوا الظن بطريقة دون طريقة وفي كل من الطريقين ما يؤخذ ويترك وأهم الأمور ما جاء به الرسول وفهم ذلك

فإنه قد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وأول الفقه فهم خطاب الله ورسوله بعد معرفة ثبوت ذلك عن الرسول ولو كان في نفس الأمر أن السمعيات لا يجب قبولها حتى يقوم الدليل على صدق المبلغ وهو بعد في قطع هذه المسافة فينبغي له أن لا ينظر في مسألة مما تكلم فيها الناس حتى يعرف ما قاله هذا الرسول وما ثبت عنه فإنه لو قدر واحد من العلماء النظار لكان ينبغي أن يعرف ما قاله في مسائل النزاع لينظر في قوله وقول غيره كما يفعل من نظر في أقوال النظار فكيف إذا كان في نفس الأمر هو المعصوم الذي لا ينطق عن **الهوى**

ومعلوم أن الرجل لو تكلم في مسألة طب تنازع فيها الناس وقد بلغه أن لبقراط وجالينوس وأمثالهما فيها نصا لم ينبغ له أن يثبت القول فيها

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٦/٨

". (١)

"بالكلام الذي وقع من الناس وفيه من الجهل والكذب ما ينهي عنه

وتحقيق الأمر أن الكلام بالعلم الذي بينه الله ورسوله مأمور به وهو الذي ينبغي للإنسان طلبه واما الكلام بلا علم فيذم ومن تكلم بما يخالف الكتاب والسنة فقد تكلم بلا علم وقد تكلم بما يظنه علما إما برأى رآه واما بنقل بلغه ويكون كلاما بلا علم وهذا قد يعذر صاحبه تارة وان لم يتبع وقد يذم صاحبه إذا ظلم غيره ورد الحق الذي معه بغيا

كما ذم الله ذلك بقوله ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ سورة آل عمران ١٩ فالبغي مذموم مطلقا سواء كان في أن يلزم الانسان الناس بما لا يلزمهم ويذمهم على تركه أو بأن يذمهم على ما هم معذورون فيه والله يغفر لهم خطأهم فيه فمن ذم الناس وعاقبهم على ما لم يذمهم الله تعالى ويعاقبهم عليه فقد بغي عليهم لا سيما إذا كان ذلك أجل هواه

وقد قال تعالى ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ سورة ص ٢٦ والله تعالى قد قال ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ سورة الاحزاب ٧٢ ٧٣

". (٢)

"شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجبا وتلوت قوله تعالى ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ سورة الأنعام ٧٦ فإن الهوى في حظيرة الإمكان أفول ما

قلت هذا القول هو قول الدهرية المحضة من الفلاسفة وغيرهم الذين ينكرون صدور العالم عن فاعل أو علة مستلزمة له وهو الذي أظهره فرعون وغيره وإليه يرجع عند التحقيق قول القائلين بوحدة الوجود من قدماء الفلاسفة ومن هؤلاء الفلاسفة الذين يدعون التحقيق والتوحيد والمعرفة كابن عربي وابن سبعين ونحوهما فإن هؤلاء لا يثبتون موجودين متباينين أحدهما أبدع الآخر بل كل وجود في الوجود فهو الوجود الواجب عندهم ثم لما رأوا أن الموجودات فيها اختلاف وتفرق وفيها ما حدث بعد وجوده احتاجوا إلى أن يجمعوا بين كون الوجود واحدا بالعين وبين ما يوجد فيه من التفرق والاختلاف فتارة يقولون الأعيان ثابتة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٨/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٠٨/٨

في العدم ووجود الحق فاض عليها فيجمعون بين كون المعدوم شيئا ثابتا في العدم غنيا عن الله تعالى كما قال ذلك من قاله من المعتزلة والشيعة ويضمون إلى ذلك أن وجوده وجود الخالق تعالى وهذا لم يقله أحد من أهل الملل بل ولا من الفلاسفة الإلهيين وهذا حقيقة قول ابن عربي

وتارة يجعلون الواجب هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق والأعيان هي الممكنات كما يقوله صاحبه القونوي

وابن سينا وأتباعه يقولون الوجود الواجب هو المطلق بشرط الإطلاق عن كل أمر ثبوتي وهذا أفسد من ذاك فإن المطلق بشرط إطلاقه لا

". (١)

"والماء إلى فوق ففي طبعه **الهوى** والنزول فهي تابعة للقسرية فكل من الطبيعية والقسرية تابعة لغيرها

فمبدأ الحركات كلها هي الإرادية وكل إرادة لا يكون الله هو المراد المقصود بالقصد الأول بها كانت ضارة لصاحبها مفسدة له غير نافعة ولا مصلحة له

وليس ما يستحق أن يكون هو المحبوب لذاته المراد لذاته المطلوب لذاته المعبود لذاته إلا الله كما أنه ليس ما هو بنفسه مبدع خالق إلا الله فكما أنه لا رب غيره فلا إله إلا هو فليس في المخلوقات ما يستقل بإبداع شيء حتى يكون ربا له ولكن ثم أسباب متعاونة ولها فاعل هو سببها

وكذلك ليس في المخلوقات ما هو مستحق لأن يكون المستقل بأن يكون هو المعبود المقصود المراد بجميع الأعمال بل إذا استحق أن يحب ويراد فإنما يراد لغيره وله ما شاركه في أن يحب معه وكلاهما يحب أن يحب لله لا يحب واحد منهما لذاته إذ ليست ذاته هي التي يحصل بها كمال النفوس وصلاحها وانتفاعها إذا كانت هي الغاية المطلوبة

والله فطر عباده على ذلك وهو أعظم من كونه فطرهم على حب الأغذية التي تصلحهم فإذا تناولوا غيرها أفسدتهم فإن ذلك وإن كان كذلك ففي الممكن أن يجعل في غير ذلك ما يغذيهم وأما كون الفطرة يمكن أن تصلح على عبادة غير الله فهذا ممتنع لذاته كما يمتنع لذاته

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥٥/٩

." (١)

" ثم قالوا ليس ذات الرسول بحجة وقالوا ما هو بعد ما مات بمبلغ فلا تلزم به الحجة فسقط من أقاويلهم على ثلاثة أشياء أنه ليس في السماء رب ولا في الروضة رسول ولا في الأرض كتاب كما سمعت يحيى بن عمار رحمه الله يحكم به عليهم وإن كانوا موهوها وووروا عنها أو استوحشوا من تصريحها فإن حقائقها لازمة لهم وأبطلوا التقليد فكفروا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين وأوجبوا النظر في الكلام واضطروا إليه الدين بزعمهم فكفروا السلف وسموا الأثبات تشبيها فعابوا القرآن وضللوا الرسول صلى الله عليه و سلم فلا تكاد ترى منهم رجلا ورعا ولا للشريعة معظما ولا للقرآن محترما ولا للحديث موقرا سلبوا التقوى ورقة القلب وبركة التعبد ووقار الخشوع واستفضلوا الرسول بالنظر فلا هو طالب ثاره ولا متتبع أخباره ولا متأصل عن سنته ولا هو راغب في أسوته يتقلد مرتبة العلم وما عرف حديثا واحدا تراه يهزأ بالدين ويضرب له الأمثال ويلعب بأهل السنة ويخرجهم أصلا من العلم لا تنفذلهم عن بطانة إلا خانتك ولا عن عقيدة إلا رابتك لبسوا ظلة **الهوى** وسلبوا هيبة الهدى فتنبو عنهم الأعين وتشمئز منهم القلوب

وقد ذكر قبل ذلك باب تعظيم من سن سنة سيئة أو دعا إليها وذكر الأحاديث في هذا الباب ثم ذكر حديثا رواه من حديث عثمان بن سعيد حدثنا يحيى بن الحماني حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح حدثني أبو صخر حميد بن زياد أن نافعا أخبره عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول سيكون في أمتي مسخ وذلك في قدرية وزندقية قال فلم يكن بد أن ." (٢)

" فيقال صحة الحدوث ليست من احكام الامور الوجودية بل من احكام الامور التي يمكن وجودها سواء كانت موجودة او لم تكن بخلاف المحايثة والمباينة فانها مختصة بالوجود دون العدم واما صحة الحدوث فهي مشتركة بين الوجود الممكن وبين كل معدوم ممكن فبينها وبين لزوم المحايثة او المباينة عموم وخصوص اذ صحة الحدوث يعم المعدوم الممكن بخلاف لزوم المحايثة او المباينة وبخلاف الرؤية واما لزوم المحايثة او المباينة والرؤية فلا يعلم انتفاؤه عن الله بخلاف صحة الحدوث فانه يعلم بالضرورة انتفاؤه في حق الله تعالى واذا كان كذلك فيجب ان تكون علة صحة الحدوث ما يطابقه في العموم وذلك ليس هو الحدوث فانه اخص منه اذ ليس كلما صح حدوثه كان محدثا ولا الوجود فانه ليس كل موجود

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٤/٩

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢٧٣/١

يصح حدوثه والمطابق له هو الامكان الخاص فصحة الحدوث معللة بعلة مشتركة وهي الامكان الخاص وهذه علة مطردة منعكسة كتعليل الموجود بالرؤية وبلزوم المحايثة والمباينة

وقوله في الوجه الثاني ان كل موجود في الشاهد فهو اما حجم او قائم بالحجم ثم نذكر التقسيم الى آخره حتى يلزم ان يكون الباري اما حجما او قائما بالحجم والقوم لا يقولون بذلك فعنه جوابان

احدهما ان المعني بالحجم في اللغة الظاهرة هو الشيء الكثيف المتحد كالحجر والتراب خلاف **الهوى** فانه لا يسمى في اللغة المشهورة حجما فان كان مقصوده هذا فليس كل موجود في الشاهد اما حجما او قائما بالحجم

فان اراد به ان كل موجود في الشاهد فهو اما جسم واما عرض او اما جوهر واما عرض ويذكر التقسيم الى آخره

فيقال له لفظ الجوهر والعرض في الاصطلاح الخاص ليس نفيهما ." (١)

" اليهود يد الله مغلولة غلت ايدهم وانما قالوها هم بالعبرانية فحكاها عنهم بالعربية وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكتب كتابه بالعبرانية فيها اسماء الله وصفاته فيعبر بالألسنة عنها ويكتب اليه بالسريانية فيعبر له زيد بن ثابت رضي الله عنه بالعربية والله تعالى يدعى بكل لسان باسمه فيجيب ويحلف بها فيلزم وينشد فيجاز ويوصف فيعرف

ثم قالوا ليس ذات الرسول صلى الله عليه و سلم بحجة وقالوا ما هو بعد ما مات بمبلغ فلا يلزم به الحجة فسقط من اقاويلهم على ثلاثة اشياء انه ليس في السماء رب ولا في الروضة رسول ولا في الأرض كتاب كما سمعت يحيى بن عمار يحكم به عليهم وان كانوا موهوها ووروا عنها واستوحشوا من تصريحها فان حقائقها لازمة لهم وابطلوا التقليد فكفروا آباءهم وامهاتهم وازواجهم وعوام المسلمين وواجبوا النظر في الكلام واضطروا اليه الدين بزعمهم فكفروا السلف وقالت طائفة منهم الفرض لا يتكرر فأبطلت الشرائع وسموا الاثبات تشبيها فعابوا القرآن وضللوا الرسول فلا تكاد ترى منهم رجلا ورعا ولا للشريعة معظما ولا للقرآن محترما ولا للحديث موقرا سلبوا التقوى ورقة القلب وبركة التعبد ووقار الخشوع واستفضلوا الرسول بالنظر فلا هو طالب آثاره ولا يتبع أخباره ولا يناضل على سننه ولا هو راغب في اسوته يتلقد مرتبة العلم وم، عرف حديثا واحدا تراه يهزأ بالدين ويضرب له الامثال ويتلعب بأهل السنة ويخرجهم اصلا من العلم لا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٨٣/٢

تنفر لهم عن بطانة الا خانتك ولا عن عقيدة الا رابتك البسوا ظلمة الهوى وسلبوا نعمة الهدى فتنبوا عنهم الأعين وتشمئز منهم القلوب

قالوا وقد شاع في المسلمين ان رأسهم علي بن اسماعيل الأشعري كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي وقد سمعت محمدا العمري النسابة انبأنا المعافي ." (١)

" وهذا جوابه في نهايته والثاني ان يكون الرفع الى بعض المخلوقات اما الملائكة او الجهة الشريفة او العرش الذي هو القبلة ومن تدبر ما بيناه علم امتناع هذين الوجهين ونحن نفصل ذلك

الوجه الثامن قوله ان الرفع الى فوق لأن الجهة العالية اشرف من السافلة بظهور الانوار منها وان الهوى الذي هو مادة النفس منها وان النظر منها مضمونة ان ما يحتاج اليه الآدميون من الرزق الذي هو الماء والهواء ومن النور يأتي من الجهة العالية فكانت اشرف

فيقال له أولا لا ريب ان حاجتهم الى الأرض وما فيها اكثر فان عليها قرارهم ومنها تخرج ارزاقهم التي هي النبات وفيها الحيوان وهي كما قال الله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ولهذا كان نظر ابصارهم الى الأرض وما فيها أكثر من نظرهم الى السماء وما فيها فعلم ان النظر الذي يكون لأجل الحاجة الى المنظور اليه لتعلق القلب به هو الى الأرض اكثر منه الى السماء

ويقال له ثانيا الاحتجاج انما هو يرفع ايديهم وابصارهم حين الدعاء لله وحده لا شريك له فاما دعوى غير الله فانما يرفعون أيديهم ان رفعوها الى جهة ذلك المدعو واما في غير صد الله ودعائه وذكره فانهم لا يلتزمون الاشارة الى السماء بل انما يشير احدهم ان اشار الى شيء معين مثل الشمس والقمر وغير ذلك واذا كان الأمر كذلك كان ماذا ذكره من الاشارة الى الجهة لشرفها من أبطل الباطل فان ذلك انما يتوجه لو كان المذكور هو اشارتهم الى فوق مطلقا وهذا خلاف الواقع بل انما يشيرون الاشارة المذكورة اذا دعوا الله مخلصين له الدين وأين هذا من هذا ." (٢)

" قائما بنفسه من عنده نوع نظر وبحث فيما يتعلق بذلك وتجد الحاجة لمثل هذا النوع فساد خاص في عقله او غرض خاص وأما العلم الالهي فهو أجل واشرف فانه ضروري لبني آدم علما وارادة فطروا على ذلك موجود هذا العلم والأرادة الضروريتين في أنفسهم اكثر وأكثر من وجود ذلك والمعارض لهذا لا بد وأن يكون قويا اما اعتقاد فاسد كاعتقاد الجهمية المتأولين الذين لم يكابروا العقل وليس لهم غرض في خلاف

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٠٢/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٤٨/٢

الدين واما ارادة فاسدة قوية كارادة فرعون وقومه الذين قال الله فيهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال له موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر وهذه الارادة الفاسدة هي **الهوى** الذي يصد عن معرفة الحق وهو مرض في القلب يمنعه ما فطر عليه من صحة الادراك والحركة كما يمنع مرض العين ما فطرت عليه من صحة الادراك والحركة وكذلك المرض في سائر الأعضاء فهؤلاء الذين لا يجدون في انفسهم علما ضروريا وقصدا ضروريا لمن هو فوق العالم قد مرضت قلوبهم وفسدت فطرتهم ففسد احساسهم الباطن كما يفسد الاحساس الظاهر مثل المرة التي تفسد الذوق والحول والعشي الذي يفسد البصر وغير ذلك ولهذا انما يكون الاعتبار في هذا بذوي الفطر السليمة من الفساد والاحالة

فان قيل قد تكرر ما ذكرتموه من كون الناس مضطرين الى الاقرار بأن صانع العالم فوق ولا ريب ان هذا قد قاله طوائف كثيرة من أهل الكلام والحديث والفقه والتصوف وهو من أشهر حججهم وادلتهم عند خاصتهم وعامتهم لكن هذا مستلزم أن يكون الاقرار بالصانع فطريا ضروريا فانه اذا كان الاقرار بعلوه فطريا ضرويا فالاقرار به نفسه اولى ان يكون فطريا ضروريا لان العلم بالموصوف لا يجوز أن يتأخر عن العلم بالصفةخ والعلم بالقضية المرادية ." (١)

" هؤلاء مع كثرة ما فيهم من العبادة والصدق في ذلك والعلم والفضيلة فقلت هم بمنزلة من شاهد شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس وليس وراء الشعاع شيء آخر أصلا وجحد أن يكون في الوجود شمس غير ما شهده من الشعاع وهذا مثل بعيد والا فالله سبحانه وتعالى أجل وأعلاه وأعظم وأكبر من جميع المخلوقات أن يكون نسبته إليها كنسبة الشمس إلى شعاعها ولكن هذا كما تقدم من باب قياس الأولى فإنه إذا كان من شهد شعاع الشمس ووجده فظن أنها عين الشمس وحقيقتها من أعظم الجاهلين الضالين فالذي شهد وجود المخلوقات فاعتقد أن عين وجود رب العالمين هو الأرض والسموات أعظم جهلا وضلالا وهؤلاء لم يكن ضلالهم فيما علموه وشهدوه من وجود رب المخلوقات ولكن في نفي ما لم يشهدوه وأنكروه من وجود رب السموات ثم ضلوا فظنوا وجود المخلوق هو وجود خالق الكائنات فوافقوا فرعون في ذلك النفي وامتازوا عنه بهذا الإثبات وهذا حال عامة الكفار وأهل البدع أنما ضلالتهم في التكذيب بما لم يعرفوه من الحق فلا بما علموه من الحق لكن يضمون الى ذلك التكذيب ظنونا كاذبة تنشأ عن **الهوى** يصدقون لأجلها بالباطل

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٧٠

وذكر الأئمة في الرد على الجهمية ما علمه المسلمون بضرورة حسهم وعقلهم ودينهم من تنزيهه عن أن يكون في أجوافهم وأحشائهم أيضا مع ما ذكروه من تنزهه عن الأنجاس لأن ذلك أقرب إلى حس الإنسان وبديهة عقله فكلما كان المعلوم مما يحسه الأنسان ويعقله بديهة كان أعلم به لاسيما مع تكرر إحساسه به وعقله له

وأيضا فنبهوا بذلك على ما ذكره الله تعالى من كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وأن الله تعالى حل في بطن مريم فإن هذا تكفير لكل من قال في بشر أنه الله بطريق الأولى فمن قال في الوجود كله ذلك أكفر ." (١)

"متأخري المعتزلة: لا حكم لها قبل السمع وبعدما ورد السمع تبينا أنها كانت مباحة، حكاه ابن برهان. وذكر أبو الطيب في آخر المسألة أكثر مما ذكره القاضي من الإشكال وجوابه، وذكر داود استدلال بعض أصحابه به. والقائلون بالحظر اختلفوا في القدر الذي لا تقوم النفس إلا به كالتنفس في الهواء وشرب الماء وأكل الطعام الذي يسد الرمق: هل هو محظور أو مباح؟ على قولين، والذي ذكره القاضي أن التنفس والانتقال في الجهات إذا كان لحاجة جاز، لأن الإذن قد دخل فيه من جهة العقل. قال: فنظيره أن يضطر إلى أكل طعام غيره فيباح، لأن العقل لا يمنع من هذا كما لا يمنع الشرع من ذلك عند الحاجة، وإن لم تكن به حاجة منعناه، وادعى ذلك مرة ثانية وذكر أيضا في «اللامع» أنه إذا كان السمع هو الحاظ والمبيح فالسمع ورد مفصلا لم يرد حاظر. ثم ورد سمع آخر مبيحا أو ورد مبيحا ثم ورد سمع آخر حاظرًا. وأجاب عن قوله: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [٢/٢٩] قال: معناه للاعتبار، لا للإتلاف، وأول قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ [٥/٥] بأن معناه ما هو داع إلى فعل الواجب، ويجوز أن يقال: الطيبات هي الحلال؛ ثم هو معارض بقوله: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ **الْهَوَى** ﴾ [٧٩/٤٠].

قال شيخنا: قلت: هذا أحد الاحتمالين في الروضة وأحد قولي أصحابنا وغيرهم بأن ما قبل السمع هل يستصحب إذا قامت الأدلة السمعية على عدم الإباحة إلا ما استثناه الدليل؟ قال القاضي: واحتج الواقف بأن كونه على الحظر أو على الإباحة أنها تعلم على قولكم قبل الشرع بالعقل وما علم حكمه بدليل لا يجوز أن يرد الشرع بخلافه مثل شكر المنعم وقبح الظلم. قال: والجواب أنه كذلك فيما عرف ببدائه العقل

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٤١/٢

وضرورات العقول كالتوحيد وشكر المنعم وقبح الظلم؛ فأما ما يعرف بثواني العقول استنباطا واستدلالا فلا يمنع أن يرد الشرع بخلافه." (١)

"ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ، ولا بالرجل الصالح بعد موته، ولا في مغيبه، ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا في الاستنصار، ولا في غير ذلك من الأدعية. و«الدعاء مخ العبادة» والعبادة مبناها على السنة والاتباع؛ لا على الهوى، والابتداع فإنما يعبد الله بما شرع، لا يعبد بالأهواء والبدع(١).

[وجه الدلالة من أحاديث النهي عن اتخاذ قبره عيدا..].

قال شيخ الإسلام (قدس الله روحه)(٢): ووجه الدلالة: أن قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان. ثم إنه قرن ذلك بقوله: «ولا تتخذوا بيوتكم قبورا» أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة

فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحري العبادة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم. ثم إنه عقب النهي عن اتخاذه عيدا بقوله: «وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدا(٣).

[الأمور المبتدعة عند القبور مراتب].

قال شيخنا –قدس الله روحه–: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب:

---

(١) مختصر الفتاوى (ص١٩١-١٩٧) هذه المسألة مختصرة اشتملت على تعريف الدين، وبيان أنواع من الشرك تضاده، وبعض البدع المتعلقة بالقبور، وبيان مقاصد الزائرين لها. موجود لفظها في المجموع متفرقا في مسائل فاستحسنت إيرادها هنا تقريبا للفائدة (انظر جـ١ من الفهارس العامة ص ٢- ٤).

(٢) لما ذكر ابن القيم رحمه الله أحاديث في النهي عن اتخاذ القبور عيدا، قال: قال شيخنا –قدس الله

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٥

روحه-: ووجه الدلالة إلخ.
(٣) إغاثة اللهفان جـ١/١٩١، ١٨٢ جـ١/٤.." [١]

"فعلى كل من الراعي والرعية حقوقا للآخر، حقوقا عليه أداؤها كما ذكرت بعضه في كتاب الجهاد والقضاء، وعليه أن يصبر على الآخر ويحلم عنه في أمور، فلا بد من السماح والصبر في كل منهما، كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [٩٠/١٧] وفي الحديث "أفضل الإيمان السماحة والصبر" وفي أسماء الله "الغفور، الرحيم" فبالحلم يعفو عن سيئاتهم، وبالسماحة يوصل إليهم المنافع، فيجمع بين جلب المنفعة ودفع المضرة، فأما الإمساك عن ظلمهم والعدل عليهم فوجوب ذاك أظهر من هذا، فلا حاجة إلى بيانه(١).

باب قتل أهل البغي

وهم الخارجون على الإمام بتأويل سائغ(٢).
قال شيخنا: عامة الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها قلة الصبر؛ إذ الفتنة لها سببان: إما ضعف العلم، وإما ضعف الصبر، فإن الجهل والظلم أصل الشر، وفاعل الشر إنما يفعله لجهله بأنه شر، وتكون نفسه تريده فبالعلم يزول الجهل، وبالصبر يحبس الهوى والشهوة فتزول تلك الفتنة(٣).

والأفضل ترك قتال أهل البغي حتى يبدؤه (وم).
وله قتل أهل الخوارج ابتداء أو متممة تخريجهم.
ومن استحل أذى من أمره ونهاه بتأويل فكالمبتدع ونحوه يسقط بتوبته حق الله تعالى وحق العبد، واحتج أبو العباس لذلك بما أتلفه البغاة، لأنه من الجهاد الذي يجب الأجر فيه على الله تعالى(٤).

---

(١) من مجموع (٩٦) ص (١١٤) وهي آخر فصل جامع قد كتبت فيما تقدم في مواضع مثل بعض القواعد وآخر مسودة الفقه إن جماع الحسنات العدل وجماع السئات الظلم إلخ، وقد طبعنا أولها إلى قوله وأصل ذلك العلم في المجلد الأول من المجموع ص (٨٧) وتركنا آخرها لوجود أسطر غير مقروءة إذ ذاك،

---

[١] المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٣

وقد يسير الله قراءتها وتتميما للفائدة نقلت بقية هذه القاعدة هنا لمناسبة آخرها لهذا الباب ف (٢/ ٣٨١).

(٢) فروع (٦/ ١٥٢)، ف (٢/ ٣٨٤).

(٣) فروع (٦/ ١٦٠)، ف (٢/ ٥٣٨).

(٤) فروع (٦/ ١٥٦) واختيارات (٢٩٧)، ف (٢/ ٣٨٥).." (١)

"فائدة: يحرم الحكم والفتيا **بالهوى** إجماعًا، وبقول أو وجه من غير نظر في الترجيح إجماعًا، ويجب أن يعمل بموجب اعتقاده فيما له أو عليه إجماعًا، قاله الشيخ تقي الدين رحمه الله(١).

كتاب القضاء

والواجب اتخاذ ولاية القضاء دينا وقربة، فإنها من أفضل القربات، وإنما فسد حال الأكثر لطلب الرئاسة والمال بها، ومن فعل ما يمكنه لم يلزمه ما يعجز عنه(٢).

والولاية لها ركنان، القوة والأمانة، فالقوة في الحكم ترجع إلى العلم والعدل في تنفيذ الحكم، والأمانة ترجع إلى خشية الله تعالى(٣).

وأجمع العلماء على تحريم الحكم والفتيا **بالهوى** وبقول أو وجه من غير نظر في الترجيح، ويجب العمل بموجب اعتقاده فيما له وعليه إجماعا(٤).

وأما سؤال الولاية فقد ذمه النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وأما سؤال يوسف قوله: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ [١٢/٥٥] فلأنه كان طريقا إلى أن يدعوهم إلى الله، ويعدل بين الناس، ويرفع عنهم الظلم، ويفعل من الخير ما لم يكونوا يفعلوه، مع أنهم لم يكونوا يعرفون حاله، وقد علم بتأويل الرؤيا ما يئول إليه حال الناس، ففي هذه الأحوال ونحوها ما يوجب الفرق بين مثل هذه الحال وبين ما نهى عنه.

وأيضا: فليست هذه إمارة محضة إنما هي أمانة، وقد يقال: هذا شرع من قبلنا.

وقد تنازع العلماء في سؤال الإنسان القضاء ونحوه، فقال أكثرهم: يكره وإن كان صالحا له، وهذا مذهب مالك وأحمد وغيرهما، وقال بعضهم، ينبغي أن يسأل إذا كان متعينا له، وربما قيل: إذا كانت ولايته أفضل

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٠١

له، وأما الإمام فينبغي ألا يولي من سأل الولاية إذا أمكن أن يولي المستحق بغير سؤال.

---

(١) إنصاف (١١/ ١٧٩)، ف (٢/ ٤١١) ويأتي هذا في القضاء أيضا.

(٢) اختيارات (٣٣٢)، ف (٢/ ٤١٤).

(٣) اختيارات (٣٣٢)، ف (٢/ ٤١٤).

(٤) فروع (٦/ ٤٢٣) واختيارات (٣٣٢)، ف (٢/ ٤١٤).." (١)

"ونهيه لأبي ذر عن تولي الحكم وترك الولاية على مال اليتيم لما رآه ضعيفا لا أنه نهاه مطلقا(١).

ومن باشر القضاء مع عدم الأهلية المسوغة للولاية وأصر على ذلك عاملا بالجهل والظلم فهو فاسق، ولا يجوز أن يولى خطبة ولا تنفذ أحكامه ولا عقوده كما تنفذ أحكام العالم العادل؛ بل من العلماء من يردها كلها، وهو قول أكثر أصحاب الشافعي وأحمد، ومن العلماء من ينفذ ما وافق الحق لمسيس الحاجة، ولما يلحق الناس من الضرر، والحق يجب اتباعه سواء قام به البر والفاجر، وهذا هو المشهور من مذهب أبي حنيفة ومالك وطائفة من أصحاب أحمد وهو الراجح(٢).

ويشترط في القاضي أن يكون ورعا.

والحاكم فيه ثلاث صفات، فمن جهة الإثبات هو شاهد، ومن جهة الأمر والنهي هو مفتي، ومن جهة الإلزام بذلك هو ذو سلطان.

وأقل ما يشترط فيه صفات الشاهد، لأنه لا بد أن يحكم بعدل، ولا يجوز الاستفتاء إلا ممن يفتي بعلم وعدل.

وشروط القضاء تعتبر حسب الإمكان.

ويجب تولية الأمثل فالأمثل، وعلى هذا يدل كلام أحمد وغيره، فيولى لعدم أنفع الفاسقين وأقلهما شرا، وأعدل المقلدين وأعرفهما بالتقليد، وإن كان أحدهما أعلم والآخر أورع قدم فيما قد يظهر حكمه ويخاف الهوى فيه الأورع، وفيما ندر حكمه ويخاف فيه الاشتباه الأعلم.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٢٣

(١) مختصر الفتاوى (٥٦٤)، ف (٢/ ٤١٦).

(٢) مختصر الفتاوى (٣٥٣)، ف (٢/ ٤١٦).." (١)

"روى أبو جعفر عن ابن عباس مرفوعا: إني لأرى لرد جواب الكتاب علي حقا كما أرى رد جواب السلام، قال الشيخ تقي الدين: وهو المحفوظ عن ابن عباس، يعني: موقوفًا(١).

كتاب الجهاد

وسمعت شيخنا يقول: جهاد النفس **والهوى** أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم(٢).

أنواع الجهاد ومتى يجب كفاية أو عينا؟

والجهاد منه: ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، والدعوة، والحجة، واللسان، والرأي والتدبير، والصناعة، فيجب بغاية ما يمكنه(٣).

والحرب خدعة.

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... ... هو أول وهو المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لعبد مرة ... ... بلغا من العلياء كل مكان

قال: وعلى الأمير أن يحرضهم على الجهاد ويقاتل بهم عدوه بدعائهم ورأيهم وفعلهم وغير ذلك مما يمكن الاستعانة به على الجهاد، ويفعل مع بر وفاجر يحفظان المسلمين، لا مخذل ونحوه(٤).

ويستحب أن يدعو سرا، قال أبو داود باب ما يدعى عند اللقاء ثم روي بإسناد جيد عن أنس قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل.. وكان غير واحد منهم شيخنا يقول هذا عند قصد مجلس علم(٥).

ومن عجز عن الجهاد ببدنه وقدر على الجهاد بماله وجب عليه الجهاد بماله وهو نص أحمد في رواية ابن الحكم، وهو الذي قطع به القاضي في أحكام القرآن في سورة براءة عند قوله: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ فيجب على الموسرين النفقة في سبيل الله.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٢٤

---

(١) الآداب (١/ ٣٨٥) ف (٢/ ١٦١).

(٢) روضة المحبين (٤٧٨) ف (٢/ ١٦١).

(٣) اختيارات (٣١٠) وفروع (٦/ ١٨٩) ف (٢/ ١٦١).

(٤) فروع (٦/ ١٩٨، ١٩٩) ف (٢/ ١٦١).

(٥) فروع (٦/ ٢٠٤) ف (٢/ ١٦٢).." (١)

"فقلت: سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ، فقال لي: مثل آفات النفس مثل الحيات والعقارب التي في طريق المسافر، فإن أقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ولم يمكنه السير قط ولكن لتكن همتك المسير والإعراض عنها وعدم الالتفات إليها، فإذا عرض لك فيها ما يعوقك عن المسير فاقتله ثم امض على سيرك.

فاستحسن شيخ الإسلام ذلك جدا وأثنى على قائله(١).

قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر الخلاف في السمع والبصر: أيهما أشرف؟

قال شيخ الإسلام تقي الدين قدس الله روحه ونور ضريحه: وفصل الخطاب إن إدراك السمع أعم وأشمل، وإدراك البصر أتم وأكمل، فهذا له التمام والكمال، وذاك له العموم والشمول، فقد ترجح كل منهما بما اختص به تم كلامه(٢).

وقال المعتصم يوما لبعض أصحابه، يا فلان، إذا نصر الهوى ذهب الرأي.

وسمعت رجلا يقول لشيخنا: إذا خان الرجل في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد، أو قال: نسيه فقال الشيخ: هكذا من خان الله تعالى ورسوله في مسائل العلم(٣).

أعلام

أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي المتوفى ٤٨١ هـ.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: علمه خير من عمله(٤).

مؤلفات:

الرد على الجهمية للإمام أحمد

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٦٨

قال الخلال كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه عبد الله من خط أبيه، واحتج القاضي أبو يعلى في كتابه إبطال التأويل، بما نقله منه عن أحمد، وذكر ابن عقيل في كتابه بعض ما فيه عن أحمد، ونقله عن أصحابه قديما وحديثا، ونقل منهم البيهقي وعزاه إلى أحمد، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد.
كتاب الرد على الجهمية والنقض على بشر المريسي.
وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جداً.

---

(١) مدارج (٢/ ٣١٣، ٣١٤)، ف (٢/ ٤٧٩).
(٢) بدائع (١/ ٧٢)، ف (٢/ ٤٨٠) ج (١/ ٢٩).
(٣) روضة المحبين (٤٨٠)، ف (٢/ ٤٨٢)، ف (١/ ٢٨٦).
(٤) مدارج (٣/ ٣٩٤)، ف (٢/ ٤٩٤).." [1]

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٨٢

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٩٧

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٠٠

النقض على بشر المريسي... ... ٢٣٠

المراجع ... ٢٣١." (١)

"ومن قلد من يسوغ له تقليده فليس له أن يجعل قول متبوعه أصح من غيره **بالهوى** بغير هدى من الله، ولا يجعل متبوعه محنة للناس فمن وافقه والاه ومن خالفه عاداه؛ فإن هذا حرمه الله ورسوله باتفاق المؤمنين؛ بل يجب على المؤمنين أن يكونوا كما قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [١٠٢-٣/١٠٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة.

وفي جواز تقليد الميت قولان في مذهب أحمد وغيره.

[شيخنا]: ... ... فصل

«التقليد»: قبول القول بغير دليل، فليس المصير إلى الإجماع تقليد؛ لأن الإجماع دليل، وكذلك يقبل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا يقال

له: تقليد؛ بخلاف فتوى الفقيه. وذكر في ضمن مسألة التقليد أن الرجوع إلى قول الصحابي ليس بتقليد؛ لأنه حجة، قال فيها: لما جاز له تقليد الصحابة لزمه ذلك ولم يجز له أن يخالفه، بخلاف الأعلم، وقد قال أحمد في رواية أبي الحارث: من قلد الخبر رجوت له أن يسلم إن

شاء الله. فقد أطلق اسم التقليد على من صار إلى الخبر، وإن كان حجة في نفسه(١).

[شيخنا]: ... ... فصل

في التقليد:

وهو قبول قول المقلد بغير حجة، فيلزم المقلد ما كان في ذلك القول من خير وشر. وعلى هذا لا يسمى متبع الرسول ولا الإجماع مقلدا، لقيام الدليل على أنه حجة.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢١٠

(١) المسودة ص ٤٦٢ ف ٢/٢٨.." (١)

"ص -٧٢- والفصل السادس: أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال فلا حاجة بعد النهاية إلى شرع يزيد على الغاية بل يكون ما بعد ذلك شرعا غير مقبول.

ونحن ولله الحمد والمنة نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن أو عقلية فلا حجة لهم في شيء منها بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم ويظهر منه فساد قولهم مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية والموازين التي هي مقاييس عقلية.

وهكذا يوجد عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله عز وجل ففي تلك النصوص ما يتبين أنه لا حجة لهم فيها بل هي بعينها حجة عليهم كما ذكر أمثال ذلك في الرد على أهل البدع والأهواء وغيرهم من أهل القبلة. وإنما عامة ما عند القوم ألفاظ متشابهة تمسكوا بما ظنوها تدل عليه وعدلوا عن الألفاظ المحكمة الصريحة المبينة مع ما يقترن بذلك من الأهواء.

وهذه حال أهل الباطن كما قال تعالى: فيهم: ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾.

فهم في جهل وظلم كما قال تعالى: سورة الأحزاب: ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾.

فالمؤمنون الذين تاب الله عليهم من الجهل والظلم هم أتباع الأنبياء عليهم السلام فإن الأنبياء بعثوا بالعلم والعدل كما قال تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن **الهوى** إن هو إلا وحي يوحى﴾." (٢)

"ص -١٠٤- بثأرها ولا تقف عند حد العدل بل تعتدي على تلك كما اعتدت تلك عليها.

فصار النصارى يريدون مناقضة اليهود فأحلوا ما يحرمه اليهود كالخنزير وغيره وصاروا يمتحنون من دخل في دينهم بأكل الخنزير فإن أكله وإلا لم يجعلوه نصرانيا وتركوا الختان وقالوا إن المعمودية عوض عنه وصلوا إلى قبلة غير قبلة اليهود.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٢٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٣٨

وكان اليهود قد أسرفوا في ذم المسيح عليه السلام وزعموا أنه ولد زنا وأنه كذاب ساحر.
فغلوا هؤلاء في تعظيم المسيح وقالوا إنه الله وابن الله وأمث الذلك وصار من يطلب أن يقول فيه القول العدل مثل كثير من علمائهم وعبادهم يجمعون له مجمعا ويلعنونه فيه على وجه التعصب واتباع الهوى والغلو فيمن يعظمونه كما يجري مثل ذلك لأهل الأهواء كالفلاة في بعض المشايخ وبعض أهل البيت وبعض العلماء وبعض الملوك وبعض القبائل وبعض المذاهب وبعض الطرائق فإنما كان مصدر ضلالهم أهواء نفوسهم قال تعالى: للنصارى الذين كانوا في وقت النبي ومن بعدهم: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا." (١)
"ص –٤٠٦– وهذا يبين أن قوله كما أنا شيء واحد أي أنا موافقك في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك لم يرد بذلك اتحاد ذاته به كما لم يرد أن تتحد ذوات بعضهم ببعض فإنه طلب لهم مثل ما حصل له من الموافقة لأمر الله ونهيه ومحبته ورضاه.
قال أو يكون ذهب فيه إلى معنى دقيق لا يعرفه إلا أنه قد بطل على كل حال بهذا القول تأويلكم ممازجته عز وجل في اللاهوت بقوله في تلاميذه أنه بهم كما أن أباه به لأنه إن تأول متأول في هذا المعنى أنه ذهب في وصفه أنه أبيه وأن أباه به إلى مشاركته في اللاهوت فقد قال في تلامذته مثل هذا القول فيجب أن يكونوا على هذا القياس شركاء في المحل وهذا ما لا يكون ولا يجترىء على القول به أحد.
قال ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها ومعبودها واحدا يتمسكون بأمر المسيح عليه السلام وتلامذته وإنجيله وسنته وشرائعه وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف فمنهم من يقول إنه عبد ومنهم من يقول إنه إله ومنهم من يقول إنه ولد ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة ومنهم من يقول إنه أقنومان وطبيعتان.
وكل منهم يكفر صاحبه ويقول إن الحق في يده وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه ولا من قياسه لنفسه وتأوله بما يصح له عند المناظرة وإنما يرجع في دينه واعتقاده إلى ما تأوله لة المتأولون بما يخالف إنجيلهم وكتبهم بالهوى والعناد من بعضهم لبعض فهم يشركون بالله على التأويل ولا شريك له ويدعون له ولدا من جهة ما أحدثوا لأنفسهم سبحانه أنى يكون له ولد.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/١٢٦

قال الحسن بن أيوب وقد بينا الحجج في بطلان كل قول لكم مما عقدتم به شريعة إيمانكم ووجدنا قوما منكم إذا نوظروا في ذلك قالوا قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلها." (١)

"ص -٥٤- بالشكر من قبل هذه النعمة فقال تعالى: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾.

وقال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾.

الوجه السادس: أن يقال قولهم إنا نعجب من هؤلاء القوم إلى آخر الفصل قول جاهل ظالم يستحق أن يقال له بلاالعجب من هذا العجب هو الواجب بل هو الذي لا ينقضي منه العجب وإن كل عاقل ليعجب من عرف دين محمد وقصده الحق ثم اتبع غيره ويعلم أنه لا يفعل ذلك إلا مفرط في الجهل والضلال أو مفرط في الظلم واتباع **الهوى**.

وذلك أن أهل الأرض نوعان أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند والترك وغيرهم كالمجوس من الفرس وغيرهم كالصابئة من المتفلسفة وغيرهم.

وأهل الكتاب يسلمون لنا أن من سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد منفعة ظاهرة وأنه دعا جميع طوائف المشركين والمجوس والصابئين إلى خير مما كانوا عليه بل." (٢)

"ص -٩٤- النسخ فإن النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا.

لكن هذا عندهم في نبوة أشعيا قال فيها عبدي الذي سرت به نفسي أنزل عليه وحيي فيظهر في الأمم عدلي ويوصيهم بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما أعطيه لا أعطي أحدا يحمد الله حمدا جديدا يأتي من أقصى الأرض وتفرح البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى **الهوى** مشقح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى أثر سلطانه على كتفيه.

وهذه صفات منطبقة على محمد وأمته وهي من أجل بشارات الأنبياء المتقدمين به.

ولفظ التوراة قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يقر بها أهل الكتاب فيدخل في ذلك الزبور ونبوة أشعيا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤٩٠

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٥٤

وسائر النبوات غير الإنجيل.

فإن كان المراد بلفظ التوراة والإنجيل في القرآن هذا المعنى فلا ريب أن ذكر النبي في التوراة كثير متعدد.

الطريق الثاني من الجواب: أن نبين أن الأنبياء قبله بشروا به وهذا هو دليل مستقل على نبوته وعلم عظيم من أعلام رسالته وهذا أيضا يدل على نبوة ذلك النبي إذ أخبر بأنباء من الغيب مع دعوى النبوة ويدل على نبوة محمد لإخبار من تثبت نبوته بنبوته هذا إذا وجد الخبر ممن لا نعلم نحن نبوته ولم يذكر في." (١)

"ص -٢٦٠- متعمدا للكذب أو مخطئا والأول يوجب أنه كان ظالما غاويا والثاني يقتضي أنه كان جاهلا ضالا وكمال علمه ينافي جهله وكمال دينه ينافي تعمد الكذب فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمدا للكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقا عالما بأنه صادق ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وقال تعالى عن الملك الذي جاء به: ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾.

ثم قال عنه: ﴿وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين﴾.

أي بمتهم أو بخيل كالذي لا يعلم إلا بجعل أو لمن يكرمه ﴿وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين﴾.

وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾.

إلى قوله: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾.

بين سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه فإن الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور ولا يقصد الصدق والعدل فلا يقترن إلا بمن فيه كذب إما عمدا وأما خطأ فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضا كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه." (٢)

"ص -٢٨٦- سليمان وبين سبحانه أن سليمان لم يكفر ولكن الشياطين كفروا وأنهم يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل وأن الملكين هاروت وماروت ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠٢/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٩١/٦

فتنة فلا تكفر وأخبر سبحانه أنهم لا يضرون به احدا إلا بإذن الله وأنهم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ثم قال: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ أي من نصيب أي هؤلاء يعلمون أن صاحبه لا نصيب له في الآخرة وإنما يطلبون أنهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما لهم في ذلك من **الهوى** وذلك ضار لهم لا نافع كما قال في المشرك ﴿يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه﴾

قال تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ فبين سبحانه أنه بالإيمان والتقوى يحصل من ثواب الله ما هو خير لهم من هذا فإنهم إنما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم وهذا خير لهم وهذا كقوله: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم﴾فإن ما تطلبه النفوس فيه لها لذة يجعل خيرا بذلك الاعتبار لكن إذا كان الألم زائدا على اللذة كان شره أعظم من خيره والشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تأمر بما تترجح مصلحته وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد وتنهى عما ترجحت مفسدته وإن كان فيه مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره ولهذا أمر تعالى أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا فالأحسن إما واجب وأما مستحب قال تعالى: ﴿فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾

وقال: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾." (١)

" التصوف وهو أجود مما ذكره أبو القاسم وأصوب وأقرب إلى مذهب سلف الأمة وأممتها وأكابر مشايخها وكذلك معمر بن زياد الأصفهاني شيخ الصوفية وابو عبد الرحمن محمد بن الحسن السلمي جامع كلام الصوفية هما في ذلك أعلى درجة وأبعد عن البدعة **والهوى** من أبي القاسم

وأبو عبد الرحمن وإن كان أدنى الرجلين فقد كان ينكر مذهب الكلابية ويبدعهم وهو المذهب الذي ينصره أبو القاسم وله في ذم الكلام مصنف يخالف ما ينصره أبو القاسم وأبو عبد الرحمن أجل من ." (٢)

" وجد من ذلك كثيرا ووجد أنه من ذهب إلى مذهب شئ من أهل الكلام وإن كان متأولا ففيه بعض نقص وانحطاط عن درجة أولياء الله الكاملين ووجد أنه من كان ناقصا في معرفة اعتقاد أهل السنة واتباعه ومحبته وبعض ما يخالف ذلك وذمه بحيث يكون خاليا عن اعتقاد كمال السنة واعتقاد البدعة تجده ناقصا عن درجة أولياء الله الراسخين في معرفة اعتقاد أهل السنة واتباع ذلك وقد جعل الله لكل شئ قدرا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١٧/٦

(٢) الاستقامة، ٨٣/١

وما ذكره أبو القاسم في رسالته من اعتقادهم وأخلاقهم وطريقتهم فيه من الخير والحق والدين أشياء كثيرة ولكن فيه نقص عن طريقة أكثر أولياء الله الكاملين وهم نقاوة القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم ولم يذكر في كتابه أئمة المشايخ من القرون الثلاثة ومع ما في كتابه من الفوائد في المقولات والمنقولات ففيه أحاديث وأحاديث ضعيفة بل باطلة وفيه كلمات مجملة تحتمل الحق والباطل رواية ورأيا وفيه كلمات باطلة في الرأي والرواية وقد جعل الله لكل شئ قدرا

وقال تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا **الهوى** أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا سورة النساء ١٣٥ ." (١)

" وقال الجنيد بن محمد الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ص وقال ايضا من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة

وقال أبو عثمان من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر **الهوى** على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة قال الله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا سورة النور ٥٤ وقال أبو حمزة البغدادي من علم الطريق إلى الله سهل عليه سلوكه ولا ." (٢)

" ولا ريب أن هذا من اتباع **الهوى** بغير هدى من الله وهو مما ذم الله به النصارى الذين يضارعهم في كثير من أمورهم المنحرفون من الصوفية والعباد ولهذا جعله سهل من حظ النفس

ولهذا استضعف أبو يزيد متابعة العلم فإن مجاهدة هوى النفس يفعلها غالب النفوس مثل عبادات المشركين وأهل الكتاب من الرهبان وعباد الأنداد ونحوهم وكل ذلك من هذا الباب ولهم من الزهد والمجاهدة في العبادة ما لا يفعله المسلمون لكنه باطل ليس بمشروع ولهذا لا ينتج له من النتائج إلا ما يليق به

والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة فالمهتدون من مشايخ العباد والزهاد يوصون بإتباع العلم المشروع كما ان أهل الاستقامة من العلم يوصون بعلمهم الذي يسلكه أهل الاستقامة من العباد والزهاد وأما المنحرفون من الطائفتين فيعرضون عن المشروع إما من العلم وإما من العمل وهما طريق المغضوب عليهم والضالين

---

(١) الاستقامة، ٨٩/١

(٢) الاستقامة، ٩٧/١

قال سفيان بن عيينة كانوا يقولون من فسد من العلماء ففيه شبه من اليهود ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى

ولهذا قصد أبو القاسم في الرسالة الرد على هؤلاء ولما ذكر المشايخ الذين ذكرهم قال هذا ذكر جماعة من شيوخ هذه ." (١)

" مثل هؤلاء من القياس الفاسد لما سمعوه يخبر عن نفسه بأن الأول الآخر الظاهر الباطن قاسوا على ذلك القريب والبعيد وهذا خطأ لأن تلك الأسماء كلها حسنة دالة على كمال إحاطته مكانا وزمانا وأما هذا فهو جمع بين الإسم الحسن وضده

الوجه الرابع إنه قدم كلام الشبلي في الاعتقاد قبل كلام جميع المشايخ الذين هم اجل منه وأعظم مع أن هذه المسألة لا تستحق التقديم وإنما مرتبته فيما بعد كما ذكرها هناك وكان الواجب ان يؤخر ذلك إلى موضعه فإنه ذكر بعد ذلك أول الواجبات وهذا هو الذي يستحق التقديم ومثل هذا يقتضي كون المصنف فيه نوع من **الهوى** ومن أعظم الواجبات على أهل هذا الطريق خلوهم من **الهوى** فإن مبناه على قوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** سورة النازعات ٤٠

ثم قال أبو القاسم رحمه الله سمعت أبا حاتم يقول سمعت ابا نصر السراج رحمه الله يقول سئل رويم عن أول ." (٢)

" عثمان النيسابوري أنه قال من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر **الهوى** على نفسه نطق بالبدعة قال الله تعالى وإن تطيعوا تهتدوا سورة النور ٥٤

وعن أبي حمزة البغدادي قال من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة الرسول في أحواله وأقواله وأفعاله

وعن ابي عمرو بن نجيد قال كل حال لا يكون نتيجة علم فإن ضرره أكثر على صاحبه من نفعه وسئل عن التصوف فقال الصبر تحت الأمر والنهي

وعن أبي يعقوب النهرجورى قال أفضل الأحوال ما قارن العلم ومثل هذا كثير في كلام أئمة المشايخ وهم إنما وصوا بذلك لما يعلمونه من حال كثير من السالكين أنه يجري مع ذوقه ووجده وما يراه ويهواه غير متبع لسبيل الله التي بعث بها وهذا نوع **الهوى** بغير هدى من الله

---

(١) الاستقامة، ١/١٠٠

(٢) الاستقامة، ١/١٤١

والسماع المحدث يحرك الهوى ولهذا كان بعض المشايخ المصنفين في ذمه سمى كتابه الدليل الواضح في النهى عن ارتكاب الهوى الفاضح ولهذا كثيرا ما يوجد في كلام المشايخ الأمر بمتابعة العلم يعنون بذلك ." (١)

" أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهج ... هل على ويحكما ان عشقت من حرج ...

فقال رسول الله ص لا حرج إن شاء الله

قلت هذا الحديث موضوع بأتفاق أهل المعرفة بالحديث لا أصل له وليس هو في شئ من دواوين الإسلام وليس له إسناد بل هو من جنس الحديث الآخر الذي قيل فيه إن أعرابيا أتى إلى النبي ص وأنشده ... قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقى ... إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي ." (٢)

" واستلذاذها بأنواع المطاعم والمشارب مما لا يمكن جحوده فأي دليل في هذا لمن هداه الله على ما يحبه ويرضاه أو يبيحه ويجيزه

ومن المعلوم أن هذه الأجناس فيها الحلال والحرام والمعروف والمنكر بل كان المناسب لطريقة الزهد في الشهوات واللذات ومخالفة الهوى ان يستدل بكون الشئ لذيذا مشتهى على كونه مباينا لطريق الزهد والتصوف كما قد يفعل كثير من المشايخ يزهدون بذلك في جنس الشهوات واللذات

وهذا وإن لم يكن في نفسه دليلا صحيحا فهو اقرب إلى طريقة الزهد والتصوف من الاستدلال بكون الشئ لذيذا على كونه طريقا إلى الله

وكل من الاستدلالين باطل فلا يستدل على كونه محمودا أو مذموما أو حلالا او حراما إلا بالأدلة الشرعية لا بكونه لذيذا في الطبع أو غير لذيذ

ولهذا ينكر على من يتقرب إلى الله بترك جنس اللذات كما قال ص للذين قال احدهم أما أنا فأصوم لا أفطر وقال الآخر أما أنا فأقوم لا أنام وقال الآخر أما أنا فلا اتزوج النساء وقال الآخر أما أنا فلا آكل اللحم فقال النبي ص ." (٣)

---

(١) الاستقامة، ٢٥٠/١

(٢) الاستقامة، ٢٩٦/١

(٣) الاستقامة، ٣٣٩/١

" بمحبته هو الذي سلط المنافق منهم على أن يجعل ذلك ذريعة إلى الكبائر ولعل هذه البدعة منهم اعظم من الكبيرة مع الإقرار بأن ذلك ذنب عظيم والخوف من الله من العقوبة فإن هذا غايته أنه مؤمن فاسق قد جمع سيئة وحسنه وأولئك مبتدعة ضلال حين جعلوا ما نهى الله عنه مما أمر الله به وزين لهم سوء أعمالهم فرأوه حسنا وبمثلهم يضل أولئك حتى لا ينكروا المنكر إذا اعتقدوا أن هذا يكون عبادة الله

ومن جعل ما لم يأمر الله بمحبته محبوبا لله فقد شرع دينا لم يأذن الله به وهو مبدأ الشرك كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله سورة البقرة ١٦٥

فإن محبة النفوس الصورة والصوت قد تكون عظيمة جدا فإذا جعل ذلك دينا وسمى لله صار كالأنداد والطواغيت المحبوبة تدينا وعبادة

كما قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم سورة البقرة ٩٣

وقال تعالى عنهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم سورة ص ٦

بخلاف من أحب المحرمات مؤمنا بأنها من المحرمات فإن من احب الخمر والغناء والبغي والمخنث مؤمنا بأن الله يكره ذلك ويبغضه فإنه لا يحبه محبة محضة بل عقله وإيمانه يبغض هذا الفعل ويكرهه ولكن قد غلبه هواه فهذا قد يc إما بتوبة إذا قوى ما في إيمانه من بغض ذلك وكراهته حتى دفع الهوى وإما بحسنات ماحية وإما بمصائب مكفرة وإما بغير ذلك ." (١)

" أما إذا اعتقد أن هذه المحبة لله فإيمانه بالله يقوي هذه المحبة ويؤيدها وليس عنده إيمان يزعه عنها بل يجتمع فيها داعي الشرع والطبع الإيمان والهدى وذلك أعظم من شرب النصراني للخمر فهذا لا يتوب من هذا الذنب ولا يتخلص من وباله إلا أن يهديه الله

فتبين له أن هذه المحبة ليست محبة لله ولا أمر الله بها بل كرهها ونهى عنها وإلا فلو ترك أحدهم هذه المحبة لم يكن ذلك توبة فإنه يعتقد أن جنسها دين بحيث يرضى بذلك من غيره ويأمره به ويقره عليه وتركه لها كترك المؤمن بعض التطوعات والعبادات

وليس في دين الله محبة أحد لحسنه قط فإن مجرد الحسن لا يثيب الله عليه ولا يعاقب ولو كان كذلك كان يوسف عليه السلام لمجرد حسنه أفضل من غيره من الانبياء لحسنه وإذا استوى شخصان في الأعمال الصالحة وكان أحدهما أحسن صورة وأحسن صوتا كانا عند الله سواء فإن اكرم الخلق عند الله

---

(١) الاستقامة، ٣٤٨/١

أتقاهم يعم صاحب الصوت الحسن والصورة الحسنة إذا استعمل ذلك في طاعة الله دون معصيته كان أفضل من هذا الوجه كصاحب المال والسلطان إذا استعمل ذلك في طاعة الله دون معصيته فإنه بذلك الوجه أفضل ممن لم يشركه في تلك الطاعة ولم يمتحن بما امتحن به حتى خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** ثم ذلك الغير إن كان له عمل صالح آخر يساويه به وإلا كان الأول أفضل مطلقا ." (١)

" ثم ذكر أنه من أصغى إلى هذا السماع تزندق وهو من أصغى إليه بإرادة العلو في الأرض والفساد وجعل محبة الخالق من جنس محبة المخلوق وجعل ما يطلب من الاتصال بذي الجلال من جنس ما يطلب من الاتصال بالخلق فإن هذا يوجب التزندق في الاعتقادات والإرادات فيصير صاحبه منافقا زنديقا وقد قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ولهذا تزندق بالسماع طوائف كثيرة كما نبهنا عليه قبل هذا

ويقال هنا من المعلوم أن النفس سواء أريد بها ذات الإنسان أو ذات روحه المدبرة لجسده أو عني بها صفات ذلك من الشهوة والنفرة والغضب **والهوى** وغير ذلك فإن البشر لا يخلو من ذلك قط ولو فرض أن قلبه يخلو عن حركة هذه القوى والإرادات فعدمها شئ وسكونها شئ آخر والعدم ممتنع عليها ولكن قد تسكن ولكن إذا كانت ساكنة ومن شأن السماع أن يحركها فكيف يمكن الإنسان أن يسكن الشئ مع ملابسته لما يوجب حركته

فهذا أمر بالتفريق بين المتلازمين والجمع بين المتناقضين وهو يشبه أن يقال له أدم مشاهدة المرأة والصبي والأمرد أو مباشرته بالقبلة واللمس وغير ذلك من غير أن تتحرك نفسك أو فرجك إلى الاستمتاع به ونحو ذلك فهل الأمر بهذا إلا من احمق الناس ." (٢)

" فاضلا فربما كان يحضر موضع السماع فإن استطابة فرش إزاره وجلس وقال الصوفي مع قلبه وإن لم يستطبه قال السماع لأرباب القلوب ومر وأخذ نعليه

قلت سنتكلم إن شاء الله على مثل هذه الحال وهو المشي مع طيب القلب وما يذوق الإنسان ويجد فيه صلاح القلب ونبين أن السلوك المستقيم هكذا من غير اعتبار لطيب القلب وما يجده ويذوقه من المنفعة واللذة والجمع على الله ونحو ذلك أما ذلك الحال فهو مذموم في الكتاب والسنة ضلال في

---

(١) الاستقامة، ٣٤٩/١

(٢) الاستقامة، ٣٩٢/١

الطريق وهو مبدأ ضلال من ضل من العباد والنساك والمتصوفة والفقراء ونحوهم وحقيقته اتباع **الهوى** بغير هدى من الله وقد تقدم من كلام المشايخ في ذم هذا ما فيه كفاية

فإن مجرد طيب القلب ليس دليلا على أنه إنما طاب لما يحبه الله ويرضاه بل قد يطيب بما لا يحبه الله ويرضاه مما يكرهه أولا يكرهه أيضا لا سيما القلوب التي أشربت حب الأصوات الملحنة فقد قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلوب كما ينبت الماء البقل ." (١)

" مأمورين به لكنه سبحانه لا يفعله بهم ولا يحب من يفعله بهم فلا بد من التفريق بين مواقع الامر والنهي ومواقع القضاء والقدر وان كانت الافعال الواقعة من العباد يشترك فيها الامر والنهي واما احوال القلب وانفاسه فإن الاحوال تحولات القلب والنفس **والهوى** الذي يحمل الصوت واحوال القلب فهما الطف ما في الايمان

قال ابو القاسم ربط الحق بأقدامهم الخذلان واختار لهم البعد واخرجهم عن محل القرب ولذلك يؤخروا وفي معناه انشدوا

... انا اصب لن هويت ولكن ... ما احتيالي لسوء رأى الموالى ." (٢)

" وخيرا بل من جهة كون النفس تطلب ذلك فرأوا ان من الطريق ترك ما تختاره النفس وتريده وان لا يكون لأحدهم ارادة اصلا بل يكون مطلوبه الجريان تحت القد كائنا من كان وهذا هو الذي ادخل كثيرا منهم في الرهبانية والخروج عن الشريعة حتى تركوا من الاكل والشرب واللباس والنكاح ما يحتاجون اليه وما لا تتم مصلحة دينهم الا به فانهم رأوا العامة تعد هذه الامور عبادة بحكم الطبع **والهوى** والعادة ومعلوم ان الافعال التي تقع على هذا الوجه لا تكون عبادة ولا طاعة ولا قربة فرأى اولئك ان الطريق الى الله ترك هذه الامور لأنها من الطبيعيات والعادات فلازموا من الجوع والسهر والخلوة والصمت وغير ذلك مما فيه ترك الحظوظ واحتمال المشاق ما اوقعهم في ترك واجبات ومستحبات وفعل مكروهات ومحرمات ." (٣)

" ومن هذا الباب ما يفعله قوم من المتزهدة من كشف سوءاتهم في سماعاتهم وحماماتهم او غير ذلك ويقولون هذا طريقنا وهذا في طريقنا فهذا مثل قولهم وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها

---

(١) الاستقامة، ٤١٣/١

(٢) الاستقامة، ٤٧/٢

(٣) الاستقامة، ١٣٤/٢

وابلغ من ذلك تعبد طوائف من المتزهدة والمتعبدة بمعاشرة الاحداث المردان والنساء الاجانب والنظر اليهم والخلوة بهم والمحبة **والهوى** فيهم وبما قد يكون وقد لا يكون وراء ذلك من الفاحشة الكبرى وهذا ابتدأه المشركون من الصابئة وغير الصابئة الذين هم اولياء الشياطين الذين هم مشركون كما ذكر ابن سينا في إشاراته وزعم انه مما يعين على السلوك والتأله العشق العفيف واستماع الاصوات الملحنة كما ذكر ايضا الشرك بعبادة الصور ويذكر هو وطائفته عبادة الكواكب

وهذا في النصارى ايضا منه جانب قوي وهم ايضا قد ابتدعوا شركا لم ينزل الله به سلطانا كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ." (١)

" فأما حب القلب وبغضه وارادته وكراهته فينبغي ان تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك الا نقص الايمان واما فعل البدن فهو بحسب قدرته ومتى كانت ارادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل كما قد بيناه في غير هذا الموضع

فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكراهته بحسب محبته نفسه وبغضها لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله وهذا من نوع **الهوى** فإن اتبعه الانسان فقد اتبع هواه ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سورة القصص ٥٠ فإن اصل **الهوى** هو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها **والهوى** نفسه وهو الحب والبغض الذي في النفس لا ." (٢)

" يلام العبد عليه فإن ذلك لا يملكه وانما يلام على اتباعه

كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله سورة ص ٢٦

وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سورة القصص ٥٠

وقال النبي صلى الله عليه و سلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى وكلمة الحق في الغضب والرضا وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض ." (٣)

" ومن احب او ابغض قبل ان يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله

---

(١) الاستقامة، ١٧٧/٢

(٢) الاستقامة، ٢٢١/٢

(٣) الاستقامة، ٢٢٢/٢

ومجرد الحب والبغض هو هوى لكن المحرم منه اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله ولهذا قال الله لنبيه داود ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد سورة ص ٢١ فأخبر ان من اتبع هواه اضله ذلك عن سبيل الله وهو هداه الذي بعث به رسوله وهو السبيل اليه

وتحقيق ذلك ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من اوجب الاعمال وافضلها واحسنها وقد قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا سورة الملك ٢ وهو كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله خلصه واصوبه فإن العمل اذا كان خالصا ولم يكن ." (١)

" ١٧ - الى قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى سورة النازعات ٢٦

ثم ذكر المبدأ او المعاد مفصلا فقال أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها الى قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى سورة النازعات ٣٤ الى قوله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** فإن الجنة هي المأوى سورة النازعات ٣٧ ٤١ الى آخر السورة

وكذلك في المزمل ذكر قوله وذرني والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما سورة المزمل ١١ ١٢ الى قوله فأخذناه اخذا وبيلا سورة المزمل ١٦

وكذلك في سورة الحاقة ذكر قصص الامم كثمود وعاد وفرعون ثم قال تعالى فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ." (٢)

" عنهما كثر القسم الثالث فصار فيهم شهوة وشبهة مع الايمان والدين وصار ذلك في بعض الولاة وبعض الرعايا ثم كثر ذلك بعد فنشأت الفتنة التي سببها ما تقدم من عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين واختلاطما بنوع من **الهوى** والعصبية في الطكرفين وكل منهما متأول أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان معه الحق والعدل ومع هذا التأويل نوع من **الهوى** ففيه نوع من الظن وما تهوى الانفس وان كانت احدى الطائفتين اولى بالحق من الاخرى فلهذا يجب على المؤمن ان يستعين بالله ويتوكل عليه في ان يقيم قلبه ولا يزيغه ويثبته على الهدى والتقوى ولا يتبع **الهوى**

كما قال تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم ." (٣)

---

(١) الاستقامة، ٢٢٦/٢

(٢) الاستقامة، ٢٣٨/٢

(٣) الاستقامة، ٢٥٣/٢

" ويحتاج ايضا ان يؤمر بذلك لأمر الله به وينهى عنه لنهي الله عنه ويخبر بما اخبر الله به لأنه حق وايمان وهدى كما أخبرت به الرسول كما تحتاج العبادة إلى أن يقصد بها وجه الله فاذا قيل ذلك لاتباع **الهوى** والحمية او لإظهار العلم والفضيلة او لطلب السمعة والرياء كان بمنزلة المقاتل شجاعة وحمية ورياء

ومن هنا يتبين لك ما وقع فيه كثير من اهل العلم والمقال واهل العبادة والحال واهل الحرب والقتال من لبس الحق بالباطل في كثير من الاصول فكثيرا ما يقول هؤلاء من الاقوال ما هو خلاف الكتاب والسنة او ما يتضمن خلاف السنة ووفاقها وكثيرا ما يتعبد هؤلاء بعبادات لم يأمر الله بها بل ." (١)

"ص -١٤٩- إختلاف تنوع، وإختلاف تضاد.

أختلاف التنوع على وجوه:

-منه: ما يكون كل واحد من القولين، أو الفعلين حقا مشروعا، كما في القراءات التي أختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم عن الإختلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ك "كلاكما محسن". ومثله إختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والإستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الإختلاف، ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها، ونحو ذلك، وهذا عين المحرم، ومن لم يبلغ هذا المبلغ، فتجد كثيرا منهم في قلبه من **الهوى** لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر، أو النهي عنه – ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.." (٢)

"ص -٢٠٧- ثم قد تقدم عند الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه.

وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن **الهوى**، لما جاز التمسك بها حتى تثبت. فكيف بالمنقول عن غيره؟.

ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله، باجتهاد يخطئ ويصيب، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه، فحرف النقل عنه، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها، من حجها للصلاة عندها، والاستغاثة بها.

ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله،

---

(١) الاستقامة، ٢/٣٠٠

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤/٥٧

مع العلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرعها، وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله، وإنما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الأنبياء- النصارى وأمثالهم.

وإنما المتبع في إثبات أحكام الله: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسبيل." (١)

"لله (١) ، كما قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا **الهوى** أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [سورة النساء: ١٣٥] ، واللي (٢) هو تغيير الشهادة، [والإعراض كتمانها. والله تعالى] قد أمر بالصدق، والبيان، ونهى عن الكذب، والكتمان فيما يحتاج [إلى معرفته، وإظهاره، كما قال: النبي] (٣) - صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتفق عليه: («البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا، وبينا بورك [لهما في بيعهما، وإن كتما، وكذبا» (٤)] «محقت بركة بيعهما» (٥) .) .

وقال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [سورة المائدة: ٨] .

---

(١) ن، م: شهادة الله.

(٢) أ: واللائي، وهو تحريف ظاهر.

(٣) النبي: زيادة في (م) .

(٤) م: وإن كذبا وكتما.

(٥) الحديث عن حكيم بن حزام (رضي الله عنه) في مواضع عديدة في البخاري ومسلم. انظر مثلا البخاري ٥٨/٣ (كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما.) ، ٦٤/٣ (كتاب البيوع، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا) ؛ مسلم ١١٦٤/٣ (كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان) . والحديث عنه وعن غيره من الصحابة - رضوان الله عليهم - بمعناه في: سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند أحمد.." (٢)

"وذلك أن أول] هذه الأمة هم (١) الذين قاموا بالدين تصديقا، وعلما، وعملا، وتبليغا، فالطعن فيهم [طعن في الدين موجب للإعراض عما] بعث الله به (٢) النبيين.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٦٠/١٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٦/١

وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع (٣) ، فإنما كان قصده (٤) [الصد عن سبيل الله، وإبطال ما جاءت] به الرسل عن الله، ولهذا كانوا يظهرون ذلك بحسب ضعف الملة، فظهر [في الملاحدة حقيقة هذه البدع المضلة] لكن راج كثير منها على من ليس من المنافقين الملحدين، لنوع من الشبهة، والجهالة [المخلوطة (٥) بهوى، فقبل (٦) معه الضلالة] ، وهذا أصل كل باطل.

قال الله تعالى: (٧) ﴿والنجم إذا هوى – ما ضل صاحبكم وما غوى – وما ينطق عن **الهوى** – إن هو إلا وحي يوحى﴾ [سورة النجم: ١ – ٤] إلى قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى – ومناة الثالثة الأخرى – ألكم الذكر وله الأنثى – تلك إذا قسمة ضيزى – إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [سورة النجم: ١٩ – ٢٣] ، فنزه الله رسوله عن الضلال، والغي، والضلال عدم العلم، والغي اتباع **الهوى**.

---

(١) هم: زيادة في (ن) ، (م) .

(٢) به: ساقطة من (م) .

(٣) ن: الشيع.

(٤) ن، م: مقصوده.

(٥) م: المختلطة.

(٦) م: تقبل.

(٧) أ، ل، ب: قال تعالى.." (١)

"كما قال تعالى: ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢] ، فالظلوم غاو، والجهول ضال إلا من تاب الله عليه، كما قال تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣] (١) .

ولهذا أمرنا الله أن نقول في صلاتنا: ﴿اهدنا الصراط المستقيم – صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ، [فالضال الذي لم يعرف الحق] كالنصارى، والمغضوب عليه (٢) الغاوي الذي يعرف الحق، ويعمل بخلافه كاليهود.

والصراط [المستقيم يتضمن معرفة الحق] والعمل به، كما في الدعاء المأثور: «اللهم أرني الحق حقا، ووفقني

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨/١

لاتباعه، وأرني الباطل [باطلا، ووفقني لاجتنابه، ولا تجعله] مشتبها علي، فأتبع الهوى» .

وفي صحيح مسلم عن عائشة [رضي الله عنها (٣)] «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (٤) كان إذا قام من الليل يصلي يقول: (اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم») (٥) ، فمن خرج

---

(١) ن، م: والمؤمنات. . الآية.

(٢) ن، م: عليهم.

(٣) رضي الله عنها: ساقطة من (ن) .

(٤) م: عليه وآله وسلم.

(٥) الحديث في مسلم ٥٣٤/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه) وأوله:. . حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: " اللهم رب جبرائيل. . الحديث ".." (١)

"ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار (١) المؤمنين، [وسادات أولياء] الله بعد النبيين، ولهذا لم يجعل الله [تعالى] (٢) في الفيء نصيبا لمن بعدهم إلا الذين يقولون: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [سورة الحشر: ١٠] .

ولهذا كان بينهم وبين اليهود من [المشابهة في الخبث] (٣) ، واتباع الهوى، وغير ذلك من أخلاق اليهود، وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو، والجهل (٤) ، وغير ذلك من أخلاق النصارى ما أشبهوا به هؤلاء من وجه، وهؤلاء من وجه، وما زال الناس يصفونهم بذلك.

ومن أخبر [الناس بهم] الشعبي (٥) وأمثاله من علماء الكوفة، وقد ثبت عن الشعبي أنه قال: (ما رأيت أحمق من الخشبية (٦) لو كانوا من الطير لكانوا رخما (٧) ، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا، والله لو طلبت منهم أن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩/١

(١) م: على خيار، وهو تحريف.

(٢) تعالى: ليست في (ن) ، (م) ، (ل) .

(٣) في الخبث: زيادة في (م) ، (ل) وظهر جزء من الكلمة في (ن) .

(٤) أ، ب، ل: والجهل واتباع الهوى.

(٥) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم، توفي سنة ١٠٤. ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٢٢٧ - ٢٢٩؛ شذرات الذهب ١/١٢٦ - ١٢٨.

(٦) أ، ل: الحبشية، وهو تحريف. والخشبية نسبة إلى الخشب، وذلك لأنهم كانوا يرفضون القتال بالسيف ويقاتلون بالخشب كما سيرد بعد قليل (ص ٢٢) . وذكر ابن حزم (الفصل ٥/٤٥) أن بعض الشيعة كانوا " لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة، والخشبية بالخشب فقط ".

(٧) الرخم نوع من الطير، واحدته رخمة، يوصف بالغدر والقذر وهو من لئام الطير. لسان العرب ١٢/٢٣٥ (ط. بيروت) .." (١)

"في غاية الجهل، والهوى.

وينبغي [أيضا] (١) أن يعلم أنه ليس كل ما أنكره بعض الناس عليهم يكون باطلا، بل من أقوالهم أقوال خالفهم فيها بعض أهل السنة، ووافقهم بعض، والصواب مع من وافقهم لكن ليس لهم مسألة انفردوا بها أصابوا فيها، فمن الناس من يعد من بدعهم الجهر بالبسملة، وترك المسح على الخفين إما مطلقا، وإما في الحضر، والقنوت في الفجر، ومتعة الحج، ومنع لزوم الطلاق البدعي (٢) ، وتسطيح القبور، وإسبال اليدين في الصلاة، ونحو ذلك من المسائل التي تنازع فيها علماء السنة، وقد يكون الصواب فيها القول (٣) الذي يوافقهم، كما يكون الصواب هو القول الذي يخالفهم لكن المسألة اجتهادية، فلا تنكر إلا إذا صارت شعارا لأمر لا يسوغ، فتكون دليلا على ما يجب إنكاره، وإن كانت نفسها يسوغ فيها الاجتهاد، ومن هذا. وضع الجريد على القبر، فإنه منقول عن بعض الصحابة، وغير ذلك من المسائل.

ومن حماقتهم أيضا أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ينتظرونه فيها كالسراداب (٤) الذي بسامرا الذي

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٢

يزعمون أنه غاب فيه (٥) ، ومشاهد أخر، وقد

---

(١) أيضا: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٢) ن، م: طلاق البدعة.

(٣) ب: للقول.

(٤) ن، م: السرداب.

(٥) أ، ب: غائب فيه. وفي معجم البلدان: " سامراء، لغة في سر من رأى، مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت. وبسامراء قبر الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر، وابنه الحسن بن علي العسكريين، وبها غاب المنتظر في زعم الشيعة الإمامية ". وينكر العاملي ذلك في كتابه " أعيان الشيعة " ١ ويقول: " فالإمامية تعتقد في. الإمام المهدي أنه حي غائب عن الأبصار موجود في الأمصار لا أنه في السرداب ولا أنه مات ثم يرجع إلى الدنيا. والمهدي المنتظر متفق عليه بين جميع المسلمين، وإنما اختلفوا في أنه ولد أو سيولد ". على أن هذا الإنكار تكذبه كتب الشيءة وغير الشيعة فالشهرستاني يذكر في " الملل والنحل "، (١٥٠/١) أن الإمام الثاني عشر هو " محمد القائم المنتظر الذي بسر من رأى ". وينقل (donaldson) في كتابه المشار إليه آنفا (p. ٢٣٣) عن المجلسي في كتابه " جنات الخلود " أن محمد بن الحسن اختفى في سرداب في منزله الذي ورثه عن أبيه بسامراء. كما ينقل (- ٢٤٥) عن كتاب " نزهة القلوب " للمستوفى أن المهدي اختفى في سامراء سنة ٢٤٦ هـ - ٨٧٨ م. وانظر أيضا، دائرة المعارف الإسلامية، مادة " سامراء "." (١)

"لم يرو عن أحد من قدماء الشيعة مثل عاصم بن ضمرة (١) ، والحارث الأعور (٢) ، وعبد الله بن سلمة (٣) ، وأمثالهم مع أن هؤلاء [من] (٤) خيار الشيعة، (٥ وإنما يروي أصحاب الصحيح حديث علي عن أهل بيته ٥) (٥) كالحسن، والحسين (٦) ، ومحمد ابن الحنفية، وكاتبه [عبيد الله] (٧) بن أبي رافع، أو عن (٨) أصحاب عبد الله (٩) بن مسعود: كعبيدة السلماني، والحارث بن قيس، أو عمن يشبه هؤلاء، وهؤلاء أئمة النقل، ونقاده من أبعد الناس عن الهوى، وأخبرهم بالناس، وأقولهم بالحق (١٠) لا يخافون في الله لومة لائم.

والبدع متنوعة (١١) ، فالخوارج مع أنهم مارقون يمرقون من الإسلام كما.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٤/١

(١) ن: عاصم بن صحره، وهو خطأ. وهو عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي من أصحاب علي، وثقه ابن المديني وابن معين، وتكلم فيه ابن عدي وابن حبان، توفي سنة ١٧٤. انظر الخلاصة للخزرجي ص ١٥٤؛ ميزان الاعتدال ١/٣,

(٢) وهو الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور. قال الذهبي (ميزان الاعتدال ٢٠٢/٢) : من كبار علماء التابعين على ضعف فيه، وذكر أن البخاري أخرج له حديثا في كتاب " الضعفاء ". وقال الخزرجي (الخلاصة، ص [٠ - ٩] ٨) : أحد كبار الشيعة. وقال الشعبي وابن المديني: كذاب. قال ابن معين في رواية والنسائي: ليس به بأس. توفي سنة ١٦٥.

(٣) عبد الله بن سلمة (بكسر اللام) الهمداني المرادي الكوفي صاحب علي. قال البخاري: لا يتابع في حديثه، ووثقه العجلي. انظر ميزان الاعتدال ٤٢/٢؛ الخلاصة للخزرجي ص [٠ - ٩] ٦٩.

(٤) من: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) (٥ - ٥) : بدلا من هذه العبارات جاء في (أ) ، (ب) : وإنما يروون عن أهل البيت.

(٦) ن، م: بيته كالحسين.

(٧) عبيد الله: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٨) ن، م: وعن.

(٩) عبد الله: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(١٠) ن: وأقوالهم وأحوالهم.

(١١) ن، م: مبتدعة.." (١)

"أنه معلول العلة القديمة، وإذا سئل أحدهم: هل العالم محدث أو قديم؟ يقول: هو محدث وقديم، ويعني بذلك أن الفلك قديم بنفسه (١) لم يزل، وأنه محدث يعنون بكونه محدثا له أنه معلول (٢) علة قديمة.

[بطلان الاحتجاج بالأفول على الإمكان والحركة]

وهذه العبارة يقولها ابن سينا وأمثاله من الباطنية، فإنهم يأخذون عبارات المسلمين، فيطلقونها على (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٧/١

معانيهم، كما قال مثل ذلك في لفظ (الأفول.) ، فإن أهل الكلام المحدث لما احتجوا بحدوث الأفعال على حدوث الفاعل الذي قامت به الأفعال، وزعموا أن إبراهيم الخليل احتج بهذا، وأن المراد بالأفول (٤) الحركة والانتقال، وأنه استدل بذلك على حدوث المتحرك والمنتقل. نقل ابن سينا هذه المادة إلى أصله، وذكر هذا في (إشاراته) فجعل هذا (٥) الأفول عبارة عن الإمكان، وقال: إن ما هوى في حظيرة الإمكان هوى في حظيرة الأفول (٦) ، ولفظه: (٧) (فإن الهوى في حظيرة الإمكان أفول ما.) .

وذلك أنه أراد أن يقول بقول سلفه الفلاسفة مع قوله بما يشبه طريقة المتكلمين، والمتكلمون استدلوا على حدوث الجسم بطريقة التركيب،

---

(١) ن، م: في نفسه.

(٢) أ، ب: وأنه محدث بمعنى أنه معلول، م: وأنه محدث يعني معلول. .

(٣) ن، م: في.

(٤) ن، م: بالأقوال، وهو تحريف.

(٥) ن، م، أ: هو.

(٦) ن، م: إن كل ممكن هاو في حضيرة الأفول والإمكان هوى في حضيرة الأفول ؛ أ: كل ممن هاوى في حظيرة الأفول هوى في حظيرة الأفول.

(٧) في: الإشارات والتنبيهات ٣، ٥٣٢/٤ تحقيق د. سليمان الدنيا، ط. المعارف، القاهرة ١٩٥٨.." (١)

"فجعل هو التركيب دليلا على الإمكان، والمتكلمون جعلوا دليلهم هو دليل إبراهيم الخليل بقوله: ﴿لا أحب الآفلين﴾ [سورة الأنعام: ٧٦] وفسروه بأن الأفول هو الحركة، فقال ابن سينا: (١) (قال قوم إن هذا الشيء المحسوس موجود لذاته واجب لنفسه لكنك إذا تذكرت ما قيل (٢) في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس. واجبا، وتلوت (٣) قوله تعالى: ﴿لا أحب الآفلين﴾ ، فإن الهوى في حظيرة الإمكان أفول ما.) .

ويريد بالشرط أنه ليس بمركب، وأن المركب ممكن ليس بواجب، والممكن آفل لأن الإمكان أفول ما (٤) ، والآفل (٥) عندهم هو الذي يكون موجودا بغيره، ويقولون: نحن نستدل بإمكان الممكنات على الواجب،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠١/١

ونقول: العالم قديم لم يزل ولا يزال، ونجعل معنى قوله تعالى: ﴿لا أحب الآفلين﴾ أي (٦) لا أحب الممكنين، وإن كان الممكن واجب الوجود بغيره قديما أزليا (٧) لم يزل ولا يزال.

ومعلوم أن كلا القولين من باب تحريف الكلم عن مواضعه، وإنما الأفول هو المغيب (٨) ، والاحتجاب ليس هو الإمكان، ولا الحركة

---

(١) المرجع السابق ٣، ٥٣١/٤ - ٥٣٢.

(٢) الإشارات ٣، ٥٣٢/٤: ما قيل لك.

(٣) ن: ويكون، وهو تحريف.

(٤) ما: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٥) ن، م: والأفول.

(٦) أي: زيادة في (ن) ، (م) .

(٧) أزليا: ساقطة من (أ) ، (ب) ومكانها كلمة " لدليل ".

(٨) ب (فقط) : الغيب، وهو تحريف.." [1]

"وابتدعوا شركاء بسبب شرك الأمم، فإن أولئك المشركين من اليونان والروم وغيرهم كانوا يسجدون للشمس والقمر والأوثان، فنقلتهم (١) النصارى عن عبادة الأصنام المجسدة التي لها ظل إلى عبادة التماثيل المصورة في الكنائس، وابتدعوا الصلاة إلى المشرق، فصلوا إلى حيث تظهر الشمس والقمر والكواكب، واعتاضوا بالصلاة إليها والسجود إليها عن الصلاة لها والسجود لها.

والمقصود أن النصارى بعد تبديل دينهم كان ناموسهم ودينهم خيرا من دين أولئك اليونان أتباع الفلاسفة (٢) ، فلهذا كان الفلاسفة الذين رأوا دين الإسلام يقولون: إن ناموس محمد - صلى الله عليه وسلم - أفضل من جميع النواميس، ورأوا أنه أفضل من نواميس (٣) النصارى والمجوس وغيرهم، فلم يطعنوا في دين محمد - صلى الله عليه وسلم - كما طعن أولئك المظهرون للزندقة من الفلاسفة، ورأوا أن ما يقوله أولئك المتكلمون فيه ما يخالف صريح المعقول (٤) ، فطعنوا بذلك عليهم، وصاروا يقولون: من أنصف ولم يتعصب ولم يتبع الهوى لا يقول ما يقوله هؤلاء في المبدأ والمعاد.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠٢/١

[أقوال الفلاسفة]

وكان لهم أقوال فاسدة في العقل أيضا تلقوها من سلفهم الفلاسفة، (* ورأوا أن (٥) ما تقوله فيه ما يخالف العقول، وطعنوا بذلك

---

(١) ن: فعلهم (وهو تحريف) ؛ م: فنقلهم.

(٢) م: الفلسفة.

(٣) ا، ب: من ناموس.

(٤) ن (فقط) : العقل.

(٥) ن: الآن؛ م: لأن، وكلاهما تحريف.." (١)

"عليهم والنصارى ضالون» (١) ". وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه استكبارا وحسدا وغلوا واتباعا للهوى، وهذا هو الغي، والنصارى ليس لهم علم بما يفعلونه من العبادة والزهد والأخلاق، بل فيهم الجهل والغلو والبدع والشرك جهلا منهم، وهذا هو الضلال، وإن كان كل من الأمتين فيه ضلال وغي، لكن الغي أغلب على اليهود، والضلال أغلب على النصارى.

ولهذا وصف الله اليهود بالكبر والحسد، واتباع الهوى والغي وإرادة العلو في الأرض (٢) والفساد. قال تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ ، [سورة البقرة: ٨٧] ، وقال تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ ، [سورة النساء: ٥٤] ، وقال: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾

---

(١) الحديث عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - في سنن الترمذي في موضعين ٤/٢٧١، ٢٧٢ (كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب) وأوله في الموضع الأول: أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد. الحديث ولفظه: " فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال " وقال الترمذي " هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب، وروى شعبة، عن سماك بن حرب، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديث بطوله "

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٢١

والحديث في المسند (ط. الحلبي) ٣٧٨/٤ وفيه: " إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى. . " وذكره الطبري في تفسير قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وذكر روايات أخرى، وقد خرجها الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - وصحح أكثرها. انظر التفسير (ط. المعارف) ١٨٥/١ - ١٨٨ ١٩٣ - ١٩٥.

(٢) في الأرض: ساقطة من أ، ب.." (١)

"، [سورة الأعراف: ١٤٦] ، وقال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾ ، [سورة الإسراء: ٤] .

ووصف النصارى بالشرك والضلال والغلو والبدع، فقال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ ، [سورة التوبة: ٣١] ، وقال تعالى: ﴿قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ ، [سورة المائدة: ٧٧] ، وقال تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾ ، [سورة الحديد: ٢٧] ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

وقد نزه الله نبيه عن الضلال والغي، فقال: ﴿والنجم إذا هوى - ما ضل صاحبكم وما غوى - وما ينطق عن **الهوى**﴾ ، [سورة النجم: ١ - ٣] (١) ، فالضال الذي لا يعرف الحق، والغاوي الذي يتبع هواه، وقال تعالى: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ ، [سورة ص: ٤٥] ، فالأيدي القوة (٢) في طاعة الله، والأبصار البصائر في الدين.

وقال تعالى: ﴿والعصر - إن الإنسان لفي خسر - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ .

وإذا كان الصراط المستقيم لا بد فيه من العلم بالحق والعمل به،

---

(١) آية: ٣ من سورة النجم ليست في (ن) ، (م) .

(٢) أ، ب: القوى.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣/٢

"وكلاهما (١) واجب، لا يكون الإنسان مفلحا ناجيا إلا بذلك، وهذه الأمة خير الأمم، وخيرها القرن الأول (٢) ، كان القرن الأول أكمل الناس في العلم النافع والعمل الصالح.

وهؤلاء المفترون وصفوهم بنقيض ذلك، بأنهم لم يكونوا يعلمون الحق ويتبعونه، بل كان أكثرهم عندهم يعلمون الحق ويخالفونه، كما يزعمونه في الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة والأمة، وكثير منهم عندهم لا يعلم الحق، بل اتبع الظالمين تقليدا لعدم نظرهم المفضي إلى العلم، والذي لم ينظر قد يكون تركه النظر لأجل الهوى وطلب الدنيا، وقد يكون لقصوره ونقص إدراكه.

وادعى أن منهم من طلب الأمر لنفسه بحق، يعني عليا (٣) ، وهذا مما علمنا بالاضطرار أنه لم يكن، فلزم من ذلك - على قول هؤلاء - أن تكون الأمة كلها [كانت] (٤) ضالة بعد نبيها (٥) ليس فيها مهتد، فتكون اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خيرا منهم ؛ لأنهم [كانوا] (٦) ، كما قال الله [تعالى] (٧) : ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ ، [سورة الأعراف: ١٥٧] ، وقد «أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن اليهود والنصارى

---

(١) ن، م: به كلاهما.

(٢) ن، م: وخير القرون الأول.

(٣) م: عليا عليه السلام.

(٤) كانت: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) ن: ثبتها، وهو تحريف.

(٦) كانوا: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) تعالى: ليست في (ن) .." (١)

"في " إشاراته " (١) فجعل الأفول هو الإمكان، وجعل كل ممكن آفلا، وأن الأفول هوي في حظيرة الإمكان (٢) وهذا يستلزم أن يكون ما سوى الله آفلا (٣) .

ومعلوم أن هذا من أعظم الافتراء على اللغة والقرآن ومن أعظم القرمطة ولو كان كل ممكن آفلا لم يصح قوله: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ فإن قوله: ﴿فلما أفل﴾ يقتضي حدوث الأفول له، وعلى قول هؤلاء المفترين على اللغة والقرآن: " الأفول " لازم له لم يزل ولا يزال

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤/٢

آفلا (٤) ، ولو كان مراد إبراهيم بالأفول الإمكان، والإمكان حاصل في الشمس والقمر والكوكب في كل وقت، لم يكن به حاجة إلى أن ينتظر أفولها.

وأيضا، فجعل القديم الأزلي الواجب [بغيره] (٥) أزلا وأبدا ممكنا قول انفرد به ابن سينا ومن تابعه (٦) ، وهو قول (٧) مخالف لجمهور العقلاء من سلفهم وخلفهم (٨) .

---

(١) ب (فقط) : إشارته وهو تحريف.

(٢) ن: في حظيرة الشمس والقمر، وهو خطأ ؛ م: هو في حظيرة الشمس.

(٣) قال ابن سينا: (الإشارات التنبيهات، ص ٥٣١ - ٥٣٢ ط. المعارف) " قال قوم: إن هذا الشيء المحسوس موجود لذاته، واجب لنفسه، لكنك إذا تذكرت ما قيل لك في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجبا، وتلوت قوله تعالى: (لا أحب الآفلين) فإن الهوى في حظيرة الإمكان أفول ما ".

(٤) آفلا: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٥) بغيره: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) أ، ب: اتبعه.

(٧) قول: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٨) أ، ب: وغيرهم.." (١)

"يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة (١) المجسمة، ومتأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل (٢) ، لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا.

وأئمة المسلمين من أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم متفقون على القول الوسط (٣) المغاير لقول أهل التمثيل [وقول أهل] التعطيل (٤) ، وهذا مما يبين مخالفة الرافضة لأئمة أهل بيت رسول الله (٥) - صلى الله عليه وسلم - في أصول دينهم، كما هم مخالفون لأصحابه، بل ولكتاب الله وسنة رسوله.

وهذا لأن مبنى مذهب القوم على الجهل والكذب والهوى، وهم وإن كانوا يدعون اتباع الأئمة الاثني عشر في الشرائع (٦) ، فلو قدر من يجوز له التقليد إماما من أئمة أهل البيت (٧) - كعلي بن الحسين وأبي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٧/٢

جعفر الباقر وجعفر الصادق وأمثالهم - لكان ذلك سائغا (٨) جائزا عند أهل

---

(١) ن، م: الغلاة.

(٢) ع: وبين التمثيل.

(٣) ن، م: الوسيط.

(٤) ن: لقول أهل التمثيل والتعطيل.

(٥) ن: لأهل البيت بيت رسول الله ؛ م: لأهل بيت رسول الله.

(٦) استطرد ابن تيمية بعد العبارات السابقة فلم يذكر جوابا لشرط، ومعنى كلامه أن القوم مع دعواهم اتباع أئمة أهل البيت قد اختلفوا عليهم وافتروا ما لم يقولوا به.

(٧) ن، م: إماما فأئمة أهل السنة، وهو تحريف.

(٨) ن: شائعا ؛ م: ضائعا.." (١)

"عوامهم الذين لم يعرفوا باطن أمرهم فقد يكونون (١) . مسلمين.

وأما المسائل المتقدمة فقد شرك غير الإمامية فيها بعض الطوائف، إلا (٢) . غلوهم في عصمة الأنبياء فلم يوافقهم عليه أحد أيضا، حيث ادعوا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يسهو، فإن هذا لا يوافقهم عليه أحد فيما علمت (٣) ".، اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك، فإن بينهم وبين الرافضة قدرا مشتركا في الغلو وفي الجهل والانقياد لما لا يعلم صحته، والطائفتان تشبهان النصارى في ذلك. [وقد يقرب (٤) . إليهم بعض المصنفين في الفقه (٥) . من الغلاة في مسألة العصمة] (٦) . .

والكلام في أن هؤلاء أئمة فرض الله الإيمان بهم (٧) . وتلقي الدين منهم دون غيرهم، [ثم] (٨) . في عصمتهم عن الخطأ، فإن كلا من هذين (٩) . القولين مما (١٠) . لا يقوله إلا مفرط في الجهل أو مفرط في اتباع الهوى أو في كليهما (١١) .، فمن عرف دين الإسلام وعرف حال هؤلاء، كان عالما

---

(١) ع، أ، ن، م: فقد يكونوا، وهو خطأ

(٢) ن، م: إلى ؛ وهو تحريف

(٣) ب، ن، م: فإن هذا لا أعلم أحدا يوافقهم عليه ؛ وفي (أ) سقطت كلمة " عليه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٤٣/٢

(٤) ب، أ: تقرب

(٥) في الفقه: ساقطة من (ن) ، (م)

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ن) ، (م)

(٧) ن: فرض الله الإيمان عليهم ؛ م: فرض الله عليهم الإيمان، وكلاهما خطأ

(٨) ثم: ساقطة من (ن) ، (م)

(٩) ع: فإن كلام هذين

(١٠) مما: ساقطة من (ب) ، (أ)

(١١) ن، م، ع: في كلاهما." (١)

"ولهذا سأل الوليد بن عبد الملك عن ذلك بعض (١) العلماء، فقالوا له (٢) : يا أمير المؤمنين، أنت أكرم على الله أم داود، وقد قال له: ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [سورة ص: ٢٦] .

وكذلك سؤال سليمان بن عبد الملك عن ذلك لأبي حازم المدني (٣) في موعظته المشهورة [له] (٤) فذكر له هذه الآية.

ومع خطأ هؤلاء وضلالهم فكانوا يقولون (٥)] ذلك في طاعة إمام منصوب (٦) قد أوجب الله طاعته في موارد الاجتهاد، كما يجب طاعة والي

---

(١) بعض: في (ع) فقط.

(٢) ع: العلماء فقال، وهو خطأ.

(٣) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج المخزومي المدني، مولى الأسود بن سفيان، من الثقات، روى له البخاري ومسلم، وقد اشتهر بالزهد والورع، وكانت وفاته سنة ١٤٠. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٣٣/١ - ١٣٤ ؛ الجرح والتعديل، ج[٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٥٩ ؛ تهذيب الأسماء واللغات، ق [٠ - ٩] ١ ج[٠ - ٩] ص [٠ - ٩] ٠٧ - ٢٠٨ ؛ تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ - ١٤٤ ؛ المعارف لابن قتيبة (ط. دار الكتب) ، ص [٠ - ٩] ٧٩ ؛ حلية الأولياء ٢٢٩/٣ - ٢٥٩ ؛ تهذيب تاريخ ابن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٥٣/٢

عساكر (ط. دمشق) ، ٢١٦/٦ - ٢٢٨ ؛ صفة الصفوة (ط. حيدر آباد، ١٣٥٥) ٨٨/٢ - ٩٤ ؛ الأعلام ١٧١/٣ - ١٧٢.

(٤) له: في (ع) فقط. وقد ذكرت هذه الموعظة في أكثر من كتاب. انظر: سنن الدارمي (ط. دمشق، ١٣٤٩) ١٥٥/١ - ١٥٨ ؛ حلية الأولياء ٢٣٤/٣ - ٢٣٧ ؛ ابن عساكر ٢١٨/٦ - ٢٢٢ ؛ صفة الصفوة ٨٩/٢ - ٩٠. ولم أجد في الموعظة الواردة في هذه المراجع ذكرا للآية ٢٦ من سورة ص.

(٥) هنا نهاية السقط في (ن) ، (م) .

(٦) ب، ا: معصوم، وهو خلاف المقصود.." [١]

"يستعين الإنسان على الكلام في الصفات الإلهية، وبذلك يستعين على ما يرد عليه من الشبهات، وقد تكلمنا على ذلك في مواضع.

والناس قد تنازعوا في روح الإنسان: هل هي جسم مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة، أو جوهر لا يقبل الصعود والنزول والقرب والبعد ونحو ذلك؟ وكلا القولين خطأ، كما ذكر في غير هذا الموضع؟

(١) وأضعف من ذلك قول من يجعلها عرضا من أعراض البدن كالحياة والعلم.

وقد دخل في الأول قول من قال: إن الإنسان ليس هو إلا هذه الجمل المشاهدة، وهي البدن، ومن قال: إنها الريح التي تتردد في مخاريق البدن ؛ ومن قال: إنها الدم، ومن قال: إنها البخار اللطيف الذي يجري في مجاري الدم، وهو المسمى بالروح عند الأطباء ؛ ومن قال غير ذلك.

والثاني: قول من يقول بذلك من المتفلسفة ومن وافقهم من النظار.

وقد ينظر الإنسان في كتب كثيرة من المصنفة في هذه الأمور، ويجد في المصنف أقوالا متعددة، والقول الصواب لا يجده فيها.

ومن تبحر في المعارف تبين له خلاصة الأمور، وتحقيقها: هو ما أخبر به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن **الهوى**، إن هو إلا وحي يوحى، في جميع هذه الأمور، لكن إطالة القول في هذا الباب، لا يناسب هذا

---

(١) انظر رسالة في العقل والروح لابن تيمية، المنشورة في الجزء الثاني من مجموعة الرسائل المنيرية، ط. القاهرة، ١٣٤٣. ونشرت بعد ذلك في مجموع فتاوى الرياض ٢١٦/٤ - ٢٣١.." [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٧/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٨٠/٢

"به هذا، فإن جميع الناس قبل الفعل ليس معهم القدرة الموجبة للفعل، فلا يختص بذلك العصاة، بل المراد أنهم يكرهون سماع الحق كراهة شديدة لا تستطيع أنفسهم [معها] سماعه (١) . لبغضهم لذلك (٢) لا لعجزهم عنه، كما أن الحاسد لا يستطيع الإحسان إلى المحسود لبغضه لا لعجزه عنه (٣) .
وعدم هذه الاستطاعة لا يمنع (٤) الأمر والنهي فإن الله يأمر الإنسان بما يكرهه، وينهاه عما يحبه. كما قال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ [سورة البقرة: ٢١٦] ، وقال: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ [سورة النازعات: ٤٠] ، وهو قادر على فعل ذلك إذا أراده (٥) ، وعلى ترك ما نهى عنه، وليس من شرط المأمور به أن يكون (٦) العبد مريدا له، ولا من شرط المنهي عنه أن يكون العبد كارها له، فإن الفعل يتوقف على القدرة والإرادة (٧) ، والمشروط في التكليف أن يكون العبد قادرا على الفعل لا أن يكون مريدا له، لكنه لا يوجد إلا إذا كان مريدا له، فالإرادة (٨) شرط في وجوده لا في وجوبه.

الوجه الثالث: (٩) أن تكليف ما لا يطاق إذا فسر بأنه الفعل الذي ليس له

---

(١) أ، ب لا تستطيع أنفسهم سمعه ؛ ن: لا تستطيع أنفسهم لسماعها ؛ م: لا تستطيع أنفسهم معهم سماعا

(٢) ن، ع: ذلك.

(٣) أ، ب: لا يعجز عنه.

(٤) أ، ب، ن، ع: لا تمنع. والكلمة غير منقوطة في (م) .

(٥) أ، ب: إذا أراد.

(٦) ن، م: وليس من شرط المأمور أنه يكون.

(٧) ع: على الإرادة والقدرة.

(٨) أ، ب: مريدا له والإرادة ؛ ع: مريدا فالإرادة.

(٩) ن، م: الرابع، وهو خطأ.." (١)

"أحدها: إما أن يكون لإبليس فعل، وإما أن لا يكون له (١) فعل. فإن لم يكن له فعل امتنع أن يستعاذ به، فإنه حينئذ لا يعيذ أحدا ولا يفعل شيئا. وإن كان له فعل بطل تنزيهه عن المعاصي، فعلم أن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٠٦/٣

هذا الاعتراض ساقط على قول مثبتة القدر ونفاته، وهو إيراد من غفل عن القولين، وكذلك (٢) بتقدير أن لا يكون لإبليس فعل، فلا يكون منه (٣) شر حتى يقال: إن غيره شر منه، فضلا عن أن (٤) يقال: إن الله [تعالى] (٥) شر من إبليس (٦) .

فدعوى هذا أن هؤلاء يلزمهم أن يكون (٧) الله شرا عليهم من إبليس - دعوى باطلة، إذ غاية ما يقوله القائل هو الجبر المحض (٨) ، كما يحكى عن الجهم وشيعته، وغاية ذلك أن لا يكون (٩) لإبليس ولا غيره قدرة ولا مشيئة ولا فعل، بل تكون حركته كحركة الهواء (١٠) ، وعلى هذا التقدير فلا يكون منه لا خير ولا شر، والله تعالى هو الخالق لهذا كله، فكيف يقال على هذا التقدير (١١) إن بعض مخلوقاته شر منه.

---

(١) أ، ب: لإبليس.

(٢) أ، ب: وذلك.

(٣) أ، ب: له.

(٤) أن: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٥) تعالى: ساقطة من (ن) ، (م) ، (ع) .

(٦) أ، ب: شر منه.

(٧) أ، ب: فدعوى هؤلاء أن يكون.

(٨) أ: القائل هو الخبر المحض، ن: القائل الخير المحض، م: القائل بالجبر المحقق، ع: القائل بالجبر المحض.

(٩) ن: أن لا يكونوا، م: لا يكون.

(١٠) أ: الهوى ؛ ب: الهوي.

(١١) ساقط من (أ) ، (ب) .." [١]

"وهذه الطريقة هي المعروفة له] (١) ولمن اتبعه كالسهروردي (٢) المقتول ونحوه من الفلاسفة، [وأبي حامد] والرازي (٣) والآمدي وغيرهم (٤) من متأخري [أهل] الكلام، (٥) الذين خلطوا الفلسفة بالكلام.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٢١١

[وهؤلاء المتكلمون المتأخرون الذين خلطوا الفلسفة بالكلام] (٦) : (*كثر (٧) اضطرابهم وشكوكهم وحيرتهم بحسب ما ازدادوا به من ظلمة هؤلاء (٨) المتفلسفة الذين خلطوا الفلسفة بالكلام *) (٩) فأولئك قلت ظلمتهم بما دخلوا فيه من كلام أهل الملل، وهؤلاء كثرت ظلمتهم بما دخلوا فيه من كلام أولئك المتفلسفة.

هذا مع أن في المتكلمين من أهل الملل من الاضطراب والشك في أشياء، والخروج عن الحق في مواضع، واتباع الأهواء (١٠) في مواضع، والتقصير في الحق في مواضع - ما ذمهم لأجله علماء الملة وأئمة الدين، (١١) فإنهم قصروا في (١٢) معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله في كتابه، فعدلوا

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م)

(٢) أ: كالشهرستاني، ع: كالسهرزمدي، وكلاهما تحريف.

(٣) ن، م: من الفلاسفة والرازي، ع: من الفلاسفة وأبو حامد والرازي، أ، ب: من الفلاسفة وأبي حامد الرازي.

(٤) ن، م: وغيرهما.

(٥) ن: من متأخرة الكلام، ع، م: من متأخرة أهل الكلام.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) ، (ع) .

(٧) أ، ب: أكثر.

(٨) ن: ما أرادوا به من ظلمة، أ: ما أرادوا به ظلمة هؤلاء، ب: ما ازدادوا به ظلمة من هؤلاء.

(٩) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(١٠) أ، ب: **الهوى.**

(١١) أ، ب: علماء الملة والدين، ن: علماء الأئمة والسلف وأئمة الدين.

(١٢) أ، ب: عن.." (١)

"وفيه (١) ما هو كذب عليهم لم يقله أحد منهم، وذلك الذي قاله بعض هؤلاء أنكره جمهورهم فلم يتفقوا على ضلالة.

ثم إن الموجود في الشيعة من الأمور المنكرة الشنيعة (٢) المخالفة للكتاب والسنة والإجماع، أعظم وأشنع

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٢٨٨

(٣) مما يوجد في أي طائفة فرضت من طوائف السنة، فما من طائفة من طوائف السنة (٤) يوجد في قولها ما هو (٥) ضعيف إلا ويوجد ما هو أضعف منه وأشنع من أقوال الشيعة (٦) .

فتبين على كل تقدير أن كل طائفة من أهل السنة خير منهم، فإن الكذب الذي (٧) يوجد فيهم، والتكذيب بالحق، وفرط الجهل، والتصديق بالمحالات، وقلة العقل، والغلو في اتباع الأهواء (٨) ، والتعلق بالمجهولات لا يوجد مثله في طائفة أخرى.

وأما ما حكاه من إباحة اللواط بالعبيد، فهو كذب لم يقله أحد من علماء أهل (٩) السنة، وأظنه قصد التشنيع به على مالك، فإني رأيت من الجهال من يحكي هذا عن مالك. وأصل ذلك ما يحكى عنه في حشوش

---

(١) ن، م: ما قاله بعضهم وفيه ؛ وسقطت الكلمة " الثلاثة " من (و) ، (ص) ، (ر) ، (هـ) .

(٢) النكرة الشنيعة، ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) وأشنع: ساقطة من (ر) .

(٤) ساقطة من (ب) فقط.

(٥) ب فقط: فما يوجد في قولنا ما هو، وهو خطأ.

(٦) ن، م، و، هـ، ر، ص: إلا يوجد ما هو أضعف وأكثر في أقوال الشيعة.

(٧) الذي: ساقطة من (ب) فقط.

(٨) أ، ب: الهوى.

(٩) أهل: ساقطة من (أ) ، (ب) ، (ص) ، (ن) .." [١]

"الوجه الثالث عشر (١) : أن يقال: هذا الشعر الذي استشهد به [واستحسنه] (٢) هو قول جاهل، فإن أهل السنة متفقون على قبول ما روى جدهم عن جبريل عن الباري، بل هم يقبلون مجرد قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويؤمنون به، ولا يسألونه من أين علمت هذا، لعلمهم بأنه معصوم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وإنما سموا أهل السنة لاتباعهم لسنته (٣) - صلى الله عليه وسلم -. لكن الشأن في [معرفة] (٤) ما رواه جدهم، فهم يطلبون علم ذلك من الثقات الأثبات، فإن كان عند أحد من (٥) العلويين علم شيء من ذلك استفادوه منه (٦) ، وإن كان عند غيرهم علم شيء من ذلك استفادوه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٤٣٥

منه] (٧) .

وأما مجرد كون جدهم روى عن جبريل عن الباري إذا لم يكونوا عالمين به فما يصنع لهم (٨) ؟ والناس لم يأخذوا قول مالك والشافعي وأحمد وغيرهم إلا لكونهم يسندون أقوالهم إلى ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن هؤلاء من أعلم الناس بما جاء به، وأتبعهم لذلك، وأشدهم اجتهادا (٩) في معرفة [ذلك واتباعه (١٠) ، وإلا فأي غرض للناس في تعظيم مثل (١١) هؤلاء؟ .

---

(١) ن، م، و: الوجه الثاني عشر.

(٢) واستحسنه: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٣) أ، ب: سنته.

(٤) معرفة: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) أحد من: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٦) أ، ب: منهم.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٨) و، ر، ص، هـ: بهم.

(٩) أ، ب: وأسد اجتهادا.

(١٠) ن، م: في معرفته واتباعه.

(١١) مثل: ساقطة من (أ) ، (ب) .." (١)

"وسلم -: " «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة: رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار» " (١) . فإذا كان هذا في قضاء بين اثنين في قليل المال أو كثيره، فكيف بالقضاء (٢)

بين الصحابة في أمور كثيرة؟ .

فمن تكلم في هذا الباب بجهل أو بخلاف ما يعلم من الحق (٣)

كان مستوجبا للوعيد، ولو تكلم بحق لقصد [اتباع] (٤)

الهوى لا لوجه الله تعالى، أو يعارض به حقا آخر، لكان [أيضا] (٥)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٢/٤

مستوجبا للذم والعقاب. ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم، ورضا الله عنهم، واستحقاقهم الجنة، وأنهم خير هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس - لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة: منها ما لا يعلم (٦)

صحته، ومنها ما يتبين كذبه، ومنها ما لا يعلم (٧)

كيف وقع، ومنها ما يعلم

---

(١) الحديث - مع اختلاف في اللفظ - عن بريدة - رضي الله عنه - في: سنن أبي داود ٤٠٦/٣ - ٤٠٧ (كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ) وقال أبو داود: " وهذا أصح شيء فيه، يعني حديث ابن بريدة (عن أبيه) القضاة ثلاثة ". والحديث أيضا في: سنن ابن ماجه ٧٧٦/٢ (كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق) وصحح الألباني الحديث في " صحيح الجامع الصغير " ١٥١/٤، حديثا آخر بنفس المعنى قال السيوطي إنه في الطبري عن ابن عمر وصححه الألباني.

(٢) ن، أ، ب: القضاء ؛ ص: في القضاء.

(٣) من الحق: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٤) اتباع: في (ر) ، (هـ) ، (ص) فقط.

(٥) أيضا: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) ن، م: ما يعلم، وهو خطأ.

(٧) ن، م: ما يعلم، وهو خطأ.." (١)

"عليها من إهانة عسكر علي لها، واستيلائهم [عليها] (١) - مردودة أيضا. وإن قبلت هذه الحجة قبلت حجة معاوية - رضي الله عنه -.

والرافضة وأمثالهم من أهل الجهل والظلم يحتجون بالحجة التي تستلزم فساد قولهم وتناقضهم ؛ فإنه إن احتج بنظيرها [عليهم فسد قولهم المنقوض بنظيرها، وإن لم يحتج بنظيرها] (٢) بطلت هي في نفسها، لأنه لا بد من التسوية بين المتماثلين، ولكن منتهاهم مجرد الهوى الذي لا علم معه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

وجماهير أهل السنة متفقون على أن عليا أفضل من طلحة والزبير، فضلا عن معاوية وغيره. ويقولون: (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣١٢/٤

إن المسلمين لما افترقوا في خلافته فطائفة قاتلته وطائفة قاتلت (٤) معه، كان هو وأصحابه أولى الطائفتين بالحق، كما ثبت في الصحيحين (٥) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق» " (٦) . هؤلاء هم الخوارج المارقون الذين مرقوا فقتلهم علي وأصحابه، فعلم أنهم كانوا أولى بالحق من معاوية - رضي الله عنه - وأصحابه. لكن أهل السنة يتكلمون بعلم وعدل، ويعطون كل ذي حق حقه.

---

(١) عليها: ساقطة من (ن) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .

(٣) أ، ب: فيقولون.

(٤) ن: قاتلوا.

(٥) أ، ب: في الصحيح.

(٦) مضى هذا الحديث من قبل ١/٣٠٦.." (١)

"نسب الحسين إلا متعمد للكذب (١) والافتراء، ومن أعمى الله بصيرته باتباع هواه حتى يخفى (٢) عليه مثل هذا؟ فإن عين **الهوى** عمياء. والرافضة أعظم جحدا للحق تعمدا، وأعمى (٣) من هؤلاء ؛ فإن منهم (٤) - ومن المنتسبين إليهم - كالنصيرية وغيرهم من يقول: إن الحسن والحسين ما كانا أولاد علي، بل أولاد سلمان الفارسي. ومنهم من يقول: إن عليا لم يمت، وكذلك يقولون عن غيره.

ومنهم من يقول: إن أبا بكر وعمر ليسا مدفونين عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنهم من يقول: إن رقية وأم كلثوم زوجتي عثمان ليستا بنتي النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن هما بنتا خديجة من غيره. ولهم في المكابرات وجحد المعلومات بالضرورة أعظم مما (٥) لأولئك النواصب الذين قتلوا الحسين. وهذا مما يبين أنهم أكذب وأظلم وأجهل من قتلة الحسين.

وذلك أنه من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يقال لها: " أم المؤمنين " عائشة، وحفصة، [وزينب بنت جحش] (٦) ، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي بن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٥٨/٤

(١) ن، م: الكذب.

(٢) ب (فقط) : خفي.

(٣) ن، م، ص، و: أو عمى ؛ ر، هـ: أو أعمى.

(٤) أ، ب، ن، م، و: فيهم.

(٥) أ، ب: بالضرورات أعظم ما. . .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .." (١)

"عسكره، حتى قاوموهم وغلبوهم (١) .

، وعلي أفضل منه وأعلى درجة، وهو أولى بالحق منه باتفاق الناس، وعسكر معاوية يعلمون أن عليا أفضل منه وأحق بالأمر (٢) .

، ولا ينكر ذلك [منهم] (٣) .

إلا معاند أو من أعمى **الهوى** قلبه.

ولم يكن معاوية قبل تحكيم الحكمين يدعي الأمر لنفسه، ولا يتسمى بأمير المؤمنين، بل إنما (٤) .

ادعى [ذلك] (٥)

بعد حكم الحكمين، وكان غير واحد من عسكر معاوية يقول له: لم ذا؟ تقاتل عليا وليس لك سابقته ولا فضله (٦) .

ولا صهره، وهو أولى بالأمر منك؟ فيعترف لهم معاوية بذلك.

لكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي فيه (٧) .

ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان، وأنهم يقاتلونهم دفعا لصيالهم عليهم (٨) .

، وقتال الصائل جائز، ولهذا لم يبدءوهم بالقتال حتى بدأهم أولئك. ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم ينصرون علينا لأنا نحن بدأناهم بدأناهم: (٩)

وعلي - رضي الله عنه -كان عاجزا عن قهر الظلمة من العسكرين، ولم

---

(١) ن، و، هـ، ر: حتى قاوموهم أو غلبوهم ؛ أ، ب: إلى أن قاوموهم وغلبوهم

(٢) ب: أفضل وأحق بالأمر منه. وسقطت هذه العبارات من (أ)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٣٦٨

(٣) منهم: ساقطة من (ن) ، (م)

(٤) أ، ب: وإنما

(٥) ذلك: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) أ: لم ذا نقاتل معك عليا وليس لك سابقة ولا فضيلته ؛ ب: لماذا نقاتل معك عليا وليس لك سابقته ولا فضله

(٧) أ، ب: فيهم

(٨) ن، م: يقاتلون دفعا لصيالهم عليه ؛ ص: يقاتلونهم دفعا لصيالتهم عليهم

(٩) كذا في (أ) ، (ب) . وفي سائر النسخ: نبدأهم.

بالقتال.." (١)

"أو أكثر لم يبايعوه، ولم يبايعه سعد بن أبي وقاص ولا ابن عمر ولا غيرهما.

ويقال: ثاني عشر: قولكم: " إنه جلس مكانه ".

كذب ؛ فإن معاوية لم يطلب الأمر لنفسه ابتداء، ولا ذهب إلى علي لينزعه عن (١) إمارته، ولكن امتنع هو وأصحابه عن (٢) مبايعته، وبقي على ما كان عليه واليا على من كان واليا عليه (٣) في زمن عمر وعثمان. ولما جرى حكم الحكمين إنما كان متوليا على رعيته فقط. فإن أريد بجلوسه في مكانه أنه استبد بالأمر دونه في تلك البلاد، فهذا صحيح، لكن معاوية - رضي الله عنه - يقول: إني لم أنازعه شيئا هو في يده، ولم يثبت عندي ما يوجب علي دخولي (٤) في طاعته. وهذا الكلام سواء كان حقا أو باطلا لا يوجب كون صاحبه شرا من إبليس، ومن جعل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شرا من إبليس، فما أبقى غاية في الافتراء على الله ورسوله والمؤمنين، والعدوان على خير القرون (٥) في مثل هذا المقام، والله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، **والهوى** إذا بلغ بصاحبه إلى هذا الحد فقد أخرج صاحبه عن ربقة العقل، فضلا عن العلم والدين، فنسأل الله العافية من كل بلية، وإن حقا على الله أن يذل أصحاب مثل هذا

---

(١) أ، ب: من.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٣٨٣

(٢) أ، ب: من.

(٣) (٢ – ٢) : ساقط من (ص) ، (ب) . وفي (ر) : على ما كان عليه.

(٤) و: دخولا.

(٥) ن، م: على خير الفرق ؛ هـ، و: على خيار القرون.." (١)

"؛ فإن الله تعالى يري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق، فخبره صدق (١) وأمره عدل: ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ [سورة الأنعام: ١١٥] .

ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونا بالظن، ونوع من **الهوى** الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه [فيه] (٢) ، وإن كان من أولياء الله المتقين.

ومثل هذا إذا وقع يصير (٣) فتنة لطائفتين (٤) : طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة، بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان. وكلا هذين الطرفين (٥) فاسد.

والخوارج والروافض (٦) وغيرهم من ذوي الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا. ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم

---

(١) أ، ب: صادق.

(٢) فيه: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٣) أ، ب: صار.

(٤) م، ص، ر، هـ: للطائفتين.

(٥) ن: الطريقين.

(٦) أ، ب: والرافضة.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٦/٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٣/٤

"لو كان (١) بينه وبين الحسين رحم لما قتله. وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين. وأنه جهز أهله بأحسن الجهاز وأرسلهم إلى المدينة، لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين، ولا أمر بقتل قاتله، ولا أخذ بثأره.

وأما ما ذكره من سبي نسائه [والذراري] (٢) ، والدوران بهم في البلاد (٣) ، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل: ما سبى المسلمون - ولله الحمد - هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - سبي بني هاشم قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيرا، كما تقول طائفة منهم: إن الحجاج قتل الأشراف، يعنون بني هاشم.

وبعض الوعاظ وقع بينه وبين بعض من كانوا يدعون أنهم علويون، ونسبهم مطعون فيه، فقال على منبره: إن الحجاج قتل الأشراف كلهم، فلم يبق لنسائهم رجل، فمكنوا منهن (٤) رجالا، فهؤلاء من أولاد أولئك. وهذا كله كذب ؛ فإن الحجاج لم يقتل من بني هاشم أحدا قط، مع كثرة قتله لغيرهم. فإن عبد الملك أرسل إليه يقول له: إياك وبني هاشم أن تتعرض لهم، فقد رأيت بني حرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم. أو كما قال (٥) . ولكن قتل الحجاج كثيرا من أشراف العرب، أي

(١) ن، م:. . بن زياد والله لو كانت. . .

(٢) والزراري: زيادة في (ر) ، (ص) ، (هـ) .

(٣) ب (فقط) : في البلدان.

(٤) منهن: كذا في (ص) ، (ب) . وفي سائر النسخ: منهم.

(٥) (٥٥) بدلا من هذه العبارات في (ن) ، (م) ، (و) : لم يبق منهم أحد.." (١)

"[وكان الإسراء من المسجد الحرام] (١) . وقال: ﴿والنجم إذا هوى - ما ضل صاحبكم وما غوى - وما ينطق عن الهوى - إن هو إلا وحي يوحى﴾ [سورة النجم] إلى قوله: ﴿أفتمارونه على ما يرى - ولقد رآه نزلة أخرى - عند سدرة المنتهى﴾ [سورة النجم: ١٢ - ١٤] إلى قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ [سورة النجم: ١٩] وهذا كله نزل بمكة بإجماع الناس.

وقوله: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ " قاله في غزوة تبوك، وهي آخر الغزوات عام تسع من الهجرة. فكيف يقال إن الملائكة ليلة المعراج سمعوا قوله: " «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٥٥٨

هارون من موسى» "؟ .

ثم قد علم أن الاستخلاف على المدينة مشترك، فكل الاستخلافات التي قبل غزوة تبوك وبعد تبوك كان يكون بالمدينة رجال من المؤمنين المطيعين (٢) يستخلف عليهم. وغزوة (٣) تبوك لم يكن فيها رجل مؤمن مطيع إلا من عذره الله ممن هو عاجز عن الجهاد، فكان المستخلف عليهم في غزوة تبوك أقل وأضعف من المستخلف عليهم في جميع أسفاره ومغازيه وعمره وحجه، وقد سافر [النبي صلى الله عليه وسلم] (٤) من المدينة قريبا من ثلاثين سفرة، وهو يستخلف فيها من يستخلفه، كما استخلف في غزوة الأبواء سعد بن عبادة (٥) ، واستخلف في غزوة (٦)

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٢) المطيعين: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٣) وغزوة: كذا في (أ) ، (ب) وفي سائر النسخ: وفي غزوة.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) ، (و) .

(٥) انظر في ذلك: جوامع السيرة لابن حزم، ص [٠ - ٩] ..

(٦) ن، م، و: وفي غزوة.." (١)

"به الرسول وكذبهم عليه لا يخفى قط إلا على مفرط في الجهل **والهوى**.

وشيوخهم المصنفون فيهم طوائف يعلمون أن كثيرا مما يقولونه كذب، ولكن يصنفون لهم لرياستهم عليهم. وهذا المصنف يتهمه الناس بهذا، ولكن صنف لأجل أتباعه ؛ فإن كان أحدهم يعلم أن ما يقوله باطل ويظهره ويقول: إنه حق من عند الله، فهو من جنس علماء اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون. وإن كان يعتقد أنه حق، دل ذلك على نهاية جهله وضلاله.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وهم في دينهم لهم عقليات وشرعيات، فالعقليات متأخروهم فيها أتباع المعتزلة، إلا من تفلسف منهم (١) ، فيكون إما فيلسوفا، وإما ممتزجا من فلسفة واعتزال، ويضم إلى ذلك الرفض، مثل مصنف هذا الكتاب وأمثاله، فيصيرون بذلك من أبعد الناس عن الله ورسوله، وعن دين المسلمين (٢) المحض.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٦٧

وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما ينقل عن بعض أهل البيت (٣) ، مثل أبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق وغيرهما.

---

(١) ن، م: فيهم.

(٢) ح، ب: الإسلام.

(٣) ن، م: أهل العلم.." (١)

"عن أمثالهم، بخلاف العسكريين ونحوهما (١) ؛ فإنه لم يأخذ أهل العلم المعروفون بالعلم عنهم شيئا، فيريدون أن يجعلوا ما قاله الواحد من هؤلاء هو قول الرسول الذي بعثه الله إلى جميع العالمين، بمنزلة القرآن والمتواتر من السنن. وهذا مما لا يبني عليه دينه إلا من كان من أبعد الناس عن طريقة أهل العلم والإيمان.

[زعم الرافضة أن إجماعهم هو إجماع العترة وأن إجماع العترة معصوم]

وأصلوا أصلا ثالثا: وهو أن إجماع الرافضة هو إجماع العترة، وإجماع العترة معصوم. والمقدمة الأولى كاذبة بيقين. والثانية فيها نزاع، فصارت الأقوال التي فيها صدق وكذب على أولئك بمنزلة القرآن لهم، وبمنزلة السنة المسموعة من الرسول، وبمنزلة إجماع الأمة وحدها.

وكل عاقل يعرف دين الإسلام وتصور هذا، فإنه يمجه أعظم مما يمج الملح الأجاج والعلقم، لا سيما من كان له خبرة بطرق أهل العلم، لا سيما مذاهب أهل الحديث وما عندهم من الروايات الصادقة التي لا ريب فيها عن المعصوم الذي لا ينطق عن **الهوى** ؛ فإن هؤلاء جعلوا الرسول الذي بعثه الله إلى الخلق هو إمامهم المعصوم، عنه يأخذون دينهم، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وكل قول يخالف قوله فهو مردود عندهم، وإن كان الذي قاله من خيار المسلمين وأعلمهم، وهو مأجور فيه على اجتهاده، لكنهم لا يعارضون قول الله وقول رسوله بشيء أصلا: لا نقل نقل عن غيره، ولا رأي رآه غيره.

ومن سواه من أهل العلم فإنما هم وسائط في التبليغ عنه: إما للفظ حديثه، وإما لمعناه. فقوم بلغوا ما سمعوا منه من قرآن وحديث، وقوم

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٦٢/٥

(١) ر، ي: وأمثالهما.." (١)

"لله، والإعطاء لله، والمنع لله. وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله، الذي أمره أمر الله، ونهيه نهي الله، ومعاداته معاداة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله.

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذي يرضى له ويغضب له أنه (١) السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء، ليعظم هو ويثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعة وطبعا، أو لغرض من الدنيا لم يكن لله، ولم يكن مجاهدا في سبيل الله. فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة هو كنظيره، معه حق وباطل، وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل، وسنة وبدعة؟ .

وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وكفر بعضهم بعضا، وفسق بعضهم بعضا. ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [سورة البينة: ٤ - ٥] .

وقال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ [سورة البقرة: ٢١٣] ، يعني:

(١) ح، ب، و، ر، أ: هو.." (٢)

"بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه [قولا وفعلا] (١) نطق بالبدعة ؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ [سورة النور: ٥٤] ". وقال بعضهم: " ما ترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه ".

وهو كما قالوا، فإنه إذا لم يكن متبعا للأمر الذي جاء به الرسول كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعا لهواه بغير هدى من الله، وهذا عيش النفس، وهو من الكبر، فإنه شعبة (٢) من قول الذين قالوا: ﴿لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤] .

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياضته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء، من

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٦٥/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٥٦/٥

غير اتباع لطريقهم (٣) ، وفيهم طوائف يظنون أنهم صاروا أفضل من الأنبياء، وأن الولي (٤) الذي يظنون هم أنه الولي أفضل من الأنبياء، وفيهم (٥) من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي في نفسه أنه خاتم ا لأولياء، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون: إن هذا

---

(١) قولا وفعلا: ساقطة من (ن) .

(٢) ن: شيعة.

(٣) ح، ب، ي، ر: لطريقتهم.

(٤) ح، الأولياء.

(٥) ن، و: ومنهم.." [١]

"أعظم محبة لفاطمة ومراعاة لها من علي لابن عباس، وابن عباس بعلي أشبه من فاطمة بأبي بكر ؛ فإن فضل أبي بكر على فاطمة أعظم من فضل علي على ابن عباس.

وليس تبرئة (١) الإنسان لفاطمة من الظن والهوى بأولى من تبرئة (٢) أبي بكر ؛ فإن أبا بكر إمام لا يتصرف لنفسه، بل للمسلمين، والمال لم يأخذه لنفسه، بل للمسلمين، وفاطمة تطلب لنفسها، وبالضرورة نعلم (٣) أن بعد الحاكم عن اتباع الهوى أعظم من بعد الخصم الطالب لنفسه ؛ فإن علم أبي بكر وغيره بمثل (٤) هذه القضية لكثرة مباشرتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - أعظم من علم فاطمة.

وإذا كان أبو بكر أولى بعلم مثل (٥) ذلك، وأولى بالعدل، فمن جعل فاطمة أعلم (٦) منه في ذلك وأعدل، كان من أجهل الناس، لا سيما وجميع المسلمين الذين لا غرض لهم هم (٧) مع أبي بكر في هذه المسألة، فجميع أئمة الفقهاء عندهم أن الأنبياء لا يورثون مالا، وكلهم يحب فاطمة ويعظم قدرها - رضي الله عنها -، لكن لا يترك ما علموه من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لقول أحد من الناس، ولم يأمرهم الله ورسوله أن يأخذوا دينهم من غير محمد - صلى الله عليه وسلم -: لا عن أقاربه، ولا عن غير أقاربه، وإنما أمرهم الله بطاعة الرسول واتباعه.

---

(١) ح، ر، ي، م: تنزيه.

(٢) ح، ر، ي، م: تنزيه.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٣٣٢

(٣) ح، ب: تعلم.

(٤) ح، ب: لمثل.

(٥) مثل: ساقطة من (ح) ، (ر) ، (ي) .

(٦) ح، ب: أعظم.

(٧) هم: ساقطة من (ح) ، (ب) ، وفي (ن) ، (م) فهم.." (١)

"وأي غرض كان لعمر في المغيرة بن شعبة؟ ! وكان عمر عند المسلمين كالميزان العادل الذي لا يميل إلى ذا الجانب ولا ذا الجانب.

[كلام الرافضي على عطايا عمر لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم]

وقوله: " وكان يعطي أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من بيت المال أكثر مما ينبغي، وكان يعطي عائشة وحفصة من المال في كل سنة عشرة آلاف درهم ".

فالجواب: أما حفصة فكان ينقصها من العطاء لكونها ابنته، كما نقص عبد الله بن عمر (١) . وهذا من كمال احتياطه في العدل، وخوفه مقام ربه، ونهيه نفسه عن **الهوى**، وهو كان يرى التفضيل في العطاء بالفضل، فيعطي أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - أعظم مما يعطي غيرهن من النساء، كما كان يعطي بني هاشم من آل أبي طالب وآل العباس أكثر مما يعطي أعدادهم من سائر القبائل، فإذا فضل شخصا كان لأجل اتصاله برسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو لسابقته واستحقاقه، وكان يقول:

---

(١) ن، م: عبد الله ابنه.." (٢)

"وأما التفاوت (١) بين سيرة عمر وسيرة من ولي بعده فأمر قد عرفته العامة والخاصة؛ فإنها أعمال ظاهرة، وسيرة بينة، يظهر لعمر فيها من حسن النية، وقصد العدل، وعدم الغرض، وقمع **الهوى** ما لا يظهر من غيره.

ولهذا قال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: " «ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك» " (٢) ، لأن الشيطان إنما يستطيل على الإنسان بهواه، وعمر قمع هواه.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٥٢٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٣٧

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " «لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر» (٣) ".

---

(١) ر، ح، ي: التفاضل.

(٢) هذا جزء من حديث طويل وسيرد في ص ٧٠ مطولا، رواه محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد رضي الله عنه في موضعين، في البخاري ١٢٦/٤ كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ١١/٥ كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب، وأوله في الموضع الأول: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه، الحديث، وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك.

(٣) أورد ابن تيمية هذا الحديث مرة أخرى في هذا الجزء بعد صفحات ص ٦٩ ونص هناك على أن هذا اللفظ في الترمذي، ولم أجد الحديث بهذا اللفظ في سنن الترمذي، ووجدت السيوطي ذكره في الجامع الكبير وقال عنه: عد؛ أي: ذكره ابن عدي في الكامل، وقال: غريب. كر (أي: ابن عساكر في تاريخه) عن عقبة بن عامر، عد عن بلال وناح وقال عد: غير محفوظ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وذكر ابن الجوزي الحديث في كتابه الموضوعات ٣٢٠/١ - ٣٢١ من طريقين ثم قال: هذان حديثان لا يصحان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سبب وضعهما، وجاء الحديث مرتين في فضائل الصحابة ٤٢٨/١ رقم ٦٧٦ وذكر المحقق في تعليقه: إسناده ضعيف لإبهام الرجل، وأشار إلى ذكر السيوطي له في اللآلئ المصنوعة ٣٠٢/١، والشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٣٣٦، وإلى تعليق المعلمي ص ٣٣٧ بما يشير إلى وضع الحديث، ثم جاء الحديث مرة أخرى رقم ٦٧٧، وقال المحقق: إنه موضوع.." (١)

"وفي المسند وغيره أن الله - تعالى -: " «ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» " (١) . وقال عبد الله بن عمر: ما سمعت عمر يقول لشيء إني لأراه كذا وكذا إلا كان كما يقول. (٢)

فالنصوص والإجماع والاعتبار يدل على أن رأي عمر أولى بالصواب من رأي عثمان وعلي وطلحة والزبير، وغيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم، ولهذا كانت آثار رأيه محمودة، فيها صلاح (٣) الدين والدنيا، فهو الذي فتح بلاد فارس والروم، وأعز الله به الإسلام، وأذل به الكفر والنفاق، وهو الذي وضع الديوان، وفرض العطاء، وألزم أهل الذمة بالصغار والغيار، وقمع الفجار، وقوم العمال، وكان الإسلام في زمنه أعز ما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٥/٦

كان.

وما يتمارى في كمال سيرة عمر وعلمه وعدله وفضله من له أدنى مسكة من عقل وإنصاف، ولا يطعن على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - إلا أحد رجلين: إما رجل منافق زنديق ملحد عدو للإسلام، يتوصل بالطعن فيهما إلى الطعن في الرسول ﷺ ودين الإسلام، وهذا حال المعلم الأول للرافضة، أول من ابتدع الرفض، وحال أئمة الباطنية، وإما جاهل مفرط في الجهل **والهوى**، وهو الغالب على عامة الشيعة، إذا كانوا مسلمين في الباطن.

وإذا قال الرافضي: علي كان معصوما لا يقول برأيه، بل كل ما قاله فهو مثل نص الرسول، وهو الإمام المعصوم المنصوص على إمامته من جهة الرسول.

---

(١) مضى هذا الحديث من قبل في مواضع كثيرة.

(٢) الأثر في البخاري: ٤٨/٥ كتاب فضائل أصحاب النبي. . .، باب إسلام عمر.

(٣) ر: صالح.." (١)

"سوى الرسول فإنه (١) يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فإنه المعصوم الذي (٢) لا ينطق عن **الهوى**، إن هو إلا وحي يوحى، وهو الذي يسأل الناس عنه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ [سورة الأعراف: ٦] .

وهو الذي يمتحن به الناس (٣) في قبورهم، فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ويقال: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: هو عبد الله ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه. ولو ذكر بدل الرسول من ذكره من الصحابة والأئمة (٤) والتابعين والعلماء لم ينفعه ذلك، ولا يمتحن في قبره بشخص غير الرسول.

والمقصود هنا أن ما يعتذر به عن علي فيما أنكر عليه يعتذر بأقوى (٥) منه عن عثمان، فإن عليا قاتل على الولاية، وقتل بسبب ذلك خلق كثير [عظيم] (٦) ، ولم يحصل في ولايته لا قتال للكفار، ولا فتح لبلادهم، ولا كان المسلمون في زيادة خير، وقد ولى من أقاربه من ولاه، فولاية الأقارب مشتركة، ونواب عثمان كانوا أطوع من نواب علي وأبعد عن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١١٥/٦

(١) فإنه: ساقط من (ر) .

(٢) ب: الذين، وهو خطأ مطبعي.

(٣) ن، م: الناس به.

(٤) م، ح، ر: من الأئمة والصحابة.

(٥) بأقوى: ساقطة من (ح) ، (ر) .

(٦) عظيم: ساقطة من (ن) ، (م) وسقطت "كثيرة " من (ر) .." [1]

"لكن شيعته أقل غلوا فيه من شيعة علي، فما بلغنا أن أحدا منهم اعتقد فيه بخصوصه إلاهية ولا نبوة، ولا بلغنا أن أحدا اعتقد ذلك في أبي بكر وعمر.

لكن قد يكون بعض من يغلو في جنس المشايخ، ويعتقد فيهم الحلول أو الاتحاد أو العصمة (١) ، يقول ذلك في هؤلاء، لكن لا يخصهم بذلك.

ولكن شيعة عثمان، الذين كان فيهم انحراف عن علي، كان كثير منهم يعتقد أن الله إذا استخلف خليفة يقبل (٢) منه الحسنات ويتجاوز له عن السيئات، وأنه يجب طاعته في كل ما يأمر به. وهو مذهب كثير من شيوخ الشيعة العثمانية وعلمائها.

ولهذا لما حج سليمان بن عبد الملك، وتكلم مع أبي حازم في ذلك، قال له أبو حازم: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع **الهوى** فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [سورة ص: ٢٦] . وموعظة أبي حازم لسليمان معروفة (٣) .

(١) ب: الحلول والاتحاد والعصمة، ح، ر: الحلول والاتحاد أو العصمة.

(٢) ح، ر: تقبل.

(٣) أبو حازم هو سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم الأعرج، عالم المدينة وقاضيها، كان عابدا زاهدا، توفي سنة ١٤٠، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ - ١٤٤ تذكرة الحفاظ ١٣٣/١ - ١٣٤،

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩١/٦

الأعلام ٣/١٧١ - ١٧٢ وانظر موعظته لسليمان بن عبد الملك في حلية الأولياء ٣/٢٣٤ - ٢٣٧ صفة الصفوة ٢/٨٩ - ٩٠." (١)

"المسلمين، من الصحابة والتابعين [لهم بإحسان] (١) وأئمة المسلمين.

والنزاع في ذلك مع الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: ما ثم إلا مثاب في الآخرة أو معاقب، ومن دخل النار لم يخرج منها: لا بشفاعة ولا غيرها، ويقولون: إن الكبيرة تحبط جميع الحسنات، ولا يبقى مع صاحبها من الإيمان شيء.

وقد ثبت بالنصوص المستفيضة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إخراج قوم (٢) من النار بعد ما امتحشوا. وثبت أيضا شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل الكبائر من أمته. والآثار بذلك متواترة عند أهل العلم بالحديث، أعظم من تواتر الآثار بنصاب (٣) السرقة، ورجم الزاني المحصن، ونصب الزكاة، ووجوب الشفعة، وميراث الجدة، وأمثال ذلك.

لكن (٤) هذا الأصل لا يحتاج إليه في مثل (٥) عثمان وأمثاله ممن شهد له بالجنة، وأن الله رضي عنه، وأنه لا يعاقبه في الآخرة، بل نشهد أن العشرة في الجنة، وأن أهل بيعة الرضوان في الجنة، وأن أهل بدر في الجنة، كما ثبت الخبر بذلك (٦) عن الصادق المصدوق، [الذي لا ينطق عن **الهوى**، إن هو إلا وحي يوحى] (٧) . وقد دخل في الفتنة خلق من

---

(١) لهم بإحسان: ساقطة من (ن) (م) .

(٢) ح، ب: أقوام.

(٣) ن: بتواتر.

(٤) ح، ب: ولكن.

(٥) مثل: ليست في (ح) ، (ب) .

(٦) ن، م: في ذلك.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ن) ، (م) ، وسقطت عبارة " إن هو إلا وحي يوحى " من (ر) .." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/١٩٩

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٢٠٤

"وإذا كان هذا مما يقع معصية لله ورسوله، فما يفعله ولي الأمر من إقامة حد وتعزير يكون تكفير الخطايا به أولى.

وكانوا في زمن عمر إذا شرب أحدهم الخمر جاء بنفسه إلى الأمير وقال: " طهرني ".

وقد جاء ماعز بن مالك والغامدية إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وطلبا منه التطهير.

وإذا كان كذلك، فكون الرجل وليا لله لا يمنع أن يحتاج إلى ما يكفر الله به سيئاته، من تأديب ولي الأمر الذي أمره الله عليه، وغير ذلك.

وإذا قيل: هم مجتهدون معذورون فيما أدبهم عليه عثمان، فعثمان أولى أن يقال فيه: كان مجتهدا معذورا فيما أدبهم عليه، فإنه إمام مأمور بتقويم رعيته. وكان عثمان أبعد عن الهوى، وأولى بالعلم والعدل فيما أدبهم عليه - رضي الله عنهم أجمعين -.

ولو قدح رجل في علي بن أبي طالب بأنه قاتل معاوية وأصحابه [وقاتل] طلحة (١) والزبير.

لقيل له: علي بن أبي طالب أفضل وأولى بالعلم والعدل من الذين قاتلوه، فلا يجوز أن يجعل الذين قاتلوه هم العادلين (٢) وهو ظالم لهم.

كذلك عثمان فيمن أقام عليه حدا أو تعزيرا هو أولى بالعلم والعدل منهم. وإذا وجب الذب عن علي لمن يريد أن يتكلم فيه بمثل ذلك، فالذب عن عثمان لمن يريد أن يتكلم فيه بمثل ذلك أولى.

---

(١) ن، م: وطلحة.

(٢) ح: هم العادلون.." (١)

"ونحن وإن كنا قد بينا كذب كثير مما ينقله هذا الرافضي، فمعلوم أن كثيرا ممن (١) ينقل ذلك لم يتعمد الكذب، لا هذا ولا نحوه، لكن وقع إما تعمدا للكذب (٢) من بعضهم، وإما غلطا (٣) وسوء حفظ، ثم قبله الباقون لعدم علمهم ولهواهم، فإن الهوى يعمي ويصم وصاحب الهوى يقبل ما وافق هواه بلا حجة توجب صدقه ويرد ما خالف هواه بلا حجة توجب رده.

وليس في الطوائف أكثر تكذيبا بالصدق وتصديقا بالكذب من الرافضة، فإن رءوس مذهبهم وأئمته الذين ابتدعوه وأسسوه كانوا منافقين زنادقة، كما ذكر ذلك عن غير واحد من أهل العلم.

وهذا ظاهر لمن تأمله، بخلاف قول الخوارج، فإنه كان عن جهل بتأول القرآن، وغلو في تعظيم الذنوب.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٢٦٤

وكذلك قول الوعيدية والقدرية، كان عن تعظيم الذنوب. وكذلك قول المرجئة، كان أصل مقصودهم نفي التكفير عمن صدق الرسل. ولهذا رؤوس المذاهب التي ابتدعوها لم يقل أحد أنهم زنادقة منافقون، بخلاف الرافضة، فإن رءوسهم كانوا كذلك، مع أن كثيرا منهم ليسوا منافقين ولا كفارا، بل بعضهم له إيمان وعمل صالح، ومنهم من هو مخطئ يغفر له خطاياه، ومنهم من هو صاحب ذنب يرجى له مغفرة الله، لكن الجهل بمعنى القرآن والحديث

---

(١) ن، م: مما.

(٢) ن، م: لكذب.

(٣) ن، م: علط.." (١)

"فهذا مجموع ما يورث الشبه في ذلك إذا خلت النفوس عن الهوى وقل أن يخلو أكثر الناس عن الهوى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [سورة النجم: ٢٣] .

والمقصود أن جواز تولية المفضول لأسباب مانعة من تولية الفاضل هو قول ذهب إليه طوائف من السنة والشيعة. ومع هذا فلم يكن الذين مع معاوية يقولون: إنه الإمام والخليفة، وإن على علي وأصحابه مبايعته وطاعته، وإن كان علي أفضل، لأن توليته أصلح.

فهذا لم يكونوا يقولونه، ولا يقاتلون عليه، وهذا مما هو معلوم لعموم أهل العلم، ولا بدأوا عليا وأصحابه بقتال أصلا.

ولأن الخوارج بدأوه بذلك، فإنهم قتلوا عبد الله بن خباب لما اجتاز بهم، فسألوه أن يحدثهم عن أبيه خباب بن الأرت، فحدثهم حديثا في ترك الفتن، وكان قصده - رحمه الله - رجوعهم عن الفتنة، فقتلوه، وبقي دمه مثل الشراك في الدماء. فأرسل إليهم علي يقول: سلموا إلينا قاتل عبد الله بن خباب. فقالوا: كلنا قتله. ثم أغاروا على سرح الناس، وهي الماشية التي أرسلوها تسرح مع الرعاء. فلما رأى علي أنهم استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، ذكر النصوص التي سمعها من النبي - صلى الله عليه وسلم - في صفتهم وفي الأمر بقتالهم، ورأى تلك الصفة منطبقة عليهم، فقاتلهم، ونصره الله عليهم، وفرح بذلك، وسجد لله شكرا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٠٢/٦

لما جاءه خبر المخدج أنه معهم، فإنه هو كان العلامة التي أخبر بها النبي – صلى الله عليه وسلم – واتفق الصحابة على قتالهم فقتاله للخوارج كان بنص من الرسول وبإجماع الصحابة.." (١)

"وإنما يعظم القول في مثل هذه الأمور أهل الجهل **والهوى**، الذين لهم غرض في فتح باب الشر على الصحابة بالكذب والبهتان.

وقد تولى علي بعد ذلك، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعطها لأولاد فاطمة، ولا [أخذ] (١) من زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولا ولد العباس شيئا من ميراثه.

فلو كان ذلك ظلما وقدر على إزالته، لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه. أفتراه يقاتل معاوية، مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم، ولا يعطي هؤلاء قليلا من المال وأمره أهون بكثير؟ .

[قال الرافضي الخلاف السادس في قتال مانعي الزكاة]

[وأما قوله] (٢) : " الخلاف (٣) السادس: في قتال مانعي الزكاة، قاتلهم (٤) أبو بكر واجتهد عمر في أيام خلافته، فرد السبايا والأموال إليهم، وأطلق المحبوسين ".

فهذا من الكذب الذي لا يخفى على من عرف أحوال المسلمين ؛ فإن مانعي الزكاة اتفق أبو بكر وعمر على قتالهم، بعد أن راجعه عمر في ذلك.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر يا خليفة رسول الله كيف تقاتل الناس وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:

---

(١) أخذ: ساقطة من جميع النسخ، وإثباتها يقتضيه سياق الكلام.

(٢) وأما قوله: ساقطة من (ن) ، وفي (م) : وقوله. والمقصود ابن المطهر الرافضي في (ك) (ص ١٤٣ (م) .

(٣) الخلاف: ليست في (ك) .

(٤) ك: فقاتلهم.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣٢/٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٤٧/٦

"الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى﴾ [سورة يونس: ٣٥] .

فافتتح الآيات بقوله: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت﴾ [سورة يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ [سورة يونس: ٣٥] .

وأيضا فكثير من الناس يقول: ولاية الأفضل واجبة، إذا لم تكن [في] ولاية (١) المفضول مصلحة راجحة، ولم يكن في ولاية الأفضل مفسدة.

وهذه البحوث يبحثها من يرى عليا أفضل من أبي بكر [وعمر] (٢) ، كالزيدية وبعض المعتزلة، أو من يتوقف في ذلك، كطائفة من المعتزلة.

وأما أهل السنة فلا يحتاجون إلى منع هذه المقدمة، بل الصديق عندهم أفضل الأمة. لكن المقصود أن نبين أن الرافضة، وإن قالوا حقا، فلا يقدرون أن يدلوا عليه بدليل صحيح، لأنهم سدوا على أنفسهم كثيرا من طرق العلم، فصاروا عاجزين عن بيان الحق، حتى أنه [لا] (٣) يمكنهم تقرير إيمان علي على الخوارج، ولا تقرير إمامته على المروانية.

ومن قاتله فإن ما يستدل به على ذلك قد أطلق (٤) جنسه على أنفسهم؛ لأنهم لا يدرون ما يلزم أقوالهم الباطلة (٥) من التناقض والفساد، لقوة جهلهم، واتباعهم الهوى (٦) بغير علم (٧) .

---

(١) ن: إذا لم يكن ولاية.

(٢) وعمر: ساقطة من (ن) ، (ب) .

(٣) لا: ساقطة من (ن) .

(٤) ن، ب: قد أبطلوا.

(٥) ن، م: الباطنة.

(٦) ب: واتباعهم الفساد والهوى.

(٧) ب: بغير علم، والله أعلم.." (١)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٦/٦

"ضل محمد وغوى، وهوى أهل بيته (١) ، ومال إلى ابن عمه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فعند ذلك نزلت هذه السورة: ﴿والنجم إذا هوى – ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ (٢) [سورة النجم: ١ – ٢] . قال:» أبو الفرج (٣) : " هذا حديث موضوع لا شك فيه، وما أبرد الذي وضعه، وما أبعد ما ذكر، وفي إسناده ظلمات منها أبو صالح وكذلك (٤) الكلبي ومحمد بن مروان السدي، والمتهم به الكلبي. قال أبو حاتم بن حبان (٥) : كان الكلبي من الذين يقولون: إن عليا لم يمت، وإنه يرجع إلى الدنيا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها. لا يحل الاحتجاج به. قال: والعجب (٦) من تغفيل (٧) من وضع هذا الحديث، كيف رتب ما لا يصح (٨) في المعقول (٩) من أن النجم يقع في دار ويثبت إلى أن يرى (١٠) ، ومن بلهه أنه وضع هذا الحديث على ابن عباس، وكان ابن عباس زمن (١١) المعراج ابن سنتين، فكيف يشهد تلك الحالة (١٢) ويرويه؟ ".

---

(١) الموضوعات: وهوى إلى أهل بيته.

(٢) الموضوعات: وما ينطق عن **الهوى** إن هو إلا وحي يوحى.

(٣) بعد كلامه السابق مباشرة.

(٤) الموضوعات ٣٧٣/١: منها أبو صالح باذام وهو كذاب وكذلك.

(٥) ن، س: بن حيان

(٦) الموضوعات: قال المصنف: قلت: والعجب.

(٧) من تغفيل: كذا في الموضوعات، وفي (ب) : من تعقل، وفي (ن) ، (م) ، (س) من يعتقد.

(٨) ن، س، ب: ما لا يصلح.

(٩) الموضوعات: العقول.

(١٠)) الموضوعات: ويثبت حتى يرى.

(١١) ١١) الموضوعات في زمن.

(١٢) ١٢) ن، م: الحال.." (١)

"والله قد ذم الكاذب والمكذب بالحق ؛ لقوله في غير آية: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه﴾ [سورة العنكبوت: ٦٨] وقال: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٤/٧

بآياته﴾ [سورة الأنعام: ٢١] .

ولهذا لما كان مما وصف الله به الأنبياء، الذين هم أحق الناس بهذه الصفة، أن كلا منهم يجيء بالصدق فلا يكذب، فكل منهم صادق في نفسه مصدق لغيره.

ولما كان قوله: (والذي) صنفا من الأصناف لا يقصد (١) به واحد بعينه، أعاد الضمير بصيغة الجمع فقال: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [سورة الزمر: ٣٣] .

وأنت تجد كثيرا من المنتسبين إلى علم ودين لا يكذبون فيما يقولونه (٢) ، بل لا يقولون إلا الصدق، لكن لا يقبلون ما يخبر به غيرهم من الصدق، بل يحملهم الهوى والجهل على تكذيب غيرهم وإن كان صادقا إما تكذيب نظيره وإما تكذيب (٣) من ليس من طائفته.

ونفس تكذيب الصادق هو من الكذب، ولهذا قرنه بالكاذب (٤) على الله، فقال: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه﴾ [سورة الزمر: ٣٢] فكلاهما كاذب: [هذا كاذب] (٥) فيما يخبر به عن الله، وهذا كاذب فيما يخبر به عن المخبر عن الله.

---

(١) س، ب: لا يصدق به، وهو خطأ.

(٢) ب: فيما يقولون.

(٣) م: إما بكذب نظيره، وإما بكذب.

(٤) م: بالكذب.

(٥) عبارة " وهذا كاذب " في (ب) فقط.." (١)

"وكذلك الكلام في تفضيل الصحابة يتقى فيه نقص أحد عن رتبته أو الغض من (١) درجته، أو دخول الهوى والفرية في ذلك، كما فعلت الرافضة والنواصب الذين يبخسون بعض الصحابة حقوقهم.

الخامس: أن قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ [سورة التحريم: ٨] وقوله: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ [سورة الحديد: ١٢] نص عام في المؤمنين الذين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وسياق الكلام يدل على عمومه، والآثار المروية في ذلك تدل على عمومه.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٢/٧

قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يعطى نورا يوم القيامة ؛ فأما المنافق فيطفأ [نوره] يوم القيامة (٢) ، والمؤمن يشفق مما يرى (٣) من إطفاء نور المنافق (٤) ، فهو يقول: ربنا أتمم لنا نورنا (٥) ، فإن العموم (٦) في ذلك

---

(١) ن: أو النقص من، س، ب: أو النقص عن.

(٢) ن: فيطفئ يوم القيامة، فيطفئ، س: فيعطى يوم القيامة، ب: فيطفأ نوره، ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) ن، م: رأى.

(٤) ن، م: المنافقين.

(٥) ذكر هذا الأثر بمعناه ابن كثير في تفسير آية: ١٢ من سورة الحديد ونسبه إلى الضحاك.

(٦) ن، س، ب: فالعموم.." (١)

"* قالوا: وهؤلاء هم الذين (١) حكموا في دماء المسلمين وأموالهم بغير ما أنزل الله.

واحتجوا بقوله: " «لا ترجعوا بعدي كفارا * (٢) يضرب بعضكم رقاب بعض» " (٣) . قالوا: والذين (٤) ضرب بعضهم رقاب بعض رجعوا بعده كفارا.

فهذا وأمثاله من حجج الخوارج، وهو وإن كان باطلا بلا ريب فحجج الرافضة أبطل منه، والخوارج أعقل وأصدق وأتبع للحق من الرافضة ؛ فإنهم صادقون لا يكذبون، أهل دين ظاهرا وباطنا، لكنهم ضالون جاهلون مارقون، مرقوا من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، وأما الرافضة فالجهل والهوى والكذب غالب عليهم، وكثير من أئمتهم وعامتهم زنادقة ملاحدة، ليس لهم غرض في العلم ولا في الدين، بل: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [سورة النجم: ٣٣] .

---

(١) س، ب: وهم الذين.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٥٠٠.

(٤) م: والذي، وهو تحريف.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٥٧/٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٦٠/٧

"من الأحاديث المفردة أكثر مما يروى (١) عن بعض الخلفاء، فالخلفاء لهم عموم التبليغ وقوته التي لم يشركهم فيها غيرهم، ثم لما قاموا بتبليغ ذلك شاركهم فيه غيرهم، فصار متواترا كجمع أبي بكر وعمر القرآن في الصحف (٢) ، ثم جمع عثمان له في المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار، فكان الاهتمام بجمع القرآن، وتبليغه أهم مما سواه.

وكذلك تبليغ شرائع الإسلام إلى أهل الأمصار، ومقاتلتهم (٣) على ذلك، واستنابتهم (٤) في ذلك الأمراء والعلماء، وتصديقهم لهم فيما بلغوه عن الرسول، فبلغ من أقاموه من أهل العلم حتى صار الدين منقولا نقلا عاما متواترا ظاهرا معلوما قامت به الحجة، ووضحت به المحجة، وتبين به أن هؤلاء كانوا خلفاءه المهديين الراشدين، الذين خلفوه في أمته علما وعملا.

وهو صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى في حقه: ﴿والنجم إذا هوى - ما ضل صاحبكم وما غوى - وما ينطق عن **الهوى** - إن هو إلا وحي يوحى﴾ (سورة النجم: ١ - ٤) فهو ما ضل وما غوى، وكذلك خلفاؤه الراشدون، الذين قال فيهم: " «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ» " (٥) فإنهم خلفوه في ذلك، فانتفى عنهم بالهدى الضلال، وبالرشد الغي.

(١) م: روي

(٢) ن، م: في المصحف

(٣) س، ب: ومقابلتهم ؛ م: ومقاتلة (غير منقوطة)

(٤) م: واستبانتهم

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/١٦٤، ٥/٥٢٥." (١)

"وهذا هو الكمال في العلم والعمل، فإن الضلال عدم العلم، والغي اتباع **الهوى**، ولهذا أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا: ﴿اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (سورة الفاتحة: ٦، ٧) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون» " (١) فالمهتدي الراشد الذي هداه الله الصراط المستقيم فلم يكن من أهل الضلال الجهال، ولا من أهل الغي المغضوب عليهم.

والمقصود هنا أن بعض الصحابة أعلم بالرسول من بعض، وبعضهم أكثر تبليغا لما علمه من بعض، ثم قد

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٤٢٤

يكون عند المفضول علم قضية معينة لم يعلمها الأفضل فيستفيدها منه، ولا يوجب ذلك أن يكون هذا أعلم منه مطلقا، ولا أن هذا الأعلم يتعلم من ذلك المفضول ما امتاز به.

ولهذا كان الخلفاء يستفيدون من بعض الصحابة علما لم يكن عندهم، كما استفاد أبو بكر رضي الله عنه علم ميراث الجدة (٢) من محمد بن مسلمة (٣) ، والمغيرة بن شعبة (٤) واستفاد عمر رضي الله عنه علم دية

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/١١ \ ١٢

(٢) ب: الجد

(٣) س، م: ب: سلمة، وهو تحريف

(٤) الحديث في: سنن ابن ماجه ٢/٩٠٩ ٩١٠ (كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة) وأوله: عن ابن ذؤيب ؛ قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها. فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فارجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس. فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقال: محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة. فأنفذه لها أبو بكر. . . الحديث،." (١)

"لكن صاحب **الهوى** الذي له غرض في جهة، إذا وجه له المخالف لهواه ثقل عليه سمعه واتباعه. قال تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾ (سورة " المؤمنون ": ٧١)
.

وهنا طريق آخر، وهو أن يقال: دواعي المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم كانت متوجهة إلى اتباع الحق، وليس لهم ما يصرفهم عنه، وهم قادرون على ذلك، فإذا (١) حصل الداعي إلى الحق، وانتفى الصارف مع القدرة، وجب الفعل.

فعلم أن المسلمين اتبعوا فيما فعلوه الحق، وذلك أنهم (٢) خير الأمم، وقد أكمل الله لهم الدين، وأتم عليهم النعمة، ولم يكن عند الصديق غرض دنيوي يقدمونه لأجله، ولا عند علي غرض دنيوي يؤخرونه لأجله، بل لو فعلوا بموجب الطبع لقدموا عليا، وكانت الأنصار لو اتبعت **الهوى** أن تتبع رجلا من بني

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٤٢٥

هاشم أحب إليها من أن تتبع رجلا من بني تيم، وكذلك عامة قبائل قريش لا سيما بنو عبد مناف، وبنو مخزوم، فإن طاعتهم لمنافي كانت أحب إليهم من طاعة تيمي لو اتبعوا **الهوى**، وكان أبو سفيان بن حرب وأمثاله يختارون تقديم علي.

وقد روي أن أبا سفيان طلب من علي أن يتولى لأجل القرابة التي بينهما، وقد قال أبو قحافة، لما قيل له: إن ابنك تولى، قال: " أورضيت بذلك بنو عبد مناف، وبنو مخزوم؟ " قالوا: نعم، فعجب من ذلك، لعلمه

---

(١) ن، ب، ب: وإذا

(٢) ن، م، س: أنه، وهو خطأ." (١)

"يخفى على أحد له أقل علم بالأخبار، فقد كان لأبي بكر رضي الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله (١) ، من المهاجرين الأولين، والسابقين من ذوي الفضائل العظيمة في كل باب من أبواب الفضائل في الإسلام، ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر، وله مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبة قديمة، وهجرة سابقة، وفضل ظاهر، فما استعمل أبو بكر أحدا منهم على شيء من الجهات، وهي بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة أعمالها، وعمان، وحضرموت، والبحرين، واليمامة، والطائف، ومكة، وخيبر، وسائر أعمال الحجاز، ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلا، ولكن خشي المحاباة، وتوقع أن يميله إليهم شيء من **الهوى**.

ثم جرى عمر رضي الله عنه على مجراه في ذلك، لم يستعمل من بني عدي بن كعب أحدا على سعة البلاد وكبرها (٢) ، وقد فتح الشام (٣) ، ومصر، وجميع مملكة الفرس (٤) إلى خراسان، إلا النعمان بن عدي وحده على ميسان، ثم أسرع عزله.

وفيهم من الهجرة ما ليس في شيء من أفخاذ قريش ؛ لأن بني عدي لم يبق منهم أحد بمكة إلا هاجر، وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الأولين ذي السوابق، وأبي الجهم بن حذيفة، وخارجة بن حذافة، ومعمر بن عبد الله، (وابنه) عبد الله بن عمر (٥) .

---

(١) ن، م، س، ب: طلحة بن عبد الله، والتصويب من " الفصل " ٤/ ٢١٧

(٢) م: وكثرها ؛ الفصل: وكثرتها

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/ ٤٥٧

(٣) م: وقد فتح الله الشام

(٤) س، ب: فرس

(٥) ن، م، س: ومعمر بن عبد الله بن عمر ؛ ب: ومعمر بن عبد الله وعبد الله بن عمر. والمثبت من " الفصل " ٤/٢١٧." (١)

"وأما حمله إلى عند يزيد (١) . فباطل. وإسناده منقطع (٢) . .

وعمه يزيد الرجل الصالح هو من الصحابة، توفي في خلافة عمر، فلما مات ولى معاوية مكان أخيه. وعمر من أعلم الناس بأحوال الرجال، وأحذقهم في السياسة، وأبعد الناس عن **الهوى**، لم يول في خلافته أحدا من أقاربه، وإنما كان يختار للولاية من يراه أصلح لها ؛ فلم يول معاوية إلا وهو عنده ممن يصلح للإمارة.

ثم لما توفي (٣) زاد عثمان في ولاية معاوية، حتى جمع له الشام. وكانت الشام في خلافة عمر أربعة أرباع: فلسطين، ودمشق، وحمص، والأردن. ثم بعد ذلك فصلت قنسرين والعواصم من ربع حمص، ثم بعد هذا عمرت حلب وخربت قنسرين، وصارت العواصم دولا بين المسلمين وأهل الكتاب.

وأقام معاوية نائبا عن عمر وعثمان عشرين سنة، ثم تولى عشرين سنة، ورعيته شاكرون لسيرته وإحسانه، راضون به، حتى أطاعوه في مثل قتال علي.

ومعلوم أنه خير من أبيه أبي سفيان، وكانت ولايته أحق بالجواز من ولاية أبيه، فلا يقال: إنه لم تكن تحل ولايته. ولو قدر أن غيره كان

---

(١) م: إلى يزيد

(٢) قال ابن كثير في " البداية والنهاية " ٨/١٩٢: " وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى يزيد أم لا، على قولين، والأظهر منهما أنه سيره إليه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة، فالله أعلم ." وانظر " البداية والنهاية " ٨/١٩١ - ١٩٨

(٣) ن، م: ثم لما تولى عثمان. وفي (م) شطب على كلمة " عثمان ".." (٢)

"تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، به يعرف الله ويعبدونه، ويمجد الله ويوحد . (١)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٤٨٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/١٤٢

ولهذا تجد أهل الانتفاع به يزكون به نفوسهم، ويقصدون فيه اتباع الحق لا اتباع **الهوى** ويسلكون فيه سبيل العدل والإنصاف، ويحبونه ويلتذون به، ويحبون كثرته وكثرة أهله، وتنبعث هممهم على العمل به وبموجبه ومقتضاه (٢) ، بخلاف من لم يذق حلاوته وليس مقصوده إلا مالا أو رياسة، فإن ذلك لو حصل له بطريق آخر سلكه، وربما رجحه إذا كان أسهل عليه.

ومن عرف هذا تبين له أن المقاصد التي يحبها الله ويرضاها التي حصلت لأبي بكر، أكمل مما حصل لعمر، والتي حصلت لعمر أكمل مما حصل لعثمان، والتي حصلت لعثمان أكمل مما حصل لعلي، وأن الصحابة كانوا أعلم الخلق بالحق، وأتبعهم له، وأحقهم بالعدل، وإيتاء كل ذي حق حقه، وأنه لم يقدح فيهم إلا مفرط في الجهل بالحقائق التي بها (٣) يستحق المدح والتفضيل، وبما آتاهم الله من الهدى إلى سواء السبيل.

ولهذا من لم يسلك في عبادته الطريق الشرعية التي أمر الله بها

---

(١) عبارة " ويمجد الله ويوحد " ساقطة من (س) ، (ب) ولعل الصواب: به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد. وأورد ابن عبد البر هذا الأثر مرفوعا وموقوفا على معاذ - رضي الله عنه - في كتابه " جامع بيان العلم " ١/٥٤ - ٥٥ ورجح وقفه، وليس فيه عبارة: " به يعرف الله. . . إلخ ".

(٢) س، ب: وبمقتضاه.

(٣) بها: ساقطة من (س) ، (ب) .." (١)

"فقال (١) : أخرجوني فخرج بين علي والعباس فنحاه (٢) عن القبلة وعزله عن الصلاة (٣) وتولى هو الصلاة (٤) ".

قال الرافضي: " فهذه حال (٥) أدلة القوم (٦) ، فلينظر العاقل بعين الإنصاف وليقصد اتباع الحق (٧) دون اتباع **الهوى**، ويترك تقليد الآباء والأجداد؛ فقد نهى الله تعالى [في كتابه] (٨) عن ذلك ولا تلهيه الدنيا عن إيصال الحق [إلى] (٩) مستحقه، ولا

---

(١) فقال - صلى الله عليه وسلم -. .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢١٠

(٢) ك: والعباس، وذهب إلى المسجد فرأى أبا بكر في المحراب فنحاه.

(٣) عن الصلاة: ساقطة من (ك)

(٤) م: هو – صلى الله عليه وسلم – الصلاة بنفسه.

(٥) اختصر ابن تيمية سطورا عديدة من (ك) في هذا الموضع هي: " الصلاة؟ وصلى بالناس خفيفا وصعد المنبر وخطب مختصرا لأنه غلب عليه المرض، وبعد ذلك طلب الاستحلال من الصحابة في القول والفعل، وودعهم ونصحهم، واستوصى لعلي والحسن والحسين عليهم السلام، وأودعهم إليه، ونزل من المنبر، ونام على فراش الموت، ودعا عليا عليه السلام، ووصى له من كل نوع، وزقه من العلوم، وأوصى بالصبر بعده على ما فعل القوم عليه، وذكر أحوال الشيوخ ومخالفتهم، وقال: انظر حتى لم يكن بالسيف بينهم الله على إهراق دمائهم بقدر المحجة، لأن ذلك زيادة فساد بينهم، ولا يزيد المقاتلة معهم إلا زيادة الخصومة، وانحطاط الدين والإسلام، فكن له ولأولاده وأصحابه حصنا وحماية من الفتن؛ وما وقع منهم، ولا تكن لإصلاح المسلمين والأيتام والأرامل وأداء الفرائض والنوافل – فهذا حال. . . ".

(٦) ك (ص ٢٠٢ م) : أدلة هؤلاء.

(٧) ك: الإنصاف ما فعلوا بعده، وما هتكوا أستار الدين، ويقصد طلب الحق، م: الإنصاف وليفضل اتباع الحق.

(٨) في كتابه: ساقطة من (ن) ، (س) ، (ب)

(٩) إلى: ساقطة من (ن) ، (س) ، (ب) .." (١)

"أمره؛ وهذا يأمره ليمحو اسمه فلا يمحوه، وهذا يقول: لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرددته، وهو يأمر الناس بالحلق والنحر فيتوقفون.

ولا ريب أن الذي حملهم على ذلك حب الله ورسوله، وبغض الكفار ومحبتهم أن يظهر الإيمان على الكفر، وأن لا يكون قد دخل على أهل الإيمان غضاضة وضيم من أهل الكفر. ورأوا أن قتالهم لئلا يضاموا هذا الضيم أحب إليهم من هذه المصالحة التي فيها من الضيم ما فيها.

لكن معلوم وجوب تقديم النص على الرأي، والشرع على **الهوى**؛ فالأصل الذي افترق فيه المؤمنون بالرسل والمخالفون لهم: تقديم نصوصهم على الآراء وشرعهم على الأهواء، وأصل الشر من تقديم الرأي على النص **والهوى** * على الشرع؛ فمن نور الله قلبه فرأى ما في النص والشرع (١) من الصلاح والخير، وإلا فعليه *

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٣٧٠

(٢) الانقياد لنص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشرعه (٣) وليس له معارضته برأيه وهواه.
كما قال – صلى الله عليه وسلم –: " إني رسول الله (٤) ولست أعصيه، وهو ناصري " (٥) فبين أنه رسول الله، يفعل ما أمره به مرسله، لا يفعل من تلقاء

---

(١) ن، س: وشرع، وهو تحريف.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٣) وشرعه: ساقط من (س) ، (ب)

(٤) م: لرسول الله

(٥) جاءت هذه العبارة ضمن الحديث الذي سبق ذكر نصه قبل صفحات (٥١٩ – ٥٢٠)." [١]

"يهفو إلى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البان بل من دارة البان

وهذا اللفظ يستعمل في حركة الشيء الخفيف بسرعة، كما يقال: هفا الطائر بجناحه، أي: خفق وطار، وهفا الشيء في الهواء، إذا ذهب كالصوفة ونحوها، ومر الظبي يهفو، أي: يطفو، ومنه قيل للزلة: هفوة، كما سميت زلة، والزلة حركة خفيفة، وكذلك الهفوة. وكذلك يسمى المحب المشتاق الذي صار حبه أقوى من العلاقة [صبا] وحاله صبابة، وهو رقة الشوق وحرارته، والصب المحب المشتاق؛ وذلك لانصباب قلبه إلى المحبوب كما ينصب الماء الجاري، والماء ينصب من الجبل، أي: ينحدر. فلما كان في انحداره يتحرك حركة لا يرده شيء سميت حركة الصب [صبابة] ، وهذا يستعمل في المحبة المحمودة والمذمومة. ومنه الحديث: إن أبا عبيدة ـ رضي الله عنه ـ لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية بكى صبابة وشوقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. والصبابة والصب متفقان في الاشتقاق الأكبر. والعرب تعاقب بين الحرف المعتل والحرف المضعف كما يقولون: تقضى البازي وتقضض، وصبا يصبو: معناه: مال، وسمي الصبي صبيا؛ لسرعة ميله. قال الجوهري: والصبي ـ أيضا ـ من الشوق، يقال منه: تصابي، وصبا يصبو صبوة وصبوا، أي: مال إلى الجهل والفتوة، وأصبته الجارية. وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرأ: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين﴾ بلا همزة في قراءة نافع، فإنه لا يهمز ﴿الصابئين﴾ في جميع القرآن. وبعضهم قد حمده الله ـ تعالى ـ وكذلك يقال: حن إليه حنينا، ومنه: حنه في الاشتقاق الأكبر يحنو عليه حنوا. قال الجوهري: حنوت عليه عطفت عليه، ويحني عليه، أي: يعطف، مثل تحنن،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤١١

كما قال الشاعر:

تحنى عليك النفس من لاعج الهوى ... فكيف تحنيها وأنت تهينها؟

وقال: الحنين: الشوق وتوقان النفس، ويقال: حن إليه يحن حنينا، فهو حان." (١)

"وأما قول من يقول هو على سبيل المبالغة والتغليظ فلعمري أي مبالغة أو تغليظ لكن على الوجه المحدود من غير مجازفة ولا مجاوزة ومن اعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدح عملا على سبيل الترغيب أو يذمه على سبيل الترهيب بمجاوزة في موضعه وزيادة في نعته فقد قال قولا عظيما بل قد كفر بالله ورسوله أن فهم مضمون كلامه وأصر عليه ولهذا لما نهت قريش عبد الله بن عمرو أن يكتب ما يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم توهما أنه قد يقول في الغضب ما لا يقوله في الرضا قال اكتب والذي نفسي بيده ما خرج بينهما إلا حق كيف وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى نعم هو صلى الله عليه وسلم يرغب في الشيء بذكر أحسن صفاته من غير مجاوزة حده ويذم الفعل القبيح ببيان اقبح صفاته من غير مجاوزة أيضا إنما يجوز أن يظن المبالغة الزائدة عن الحد بسائر الناس الذين لا يحفظون منطقهم ولا يعصمون في كلامهم لا سيما الشعراء ونحوهم ولهذا زجر الإمام أحمد عن تأويل أحاديث الوعيد حيث تأولها المرجئة على أشياء يخرجها عن مقصود الرسول كما تأولت الجهمية والقدرية الأحاديث المخالفة لأهوائهم تأويلا يخرجها عن مقصوده.

وأما حمله على مفر دون كفر فهذا حمل صحيح ومحمل مستقيم في الجملة في مثل هذا الكلام ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين في كثير من المواضع مفسرا لكن الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم لوجوه:." (٢)

"مثالا إذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة وإحصاء تلك الأمثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ولن تفي به القوة البشرية ... فغايتي أن أعرفك فيها أنموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الأسرار فأقول:

إن كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الأنوار على الأرواح البشرية ولأجلها قد تسمى أربابا ويكون الله تعالى رب الأرباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متقاربة فالبحري أن يكون مثالها في عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب والسالك للطريق أولا ينتهي إلى ما

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٨٤١

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٨١

درجته درجة الكواكب فيتضح له إشراق نورها وينكشف له أن العالم الأسفل بأسره تحت سلطانه وتحت إشراق نوره ويلوح له من كماله وعلو درجته ما يبادر فيقول: ﴿هذا ربي﴾ ثم إن اتضح ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الأول في مغيب **الهوى** بالإضافة إلى ما فوقه فقال: ﴿لا أحب الآفلين﴾ وكذلك يترقى حتى ينتهي إلى ما مثاله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص نقص وأفول أيضا فمنه يقول: ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا﴾ ومعنى (الذي) إشارة مبهمة لا." (١)

"المحبر ومنصور بن سقير وذويهم كلهم ضعفاء هذا مع أن أبا حاتم هذا مع فضيلته وبراعته وحفظه كان يتهم بأن في كلامه من جنس الفلسفة أشياء حتى جرت له بسبب ذلك قصة معروفة عند العلماء بحاله.

وقد تقدم كلام سائر أهل المعرفة في أحاديث العقل واتفاقهم على ضعفها كما قال أبو الفرج بن الجوزي.

وقد قال أبو الفرج بن الجوزي في ذم **الهوى** وغيره: "المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العقل كثير إلا أنه بعيد الثبوت".

وقال أبو جعفر العقيلي: "لم يثبت في هذا المتن شيء من هذا النحو" وهذا الذي قالاه هما ونحوهما معروف لمن كان له خبرة بالآثار.." (٢)

"وهو أنيس المؤنس وجليس المجالس (١) ، وملك قاهر وسلطان.

وقال بعض العرب (٢) :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما **الهوى** ... فأنت وعير في الفلاة سواء

وحكي أن جالينوس قال: من لم تبتهج نفسه للصوت الشجي والوجه البهي فهو فاسد المزاج، يحتاج إلى العلاج.

وقال بعض الحكماء: العشق يروض النفس ويهذب الأخلاق، وإظهاره طبعي، وإضماره تكليفي، حاجبه الصبر وخادمه الجوارح.

فهذه آثار - كما ترى - دالة على أنه ليس في العشق مصلحة شرعية دينية، وإنما مال إليه هؤلاء لما ذكروا فيه من المصالح العقلية والرياضية، من تهذيب النفس ورياضتها، ولو تعلق هؤلاء بمحبة الإله المعبود لألهاهم

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٢٠٥

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٢٤٧

ذلك عن محبة الأشخاص الفانية، وحصل لهم مقصودهم من رياضة النفس وفرط المحبة وتهذيب الأخلاق المذكورة، وصار كل موجود يحدث لهم الفكر فيه وجدا لموجده، وكل مخلوق يتبين لهم منه محبة لخالقه، فتخاطبهم الموجودات والمخلوقات بألسنة الأحوال، وتوضح لهم أنه لا يستحق المحبة على الكمال غير ذي الإكرام والجلال.

هذا ما يتعلق بالمقدمة وكيفية بناء الأصلين عليها. أما ما يتعلق بالعاشق فقد ذكرنا أنه لابد من تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد وتقليلها، فمن دخل على أمر ما فواجب عليه أن ينظر في ذلك الأمر، فإن كانت مصلحته راجحة على مفسدته أخذ بالأرجح.

---

(١) في الأصل: "المجرس". وفي الجواب الكافي: "أنيس من لا أنيس له، وجليس من لا جليس له"، وهو أوضح.

(٢) البيت في "روضة المحبين" (ص١٧٦) و"تزيين الأسواق" (٤٣/١) .." [1]

"وذلك لأن أول مرتبة المحبة (١) تسمى الاستحسان، وهي المتولدة عن النظر والسماع، ثم تقوى هذه المرتبة بطول الفكرة في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة، فتصير مودة، وهي الميل إليه والألفة بشخصه. ثم تتأكد المودة فتصير محبة، والمحبة هي الائتلاف الروحاني. فإذا قويت صارت خلة، وهذا أصح الأقوال. والخلة بين الآدميين هي تمكن محبة أحدهما من قلب صاحبه حتى يسقط بينهما السرائر، ثم تقوى الخلة فتصير هوى، **والهوى** أن المحب لا يخالطه في محبوبه تغير، ولا يداخله تلون. ثم يزيد **الهوى** فيصير عشقا.

والعشق الإفراط في المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل المعشوق وفكره وذكره، ولا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك يشغل النفس عن استخدام القوة الشهوانية والنفسانية، فيمنع من النوم لاستضرار الدماغ. فإذا قوي العشق صار تتيما، وفي هذا الحال لا يوجد في قلبه فضلة لغير تصور معشوقه، ولا يرضى نفسه بسواها. فإذا تزايد الحال صار ولها، والوله هو الخروج عن الحدود والضوابط حتى تختل أفعاله وتتغير صفاته، ويصير موسوسا لا يدري ما يقول ولا أين يذهب، فحينئذ يعجز الأطباء عن مداواته، وتقصر آراؤهم عن معالجته، لخروجه عن الحدود والضوابط.

قال بعضهم (٢) :

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٧٩/١

الحب أول ما يكون لجاجة يأتي به ويسوقه الأقدار

---

(١) انظر مراتب الحب في "روضة المحبين" (ص ١٦ فما بعدها) و"الجواب الكافي" (ص ١٦٢ فما بعدها) .

(٢) البيتان في "اعتلال القلوب" (٢/٣٧٥) و"مصارع العشاق" (١/٥٣) و"ذم **الهوى**" (ص٣٣٤) و"روضة المحبين" (ص١٨٣) و"الجواب الكافي" (ص١٩١) .." (١)

"حتى إذا خاض الفتى لجج **الهوى** جاءت أمور لا تطاق كبار

فلو لم ينتقل العاشق بنفسه في هذه المراتب من مرتبة إلى مرتبة، حتى وصل إلى الحد الذي يؤذيه، لم يصبه أذى، فهو الجاني على نفسه، وأشبه به قول القائل: "يداك أوكتا وفوك نفخ" (١) . فتصور بهذا أنه مخطىء بما صدر منه أو لا، وإن كان ينبغي أن يحتاط لنفسه ولا يورطها فيما فيه هلاكها.

فعلى هذا فالعاشق له ثلاث مقامات (٢) : مبتدأ، ومتوسط، ونهاية.

أما مبتدؤه ففي أول الأمر واجب عليه كتمان ذلك وعدم إفشائه للمخلوقين، تقليلا للوشاة عليه، وإمالة لقلب محبوبه إليه، مراعيا في ذلك شرائط الفتوة من العفة مع القدرة، وإلا التحق بالشيطان الرجيم وحزبه، فازداد به الأمر إلى المقام الأوسط، فيغلب عليه الحال، فلا بأس بإعلام محبوبه بمحبته إياه، فيخف بإعلامه له وشكواه إليه ما يجده منه، ويحذر من إطلاع الناس على ذلك، فهو يكون سبب هلاكه. فإن زاد به الأمر حتى يخرج عن الحدود والضوابط المذكورة، فقد التحق من هذا حاله بالمجانين والمولهين.

على أن من رخص في العشق من العقلاء، لما ذكرنا من ترويضه للنفس وتهذيبه للأخلاق، فجعله مشروطا بالعفة المذكورة، كما قال قائلهم: "عفوا تشرفوا، واعفوا تطرفوا". وقال الأحنف بن قيس (٣) :

---

(١) انظر شرح هذا المثل في "جمهرة الأمثال" (٢/٤٣٠) و"فصل المقال" (ص ٤٥٨) و"مجمع الأمثال" (٢/٤١٤) و"المستقصى" (٢/٤١٠) .

(٢) ذكرها ابن القيم في "الجواب الكافي" (ص١٩١-١٩٣) .

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٨١/١

(٣) الصواب أنهما للعباس بن الأحنف، كما في "الأغاني" (٣٥٩/٨) و"التذكرة الحمدونية" (٢٢٩/٦) . وهما بلا نسبة في "روضة المحبين" (ص٣٤٤) .." [١]

"وأعظم مكارم الأخلاق تقوى الله، ولهذا روي عن الإمام أحمد أنه سئل عن الفتوة، فقال: ترك لما تخشى. وهذا من قوله: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن **الهوى** (٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١)) (١) . ولهذا يقولون: إن هذه الآية تجمع علم الطريق، وصار يتكلم في الفتوة وما يدخل فيها من طوائف من المشايخ وغيرهم، وجماع الأمر المحمود يرجع إلى الأصلين، كما روى حديثا صححه عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: الأجوفان: الفم والفرج (٢) .

فتقوى الله وحسن الخلق يجمع كل خير، وقد قال الله تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (١٢٨)) (٣) . وسواء سمي ذلك فتوة أم لم يسم، فالاعتبار في الدين بالإخاء التي جاءت (٤) في القرآن وما علق بها من مدح وذم، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، فالممدوح مثل اسم الإيمان والإسلام والتقوى والإحسان والبر والصدق والعدل ونحو ذلك، والمذموم مثل الكفر والنفاق والفجور والإساءة والكذب والظلم والفواحش ونحو ذلك. فمن فعل ما يحمد عليه في القرآن حمد، ومن فعل ما يذم عليه في القرآن ذم، ومن فعل ما يحمد وما يذم استحق الحمد والذم جميعا، (وما ربك بظلام للعبيد (٤٦)) (٥) .

---

(١) سورة النازعات: ٤٠-٤١

(٢) أخرجه أحمد (٢٩١،٣٩٢،٤٤٢/٢) والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٨٩، ٢٩٤) والترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) عن أبي هريرة.

(٣) سورة النحل: ١٢٨.

(٤) كذا في الأصل بتأنيث اسم الموصول والفعل.

(٥) سورة فصلت: ٤٦.." [٢]

"وحد ذلك وملاك ذلك شيئان: طلب الهدى ومجانبة **الهوى**، حتى لا يكون الإنسان ضالا وغاويا، بل مهتديا راشدا. قال الله تعالى في حق نبيه – صلى الله عليه وسلم –: (والنجم إذا هوى (١) ما ضل

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٢/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٩٠/١

صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)) (١) ، فوصفه بأنه ليس بضال وهو الجاهل، ولا غاو وهو الظالم، فإن صلاح العبد في أن يعلم الحق ويعمل به، فمن لم يعلم الحق فهو ضال عنه، ومن علمه فخالفه واتبع هواه فهو غاو، ومن علمه وعمل به كان من أولي الأيدي عملا ومن أولي الأبصار علما. وهو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سبحانه في كل صلاة أن نقول: (اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧)) (٢) ، فالمغضوب عليهم: الذين يعرفون الحق ولا يتبعونه كاليهود، والضالون: الذين يعملون أعمال القلوب والجوارح بلا علم كالنصارى.
ولهذا وصف الله اليهود بالغواية في قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) (٣) ، ووصف العالم الذي لم يعمل بعلمه بذلك في قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (١٧٥) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه (١٧٦)) (٤) .
ووصف النصارى بالضلال في قوله تعالى: (ولا تتبعوا أهواء قوم

(١) سورة النجم: ١- ٤.
(٢) سورة الفاتحة: ٦- ٧.
(٣) سورة الأعراف: ١٤٦.
(٤) سورة الأعراف: ١٧٥- ١٧٦.." (١)

"وحرم القول المخالف للحق، ونصوص التنزيل شاهدة بذلك، ونهى عن اتباع الهوى.
فأما المهدي الذي بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبي - صلى الله عليه وسلم -، الحافظون لها، الباحثون عنها وعن رواتها، مثل أبي داود والترمذي وغيرهما. ورواه الإمام أحمد في "مسنده" (١) .
فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا" (٢) .

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٨٥/٣

وروي هذا المعنى من حديث أم سلمة وغيرها (٣) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "المهدي من ولد ابني هذا"، وأشار إلى الحسن (٤) .

---

(١) جمع الدكتور عبد العليم البستوي أحاديث المهدي الواردة في كتب السنة مع الكلام عليها ودراسة أسانيدها، ونشرها في كتابين: "المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة" و"الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة"، وهما أفضل الكتب المؤلفة في هذا الباب.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) بإسناد حسن. وانظر الكلام عليه في "المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة" (ص٢٦٩- ٢٧٨) .

(٣) حديث أم سلمة أخرجه أحمد (٦/٣١٦) وأبو داود (٤٢٨٦، ٤٢٨٧) ، وإسناده ضعيف. انظر الكلام عليه في "الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة" (ص٣٢٤- ٣٣٥) .

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩٠) بلفظ: " ... سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ... ". وإسناده ضعيف، انظر "الموسوعة" (ص٣٤٧- ٣٤٩) .." [١]

"كان بعض المشايخ يقرن بين هذه الثلاثة، فالشكر يتناول ما مضى من إحسانه، والاستغفار لما تقدم من إساءة العبد، والاستعانة لما يستقبله العبد من أموره. وهذه الثلاث لابد لكل عبد منها دائما، فمن قصر في واحد منها فقد ظلم لنفسه بحسب تقصير العبد.

وأصل الإحسان هو التصديق بالحق ومحبته، وأصل الشر هو التكذيب به أو بغضه، ويتبعه التصديق بالباطل ومحبته. والتصديق بالحق وحبه هو أصل العلم النافع والعمل الصالح، والتكذيب به وبغضه هو من الجهل والظلم. فالإنسان إذا لم يعلم من الحق ما يحتاج إليه أو لم يقر به أو لم يحبه كان ظالما لنفسه، وإن أقر بباطل أو أحبه واتبع هواه كان ظالما لنفسه، فظلم النفس يعود إلى اتباع الظن وما تهوى الأنفس، وهذا يكون في اتباع الآراء والأهواء، فأصل الشر البدع، وهو تقديم الرأي على النص واختيار الهوى على امتثال الأمر، وأصل الخير اتباع الهدى، كما قال تعالى: (فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤)) (١) . قال ابن عباس (٢) : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣/٩٨

والضلال والشقاء هو خلاف الهدى والفلاح الذي أخبر به عن المتقين الذين يهتدون بالكتاب، حيث قال: (ذلك الكتاب لا ريب

---

(١) سورة طه: ١٢٣-١٢٤.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/١٦٣) .." [١]

"فيه هدى) إلى قوله (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)) (١) . والضلال والشقاء هو أمر (٢) الضالين والمغضوب عليهم المذكورين في قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧)) (٣) ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون" (٤) ، فإن اليهود عرفوا الحق ولم يعملوا به، والنصارى عبدوا الله بغير علم.

ومن عرف الحق ولم يعمل به كان متبعا لهواه، واتباع **الهوى** هو الغي، ومن عمل بغير علم كان ضالا.

ولهذا نزه الله نبيه عن الضلال والغي بقوله: (والنجم إذا هوى (٦) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢)) (٥) . قال تعالى في صفة أهل الغي: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل أية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) (٦) ، وقال: (واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آيتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين (١٧٥)) (٧) ، وقال في الضلال: (وإن كثيرا ليضلون بأهوآئهم

---

(١) سورة البقرة: ٢-٥.

(٢) في الأصل: "أحد" تحريف.

(٣) سورة الفاتحة: ٧.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٣٧٨) والترمذي (٢٩٥٣،٢٩٥٤) عن عدي بن حاتم. وفي الباب روايات أخرى أخرجها الطبري في تفسيره (١/١٨٥-١٨٨، ١٩٣-١٩٥ من طبعة دار المعارف) .

(٥) سورة النجم: ١-٢.

(٦) سورة الأعراف: ١٤٦.

(٧) سورة الأعراف: ١٧٥.." [٢]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤/٤٩

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤/٥٠

"ولهذا سمي صديقا، وما جاء به الرسول فهو معصوم أن يستقر فيه خطأ، فما يأخذه الصديق فهو صدق كله وحق كله، وأما المحدث الذي يأخذ عن قلبه فقلبه قد يصيب وقد يخطيء، فيجب على كل محدث ومكاشف أن يعرض ما وقع عليه على الكتاب والسنة، فإن وافق ذلك وإلا رده، كما قال الشيخ أبو سليمان الداراني: إنه ليمر بقلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين: الكتاب والسنة.
وقال: ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمله حتى يسمع فيه بأثر، فإذا سمع بالأثر كان نورا على نور.
وقال الجنيد بن محمد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا.
وقال سهل بن عبد الله التستري: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل.
وقال أبو عمرو بن نجيد أو غيره: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر **الهوى** على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة، لأن الله يقول: (وإن تطيعوه تهتدوا) (١) .
ومثل هذا كثير في كلام المشايخ، فما يلقى لأهل المكاشفات والمخاطبات من المؤمنين هو من جنس ما يكون لأهل الرأي والقياس من العلم منهم، وكل ذلك فيه حق وفيه باطل، وليس أحد منهم معصوما، وكل منهم عليه أن يزن ذلك بالكتاب والسنة والإجماع،

---

(١) سورة النور: ٥٤.." (١)

"وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) : "صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة. وذلك أن الرجل إذا تطهر في بيته فأحسن الطهور، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه، كانت خطوتاه إحداهما ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة، فإذا جلس فإنه في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، والملائكة تصفي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صفى فيه: "اللهم اغفر له، اللهم ارحمه " ما لم يحدث أو يخرج من المسجد".
وأما قول السائل: "بحرمة فلان الميت أن تقضي حاجتي أو تغفر لي " فهذا ليس بمشروع، فإن هذا لم يفعله أحد من السلف، ولا استحبه أحد من الأئمة، ولا فيه أثر عمن مضى، والعبادات مبناها على الاستنان والاتباع، لا على **الهوى** والابتداع، قال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٢) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥٧/٤

بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (٣) .

ولو كان هذا مشروعا لأحد أو في حق أحد لكان أحق الناس بذلك أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حق النبي – صلى الله عليه وسلم –، فإنه أفضل الخلق

---

(١) البخاري (٦٤٧) ومسلم (بعد رقم ٦٦١) عن أبي هريرة.

(٢) سورة الشورى: ٢١.

(٣) أخرجه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣، ٤٤) من حديث العرباض بن سارية.." (١)

"وقد ذكر طائفة في الكلام والمقالات –مثل أبي بكر ابن فورك وغيره– أن الذين ادعوا النبوة من الفرس مثل زردشت ومزدك وبهافريد (١) كانوا ينتحلون ملة إبراهيم ويزعمون أنهم يدعون إلى دينه.

قال ابن فورك في مصنف له لما تكلم على إثبات النبوات والرد على من أنكرها من البراهمة حكماء الهند، وذكر ما ذكره غيره من أهل الكلام والمقالات، قال: إن البراهمة صنفان: صنف أنكروا الرسل أجمعين، وصنف أقروا بنبوات بعضهم، فمنهم من أقر بنبوة إبراهيم وجحد من كان بعده.

قال: فإن قال قائل: قد دللت على جواز بعثة الرسل، فما الدليل على أن الأنبياء الذين بعثهم الله إلى خلقه من ذكرتم دون غيرهم؟

قيل له: الدليل على ذلك أنه قد نقل إلينا من الجهات المختلفات التي لا يجوز على ناقليها الكذب أنهم أتوا بمعجزات تخرج عن عادة الخلق، مثل: فلق البحر، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وانشقاق القمر، ولم ينقل لغيرهم من المعجزات ممن ادعى النبوة كما نقل لهم، فدل ذلك على أنهم هم الأنبياء دون غيرهم ممن ادعى النبوة ولم يكن لهم معجزة تدل على صدقهم.

قال: ومما يدل على صدقهم أنا وجدنا كل واحد منهم في زمانه قد منع الناس عن الشهوات واتباع **الهوى**، وقبض على أيديهم، وحال بينهم وبين مرادهم، وما سرت إليه أنفسهم، ثم مع ذلك كلفوهم

---

(١) إليه تنسب الفرقة البهافريدية من المجوس. انظر: "البدء والتاريخ" (٢٦/٤) .." (٢)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٧٠/٤

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٥/٥

"والهدى والمعروف اسم لكل ما أمر به من الإيمان ودعائمه وشعبه، كالتوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والإخلاص والرضا والإنابة وذكر الله تعالى ودعائه والصدق والوفاء وصلة الأرحام وحسن الجوار وأداء الأمانة والعدل والإحسان والشجاعة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغير ذلك.

والمنكر اسم لكل ما نهى الله عنه من الكفر والكذب والخيانة والفواحش والظلم والجور والبخل والجبن والكبر والرياء والقطيعة وسوء المسألة واتباع **الهوى** وغير ذلك.

فإن كان الشيخ المتبوع آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، داعيا إلى الخير، مصلحا لفساد القلوب، شافيا لمرضاها، كان من دعاة الخير وقادة الهدى وخيار هذه الأمة.

نسأل الله أن يكثر من هؤلاء ويقويهم، ويدمغ بالحق الباطل، ويصلح هذه الأمة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

(تمت الرسالة بعون الله ومنه من كلام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، قدس الله روحه وسقى ضريحه) .." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن تيمية إلى المولى السيد السلطان الملك المؤيد، أيده الله بتكميل القوتين النظرية والعلمية، حتى يبلغه أعلى مراتب السعادة الدنيوية والأخروية، ويجعله ممن أتم عليه نعمه الباطنة والظاهرة، وأعطاه غاية المطالب الحميدة في الدنيا والآخرة، وجعله مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

ففي الهدى كمال القوة العلمية، وفي الرشاد كمال القوة العملية، وبهما أخبر أنه أرسل رسوله حيث قال: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا (٢٨)) (١) .

فالهدى يتضمن كمال القوة العلمية، ودين الحق يتضمن كمال القوة العملية.

وقد نزهه عن ضد ذلك في مثل قوله: (والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن **الهوى** (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)) (٢) .

فنزهه عن "الضلال" المناقض للهدى، وهو النقص في القوة العلمية، وعن "الغي" المناقض للرشاد، وهو النقص في القوة العملية.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٣٨/٥

(١) سورة التوبة: ٣٣، سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

(٢) سورة النجم: ١-٤.." (١)

"ثم أخبر بكماله فيهما بقوله (وما ينطق عن الهوى (٣)) وهو هوى النفس المفسد للقوة العملية، (إن هو إلا وحي يوحى (٤)) وهو أعلى مراتب إعلام الله لعباده، وإن كان أهله متفاضلين فيه.

فكمال التنزه عن الخطأ للأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم فيه متفاضلون، كما قال تعالى: (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) (١) ، وقال تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) (٢) .

وقد استوعب سبحانه أنواع جنس تكليمه لعباده في قوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) (٣) ، فجعل ذلك ثلاثة أنواع:

الوحي الذي منه ما هو إلهام للأنبياء يقظة ومناما، فإن رؤيا الأنبياء وحي.

والتكليم من وراء حجاب، كما كلم موسى بن عمران حيث نادا وقربه نجيا.

والتكليم بإرسال رسول يوحي بإذنه ما يشاء هو تكليمه بواسطة إرسال الملك، كما قال تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)) (٤) ، أي علينا أن نجمعه في قلبك، ثم علينا أن نقرأه

---

(١) سورة الإسراء: ٥٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) سورة الشورى: ٥١.

(٤) سورة القيامة: ١٧-١٨.." (٢)

"منه اجتهاد في محاربة أهل القبلة، والعلماء منهم من يرى رأيه، ومنهم من لا يراه. وبكل حال فإمامتهما ثابتة، ومنزلتهما من الأمة منزلتهما، لكن أهل البدع الخوارج الذين خرجوا على عثمان وعلى علي جعلوا آراءهم وأهواءهم حاكمة على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين، فاستحلوا بذلك الفتنة وسفك الدماء وغير ذلك من المنكرات.

وأما من بعد الخلفاء الراشدين فلهم في تفاصيل قبض الأموال وصرفها طرق (١) متنوعة:

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٨٣/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٨٤/٥

منها ما هو حق منصوص موافق للكتاب والسنة والخلفاء الراشدين.

ومنها ما هو اجتهاد يسوغ بين العلماء، وقد يسقط الوجوب بأعذار، ويباح المحظور بأسباب، وليس هذا موضع تفصيل ذلك.

ومنها ما هو اجتهاد، لكن صدوره لعدوان من المجتهد وتقصير منه، شاب الرأي فيه **الهوى**، فاجتمعت فيه حسنة وسيئة. وهذا النوع كثير جدا.

ومنه ما هو معصية محضة لا شبهة فيه بترك واجب أو فعل محرم.

وهذه الأنواع الأربعة موجودة في عامة تصرفاتهم من الحكم والقسم والعقوبات وغير ذلك، إما أن يوافق سنة الخلفاء أو لا يوافق، والذي لا يوافق إما أن يكون معذورا فيه كعذر العلماء المجتهدين

---

(١) في الأصل: "طريق".." (١)

"متى رجع إلى نفسه أرادت بهواها، فهو يريد أن يفنى عن نفسه حتى يكون الحق هو الذي يريد له وبه.

ثم إنه مع الفناء في نوع من الإرادة لله التي هي أعظم الإرادات، لكنه غائب كغيبته عن نفسه مع وجودها.

وهذا كله حسن، وإن كان البقاء أفضل ما لم يفض (١) الأمر إلى ترك مأمور به جريا مع الكوني.

ومما (٢) يغلط فيه بعضهم قول طوائف منهم: إن من طلب شيئا بعبادته لله كان له حظ، وكان يسعى لحظه، وإنما الإخلاص أن لا تطلب بعملك شيئا، ولا يكون لك حظ ولا مراد. ثم يقولون: لا يريد إلا الله، ولا يطلب إلا وجهه، هذا في الدنيا، وفي الآخرة لا يطلب إلا رؤيته.

وبعضهم قد يقول: إذا طلبت رؤيته كنت في حظك، بل لا يكون لك مطلوب. وينشد قول بعضهم (٣) :

أحبك حبين: حب **الهوى** وحب لأنك أهل (٤) لذاكا

فأما الذي هو حب **الهوى** فكشفك للحجب حتى أراكا

وأما الذي أنت أهل (٥) له فحبي خصصت به عن سواكا

---

(١) في الأصل: "لم يفضي".

(٢) في الأصل: "وما".

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٥/٣٩١

(٣) الأبيات في حلية الأولياء (٩/٣٤٨) .

(٤) في الأصل:"أهلا".

(٥) في الأصل: "أهلا".." (١)

"وأحب عبادته ودينه (١) ورضي ذلك، فما للعبد من ذلك فهو نعمة من الله عليه، وما للرب في ذلك فهو منه وإليه، وهو الغني عن خلقه.

والعباد أعجز من أن يبلغوا ضره فيضروه، أو يبلغوا نفعه فينفعوه من وجهين:

من جهة الأسماء والصفات، وهو أنه سبحانه أحد صمد قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، ويمتنع عليه أضداد أسمائه الحسنى التي وجبت له بنفسه.

ومن جهة القضاء والقدر، وهو أنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاؤه ويريده، ولا حول ولا قوة إلا به، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به.

وأما قول العابدة المحبة القائلة:

أحبك حبين: حب **الهوى** وحب لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب **الهوى** فكشفك للحجب حتى أراكا

وأما الذي أنت أهل له فشيء (٢) خصصت به عن سواكا

فلكلامها وجهان:

أحدهما: أن تريد بالحب الأول من جهة إنعامه على عباده، وهو الحب المأمور به. وبالثاني محبته لذاته. والأولى متفق عليها، والثانية

(١) كذا في الأصل.

(٢) في ص ١٣: (فحبي) .." (٢)

"الظاهرة، وقد يكون مقصوده الديانة، وإنما تصرف بحاله لا بالأمر.

وهذا باب عظيم ننبه عليه في مواضع، وإنما أشرنا إليه هنا لما ذكرنا محبة **الهوى** التي لم تتقيد بالعلم والأمر، وإن كانت محبة الله إذا لم تكن منهيا عنها، ولهذا قالت:

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/١٣

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/١٧

فكشفك للحجب حتى أراكا

أي هذا الحب يستدعي طلب الرؤية كما طلبها من طلبها في الدنيا.

وأما المحبة الثانية فهي العبودية المحضة للذي يحبه لذاته، فلا يفعل إلا ما أمر به، ولا يطلب إلا ما أمر به، ولا يستحق شيء أن يحب لذاته إلا الله، فإنه لا إله إلا الله، والإله هو الذي يعبد لذاته، فلذلك قالت: لأنك أهل لذاكا، وقالت: فشيء خصصت به عن سواكا.

الفصل الثاني: في الواجب من المقاصد والوسائل.

أما المقصود المطلوب لذاته، وهو المعبود، فلا يجوز أن يعبد إلا الله لا إله إلا هو، وهذا أصل الدين وأساسه ودعامته، وأوله وآخره، وباطنه وظاهره. والوسيلة هي الأعمال الصالحة الحسنة، إذ ليس كل عمل يصلح لأن يعبد به الله، ويراد به وجهه، وليس كل ما كان في نفسه حسنا وصلاحا يراد به وجه الله وليس بصالح، مثل عبادات المبتدعة المخلصين، كرهبانية النصارى التي قال الله فيها: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) (١) ، ومثل ما في هذه الأمة من أنواع المقالات والعبادات التي فعلها صاحبها لله، لكن بغير

---

(١) سورة الحديد: ٢٧.." (١)

"فهذا يهدى سبل الله.

وهذا مجرب في سائر المحبوبات، فكل من أحب شيئا محبة شديدة ولد له شدة المحبة طرق تحصيل المحبوب، وطرق المعرفة به. وكذلك من أبغض شيئا بغضا شديدا، ولد له شدة البغض طرق دفعه وإزالته، ولهذا يقال: الحب يفتق الحيلة، كما يقال: الحاجة تفتق الحيلة. فإن المحتاج محب لما احتاج إليه محبة شديدة.

وإنما يوقع النفوس في القبائح الجهل والحاجة، فأما العالم بقبح القبيح الغني عنه فلا يفعله، قال الله تعالى: (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣)) (١) ، وقد قال في ضد هؤلاء: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢٦)) (٢) ، فبين أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله، فمن اتبع ما تهواه نفسه أضل عن سبيل الله، فإنه لا يكون الله هو المقصود، ولا المقصود الحق الذي يوصل إلى الله، فلا قصد الحق، ولا ما يوصل إلى الحق، بل

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/٢١

قصد ما يهواه من حيث هو يهواه، فتكون نفسه في الحقيقة هي مقصوده، فيكون كأنه يعبد نفسه، ومن يعبد نفسه فقد ضل عن سبيل الله قطعا، فإن الله ليس هو نفسه.

ولهذا لما كان حقيقة قول الاتحادية: إن الرب تعالى هو العالم نفسه، لا يميزون بين الرب الخالق وبين المخلوق المربوب، بل كل

---

(١) سورة الشورى: ١٣.

(٢) سورة ص: ٢٦.." [1]

"موجود فهو عندهم الرب العبد، كان حقيقة قولهم إنكار محبة الله ومعرفته وعبادته. فجعلوا المعبود بذاته إنما هو الهوى، كما قال صاحب الفصوص "فصوص الحكم" ابن عربي: "وكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل، كما سلط موسى عليه، حكمة من الله ظاهرة في الوجود، ليعبد في كل صورة، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد أما، تلبست عند عابدها بالألوهية، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا عبد، إما عبادة تأله، وإما عبادة تسخير- إلى أن قال- وأعظم محل فيه عبد وأعلاه الهوى، كما قال: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) (١) فهو أعظم معبود، فإنه لا يعبد شيء إلا به، ولا يعبد هو إلا بذاته " (٢) .

وهذا جهل منه حيث قال: "لا يعبد إلا بذاته"، فإن الهوى نفسه إن عني به المهوي، فكل ما هوي فهو هوى، فإذن كل ما هوي فقد هوي لذاته، فيبطل التخصيص.

وإن عني به نفس المصدر الذي هو نفس إرادة النفس مثلا، فذاك هو القصد والإرادة التي تكون عبادة، فكيف تكون العبادة هي المعبود؟

وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه. فإذن هو لايثاب على ما اتبعه من الحق، ويعاقب على ما اتبعه من

---

(١) سورة الجاثية: ٢٣.

(٢) فصوص الحكم (١/١٩٤) .." [2]

---

[1] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٤٣/٦

[2] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٤٤/٦

"الباطل، وذلك لأنه يكون إنما اتبع هواه في الموضعين، لم يتبع الحق لأنه حق.

فلما كان اتباع **الهوى** يضل عن سبيل الله أخبر بأن الضلال مع اتباع **الهوى** في غير موضع من كتابه، كقوله تعالى: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (١) ، وقوله: (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) (٢) وقوله: (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧)) (٣) وقال: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) (٤) .

كما أخبر أن الهدى مع السنة التي هي اتباع سبيله، كقوله: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨)) (٥) ، وقال تعالى: (وإن تطيعوه تهتدوا) (٦) ، وقوله: (ويهدي إليه من ينيب (١٣)) (٧) ، وقوله: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (٨) .

---

(١) سورة القصص: ٥٠.

(٢) سورة الانعام: ١١٩.

(٣) سورة المائدة: ٧٧.

(٤) سورة الجاثية: ٢٣.

(٥) سورة النساء: ٦٦- ٦٨.

(٦) سورة النور: ٥٤.

(٧) سورة الشورى: ١٣.

(٨) سورة العنكبوت: ٦٩.." [1]

"ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع أهل الأهواء، فإنهم على ضلال، والضلال مستلزم لاتباع **الهوى**، كما أن الهدى لازم لاتباع سبيله، وهذا الهدى الثاني كما في قوله: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (٨٢)) (١) ، قال طائفة من التابعين: لزم السنة والجماعة.

ومنهم [من قال:] من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم. ومن أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

وذلك أن مخلص الدين لله محفوظ من الشيطان الذي يأمر باتباع **الهوى**، كما قال تعالى: (إن عبادي

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٤٥/٦

ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢)) (٢) ، والغي: اتباع **الهوى**.

وقال عنه: (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣)) (٣) ، فالمخلص لا يغويه، فلا يتبع هواه، كما قال: (لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤)) (٤) ، فصرف عنه الغي لأجل إخلاصه.

ولما كان الإخلاص أن يكون الدين كله لله، وعلى هذا أمر بالجهاد، وهذا يوجب الاجتماع والألفة، إذ ذلك هو دين الأنبياء الذي

---

(١) سوره طه: ٨٢.

(٢) سورة الحجر: ٤٢ .

(٣) سورة ص: ٨٢- ٨٣.

(٤) سورة يوسف: ٢٤.." (١)

""فليعبدني وأعبده" (١) . وقال: "أعظم معبود عبد فيه **الهوى**" (٢) .

وإذا تبين أنه لا يصلح أن يكون كل ما يهواه العبد ويريده مقصودا ... (٣) تبين من ذلك أنه لا يصلح أن يكون ما يوجد من اللذة هي الغاية المقصودة بفعله، لأن اللذة تتبع الشهوة، فإذا حصل ما يشتهيه وجد اللذة، فإذا امتنع أن يكون المنتهى مطلقا مقصودا، امتنع أن تكون اللذة مطلقا غاية مقصودة، لما بيناه من أن وجود ذلك يمنع وجوده، لما فيه من الفساد، ولكن لا بد في فعله من حب، ولا بد له من لذة، فالشهوة واللذة سببان في فعله، ذلك سبب فاعلي، وهذا سبب غالي، بهما كان الإنسان من وجه فاعلا لفعله، ومن وجه غاية لفعله، كما تقدم بيانه.

لكن كما بينا أن هذا السبب فيه لم يحصل به مستقلا، بل بالرب الذي خلقه وأعانه، فكذلك هذه اللذة لم يحصل الفعل لأجلها فقط، بل للغاية التي هي الرب الذي هو إلهه.

وكما أنه بدون الرب يمتنع الفعل، فبدون الإله لا يصلح الفعل، بل لا يكون إلا فساد، فإن ما في العبد من القوة والإرادة محدث من جهة الله، كذلك كون لذته العاجلة غاية إنما كان لغاية أخرى من جهة الله، وذلك أنه كما كان المحدث عن عدم فلا بد له من محدث، فهذه الغاية منقطعة يتعقبها العدم والزوال، فلا بد له من غاية أخرى باقية

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٤٦/٦

(١) فصوص الحكم (١/٨٣) .

(٢) فصوص الحكم (١/١٩٤) .

(٣) بياض في الأصل بقدر كلمة.." (١)

"الإجماع.

والفرق بين البغي بلا قتال والبغي في القتال واضح، وعلى هذا فإذا قيل: كان مأمورا بالقتال بعد البغي فيه أمكن ذلك، ولكن تلك الحال عصت الطائفة العراقية فنكلت عن القتال، فحال القتال لم يكن أمر، وحال الأمر لم تكن طاعة الأمر، وذلك يستدل به على حكم الشارع في نحو ذلك، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والمقصود هنا أن عواقب الأفعال وغايتها تبين ما كان منها محمودا وأحمد، فمن وفق لذلك في الابتداء فليحمد الله، وإلا فعليه بالتوبة والاستغفار، فإن الله يقول: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)) (١) ، وهذا يستقيم لمن لم يتبع هواه، فقد تقدم بالبرهان العقلي المعلوم من الآيات المرئية في الأنفس والافاق ما يوافق ما شهد الله به في كتابه، أن اتباع الهوى بغير هدى من الله ضلال عما ينفع العبد، وسمي ضلالا لأن متبع هواه إنما يقصد لذته بنيل ما يهواه، لكن ينبغي أن يعرف أن لذته ومنفعته ليست في نيل ما يهواه، إلا أن يكون بهدى من الله، وهو ما أمر به أو أباحه، دون ما نهى عنه وحظره، فإذا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى.

والأهواء في الدين والآراء والاعتقادات والأذواق والعبادات أعظم من الأهواء في الدنيا. وأكثر ما ذكر في القرآن من ذم اتباع

(١) سورة الزمر: ٥٣.." (٢)

"الأهواء يتعلق بالقسم الأول، وإن كان أيضا يتناول القسم الثاني، كما قال الله تعالى: (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/١٥٨

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/١٦٨

عن سبيل الله...) (١) .

وإذا تبين ذلك علم أن الإرادة لا بد أن يكون لها مقصود لذاته، خارج عن اللذة المنقضية، إذ اللذة المنقضية لا يجوز أن تكون مقصودة لذاتها، كما لا يجوز أن يكون القصد الحادث حادثا بذاته، كما تقدم من أن ما يعقبه عدم لا يجوز أن يحدث بذاته، ومن المعلوم أن كل مقصود فإما أن يقصد لنفسه أو لغيره، وعلى التقديرين يلزم وجود الموجود بنفسه، وذلك أنه إذا قصد المقصود لغيره، فذلك الغير إما أن يكون مقصودا لنفسه، فثبت المقصود لنفسه، وإما أن يكون مقصودا لغيره، فإن كان الغير هو الأول لزم الدور، وهو أن يكون هذا مقصوذا لأجل هذا، وهذا مقصودا لأجل هذا، وقد تقدم بيان استحالة أن يكون كل شيء من الشيئين علة للآخر علة فاعلية أو غائية. وإن كان غير الأول لزم أن يكون لذلك المقصود مقصود، ولذلك المقصود مقصود، ويلزم تسلسل العلل الغائية. ومن المعلوم أن المقصود يتقدم في العلم والقصد، فيلزم أن يجتمع في علم الإنسان وقصده مقصود لا يتناهى في آن واحد.

وأيضا فالمقصود يتعقب الفعل الذي هو السبب التام، ثم المقصود يتعقب الآخر، كما أن السبب التام يتعقبه المسبب، فيلزم

---

(١) سورة ص: ٢٦.." (١)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٦٩/٦